صليبية الغرب وحضارته 1

حرب صليبية بكل المقاييس

أ.د. زينب عبد العزيز

الناشر
دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

اسم السلسلة: صليبية الغرب وحضارته
اسم الكتاب: حرب صليبية بكل المقاييس
اسم المؤلف: أ.د. زينب عبد العزيز
رقم الايداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٠٣/١٥٦١٤
الترقيم الدولي: I.S.B.N. 977-5346-84-3
تصميم واخراج الغلاف: وائل سلامة
جمع اليكتروني: فور إتش ت:٠١٠/٦٦٧٤٣٣٥

الطبعة الأولى
٢٠٠٣



دمشق - القاهرة

سوريا - دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودي هاتف: ٢٢٣٥٤٠١ ص.ب ١٣٣٤٤ فاكس: ٢٢٤٧٢٩٧
مصر - القاهرة - ٥٢ شارع عبد الخالق ثروت - شقة ١١ تلفاكس: ٣٩١٦١٢٢
Email: darkitab2003@yahoo.com

1

صليبية الغرب وحضارته

حرب صليبية بكل المقاييس

إهــداء

إلى الذين يحرِّفون الكَلِم ويزيّفونه،

علَّهم يتقون...

وإلى الذين بيدهم تصويب الأمر،

دفاعًا عن الإسلام بالحق، علَّهم يفعلون...

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾

(البقرة: ٧٩)

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾

(آل عمران: ٧٠)

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

(آل عمران: ٧١)

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾

(آل عمران: ٩٨)

تمهيد

كثر الحديث فى الآونة الأخيرة حول عبارة «حرب صليبية»، وتبارت أقلام كبار المسيحيين فى مصر ليمحوا عنها ارتباطها بالدين المسيحى والصليب، مستخدمين عبارة «حرب الفرنجة» بدلا عنها لأن الصليب منها برىء.. وتسابقت بعدهم أقلام بعض الذين ألفوا التطوع والمواكبة، من المسلمين، لإثبات صحة ذلك التحريف الجديد، أو هذا التلاعب بالألفاظ، دون أن يتبينوا حقيقة وأبعاد هذه الحملة لتغيير الحقائق التاريخية الثابتة الممتدة عبر التاريخ..

وإلى هؤلاء وهؤلاء أقدم معنى كلمة «حرب صليبية» كما وردت فى أكبر معجم للغة الفرنسية بعنوان «كنوز اللغة الفرنسية» والمكون من ستة عشر مجلداً. ففى المجلد السادس، صفحة ٥٢٤ (وكل مجلد مكون من حوالى ١٣٠٠ صفحة) نطالع:

«حملة عسكرية كان المساهمون فيها يرتدون صليبا من القماش قد تمت حياكته على صدور ثيابهم. وهى حروب قام بها المسيحيون الأوربيون فى القرون الوسطى لتحرير الأراضى المقدسة من أيادى المسلمين».

وفى كتاب المؤرخ الفرنسى جروسيه المعنون «ملحمة الحروب الصليبية» الصادر عام ١٩٣٩، نطالع فى صفحة ٦: «انطلقت صيحة «الرب هو الذى يريد هذه الحرب» من كل مكان فور أن أعلنها البابا أوربان الثانى بنفسه

وجعل من هذه الصيحة، صيحة التجمع العام وطلب من جنود المسيح أن يوصموا أنفسهم بعلامة الصليب. وهكذا ولدت الحروب الصليبية التى سرعان ماتم تنفيذ فكرتها لتلقى بالأمراء والجموع الغفيرة إلى أعماق الشرق»

ويقول جيزو، المؤرخ الفرنسى فى كتابه عن «التاريخ العام للحضارة الأوروبية» الصادر عام ١٨٢٨، صفحة ٢٦، في الدرس العاشر : «تعلمون تاريخ الحروب الصليبية التي أشعلها سيمون دي مونفور ضد الألبيجوا. لقد كانت تمثل صراع الإقطاع في الشمال ضد محاولة إقامة الديمقراطية في الجنوب (...) لقد هزمت محاولة التنظيم الجمهوري واستطاعت الحرب الصليبية أن تعيد نظام الإقطاع في جنوب فرنسا».

وفي كتاب «التواريخ الكبري للمسيحية» الصادر عن دار نشر لاروس وتحت إشراف فرانسوا لوبران، سنة ١٩٨٩، نطالع أمام سنة ١٠٩٥: «فى شهر نوفمبر، وبعد أن أعلن البابا أوربان الثانى أنه يفضِّل المحاولات السلمية، راح وأعلن الحرب الصليبية»!

وفى «قاموس اللاهوت» الصادر عام ١٩٩٨ عن دار نشر المطابع الجامعية الفرنسية، وتحت إشراف جان إيف لاكوست: «دعى البابا أوربان الثانى إلى تحرير الأراضى المقدسة من عبودية الكفرة. وأيا كانت انحرافات هذه الحروب الصليبية فقد حاولوا وصفها بطابع الحج الجماعى»!؟

أما «القاموس التاريخى للبابوية» الصادر عام ١٩٩٤ عن دار نشر فايار وتحت إشراف فيليب لوفيلان، فنطالع تحت كلمة «الحروب الصليبية»: «إنها بمثابة الصلة بين عادة الحج إلى الأماكن المقدسة، والتى نجمت عنها فكرة الحروب الصليبية. وكان البابا أوربان الثانى هو أول من أعلنها عقب مجمع كليرمونت عام ١٠٩٥ إلا أنه كانت هناك محاولات سابقة من جانب البابوية للإعداد لها. ففى عام ١٠٦٣، ولأول مرة، قام البابا إسكندر الثانى بمنح الجنود المسيحيين الذين كانوا يحاربون المسلمين فى إسبانيا مغفرته لهم من

الذنوب التى اقترفوها فى دنياهم. ومع البابا جريجوار السابع وعبارة «جنود المسيح»، أصبحت الحرب المقدسة موضوعا رئيسيا فى السياسة البابوية، فبعد الهزيمة المأساوية التى عاشها البيزنطيون فى معركة مانزكيرت عام ١٠٧١، وعد البابا الذين سيضحون بحياتهم من أجل إخوانهم المسيحيين فى الشرق جائزة أبدية لدفاعهم عن العقيدة المسيحية (...) ويمثل نداء البابا أوربان الثانى ملمحا جديدا، فلأول مرة يقوم البابا بإعلان حرب مقدسة باسم المسيح (...)»

وفى القرن الثانى عشر ستجاهد البابوية لإضفاء قاعدة قانونية لاهوتية متينة للحرب الصليبية. ويعد الخطاب البابوى الصادر فى أول ديسمبر ١١٤٥ بعنوان «كم من سابق لنا» (فالخطاب البابوى يعنون بأولى كلماته)، من البابا أوچين الثالث والذى يحث فيه المسيحية الغربية على الانتقام من سقوط أديسة، سيصبح، من حيث الشكل والمضمون، النموذج المثالى لكل القرارات البابوية المتعلقة بالحروب الصليبية التالية. فالبابا يطالب بحقه المتفرد فى قيادة الحملات الصليبية وتوجيهها باسم تراث الكنيسة وباسم مبادرات سابقة. ولأول مرة تتم صياغة الامتيازات الممنوحة للمحاربين الصليبيين. فعلى المستوى المادى ستقوم الكنيسة بفرض حمايتها على ممتلكات وأسر الصليبيين، وأمرت بتأجيل تسديد ديونهم وإلغاء دفع الفوائد المتراكمة عليهم طوال مشاركتهم فى هذه الحروب. وعلى المستوى الروحى، أعلن البابا أوچين الثالث تطبيق نظام «أموال الاستحقاق»،واعدا بإلغاء العقوبات الدنيوية المفروضة عليهم نتيجة أخطائهم؛ وأن من يتطوع بالتجنيد فى الجيوش الصليبية ويبدى إسهاما صادقا سيُعفى من العقاب الذى تفرضه الكنيسة على المخطئين. وزايد القديس برنار على ذلك بأنه حوّل الحرب الصليبية إلى مشروع مقام من أجل الحصول على الخلاص، وبالتالى تم محو الهدف الأصلى الذى كانت تمثله الأرض المقدسة لصالح عملية إعداد تؤدى إلى إعادة المخطئ إلى العفو الإلهى. الأمر الذى أدى إلى

تعرض مفهوم الحروب الصليبية إلى انحراف متعدد الجوانب بتشجيع العسكريين والزعماء والحكام على خوضها بدلا من العامة».

ويمتد المقال على ست صفحات من القطع الكبير والبنط الصغير، لم نأخذ منه سوى أولى فقراته لنوضح بالمستندات الرسمية الكنسية كيف أن التعصب الكنسى هو الذى أطلق عنان الحروب الصليبية وأوجد دوافعها وتولى قيادتها والإعداد لها والتشجيع عليها بكل الوسائل.. بل سرعان ما «فاضت الحروب الصليبية وتعدت الأراضى الإيطالية لتمتد إلى بلاد البلقان والإمبراطورية البيزنطية بمساندة البابوية».

ومن الغريب أن يعيد التاريخ نفسه، فكما يحاول البابا يوحنا بولس الثانى توحيد كافة الكنائس تحت لواء كاثوليكية روما للتصدى للمد الإسلامى، كما حاول رفاقه السابقون القيام بنفس المخطط والمطالبة بتوحيد الكنائس وضمها للحروب الصليبية. وليس تاريخ تلك الحروب هو ما يعنينا هنا، وإنما كل ما حاولنا تحديده والتأكيد عليه هو أن هذه الحروب أعلنتها الكنيسة وأطلقت على من يخوضونها «جنود الرب» أو «جنود المسيح» وأنها قامت بأمر من يسوع، وقد أمر البابا أوربان الثانى كل المشاركين فيها أن يقوموا بحياكة صليب ضخم على قمصانهم الحربية من الأمام والخلف. وهو نفس ما نطالعه فى الموسوعة العلمانية الفرنسية المعروفة باسم «أونيفرساليس» وتقع فى أربعة وعشرين مجلداً.

ففى المجلد السادس منها، وعلى مساحة سبع صفحات ونصف، كتب جان ريشار قائلا: «الحروب الصليبية هى: حملات حربية قامت الكنيسة بتنظيمها لتحرير الأرض المقدسة. وترجع أصول الحروب الصليبية إلى الكتابات الكنسية للقرن التاسع التى رفعت فكرة مقاتلة الكفرة (المسلمين) إلى درجة التقديس، للدفاع عن المسيحيين المقهورين.

«إن الصراع الذى واجه الصليبيين بالمسلمين فى الفترة من ١٠٩٦ إلى

١٢٩١، يمثل واحدة من كبرى صفحات التاريخ الإنسانى. ففى البداية انقضت جماهير الحجاج المسلحون بإيمانهم، ثم تبعهم فرسان الغرب وقد تمكنوا من تنظيم أنفسهم للاستيلاء على فلسطين (...)

«ولقد انتهى الأمر بطرد اللاتين من بلاد المشرق، إلا أن روح الحروب الصليبية ظلت متأججة بعد ضياع الأرض المقدسة: فلقد استطاعت البابوية إشعال نار الصراع ضد الأتراك وضد مغول تيمور لنك وضد وثنيى دول البلطيق بل وداخل الحدود المسيحية، وذلك من خلال نظام صكوك الغفران والحماية القانونية والمساعدات المالية، كما شنت هجماتها الصليبية ضد المنشقين الكاتار واتباع هاس بل وضد الإمبراطور هوهنشتاوفن وعائلته الذين كانوا يعارضون سيطرة روما. إن الحروب الصليبية الأولى كانت بمثابة محاولة لإخضاع أوربا لحكومة أو سلطة دينية، فبفضل الحروب الصليبية هذه استطاع البابوات فى أحيان كثيرة فرض السلام قهراً بين أمراء مسيحيين وأقاموا بينهم نظاما ضريبيا ذا طابع تعسفى أدى فيما بعد إلى ردود فعل عنيفة».

وبخلاف هذه المقدمة وما تلاها من تفاصيل تكشف عن تعصب البابوية وأطماعها بل وتشبثها العنيد فى السيطرة والاستيلاء لا على الأراضى المقدسة فحسب وإنما على البلدان الأوروبية المسيحية المنشقة آنذاك فى خلافات عقائدية صارخة، نورد فقرتين من كتاب رانسيمان عن الحروب الصليبية ودخول الصليبيين بيت المقدس فى شهر يوليو ١٠٩٩ ميلادية:

«إن الصليبيين وقد جُنوا بما أحرزوه من نصر كبير بعد المعاناة، اندفعوا عبر الطرقات والمنازل والمساجد يقتلون كل من صادفهم، يستوى فى ذلك الرجال والنساء والأطفال، واستمرت المذبحة طيلة عصر ذلك اليوم وتلك الليلة. ولم تفرض راية تانكريد أية حماية على أولئك الذين لاذوا بالمسجد الأقصى، ففى وقت مبكر من صباح اليوم التالى اقتحمت عصبة من

الصليبيين المسجد وقتلت كل من فيه. وعندما طاف ريمون داجيليه بالمنطقة التى يقع فيها المسجد كان عليه ان ينقل الخطى ليجد طريقا بين الجثث والدماء التى بلغت ركبتيه» (صفحة ٤٣٤ ـ ٤٣٥ من المجلد الأول)

ويقول رانسيمان فى موضع آخر: «وكان الجيش فى معرة النعمان يعانى الجوع بعد أن نفدت المؤن التى استولى عليها من الجوار، ولم يكن له من سبيل سوى أن يأكل لحوم البشر»! «وهذا دَرْك لاينحدر إليه الحيوان» ـ على حد قول مترجم ذلك الكتاب.. فراح فرسان السيد المسيح يشوون جثث قتلاهم من الرجال والصبيان المسلمين ليأكلوها .. واللهم لاتعليق!

وقد كتب المؤرخ راؤل دى كايين المرافق للفرنج قائلا: «فى مدينة المعرة، كان رجالنا يقومون بغلى شبان الوثنيين (المسلمين) فى آزانات، ويوثقون الأطفال على الأسياخ ويأكلونهم مشويين».

وما أكثر الوثائق الموجودة عن قصص آكلى لحوم البشر التى ارتكبها جنود «الفرنجة» الصليبيون فى مدينة المعرة عام ١٠٩٨، وحتى القرن التاسع عشر كان يمكن العثور عليها فى كتابات المؤرخين الأوروبيين وهو ما نطالعه فى كتاب «تاريخ الحروب الصليبية، للمؤرخ ميشو الفرنسى المنشور فيما بين ١٨١٧ ـ ١٨٢٢ (راجع المجلد الأول صفحات ٣٥٧، ٥٧٧)، و«ببلوغرافيا الحروب الصليبية» صفحات ٤٨ و ٧٦ و ١٨٣ و٢٤٨. أما فى القرن العشرين فقد تم التعتيم على مثل هذه الحقائق، إذ لا نكاد نجد لها أثرا اللهم عبارة رانسيمان السالفة الذكر، وما أكثر ما اعتادوا التعتيم عليه...

مقدمة

على عكس الأسلوب المتبع فى كتابة المقدمات، والذى جرى العرف على أن تكون بمثابة عرض وتقديم لفكرة الكتاب، سنكتفى هنا بسرد بعض القرارات التى تم اتخاذها من جانب الإدارة الأمريكية أو غيرها من المؤسسات والتى تكشف عن حقيقة تلك السمة التى لا يمكن إغفالها أو إنكارها لهذه الحرب الصليبية التى أرادوها كاسحة..

- أعلنت محطة الإذاعة البريطانية صباح يوم ١٩ مارس ٢٠٠٣، فى نشرة السادسة صباحا باللغة العربية الخبر التالى: «صرح الرئيس جورج بوش أنه حتى وإن تنحى الرئيس صدام حسين فإنه سوف يجتاح العراق لتتركتها أو لفرض العلمانية عليها لاقتلاع ذلك الدين الذى يتمخض عنه الإرهاب فى منطقة الشرق الأوسط وفى العالم بأسره».

و«التتركة» مصطلح يقصد به فرض النظام التركى أو النظام الذى تم فرضه على تركيا لاقتلاع هويتها الإسلامية فى مطلع القرن العشرين بفصل الدين عن الدولة واقتلاع اللغة العربية لغة القرآن.

وبعد أيام اذاعت إحدى المحطات العربية الخبر التالى:

- «إن الصراع المتوقع مع الغزو الصليبى الأمريكى سيكون شاملا لأن العدو أعلن أنه يستهدف كل شىء حتى المدارس والجامعات وطريقة حياة الناس ودينهم ومعتقداتهم».



ثم أعلن بوش القرار التالى بعد التاسع من أبريل، أى بعد استيلائه على العراق:

- ❑ وقف الدراسة فى جميع المدارس والجامعات حتى بداية العام القادم الدراسى إلى أن يتم تعديل المناهج التعليمية!
- ❑ وتحدثت جريدة لوس انجلوس تايمز «عن الحظر الذى فرضته الإدارة الامريكية على بعض المنظمات غير الحكومية من أن تتجه إلى العراق بينما سمحت لفرق المارينز أن تصطحب فى «حقائبها» المنظمات التبشيرية التابعة لكل من بيلى وفرانكلين جراهام، اللذَّين يعتبران الإسلام دينا شيطانيا وأنه يجب تنصير كافة المسلمين» (٢٠٠٣/٤/٤).
- ❑ انتقد روبيرت ساتلوف، مديرالتخطيط الاستراتيجى والسياسى فى معهد واشنطون لسياسة الشرق الأدنى، فى جريدة واشنطون بوست (٢٠٠٣/٤/٤) السياسة الخارجية للولايات المتحدة تجاه البلدان العربية، ذلك لأن البيت الأبيض والكونجرس يعتمدان لإقامة محطة بث تليفزيونية METN (شبكة الشرق الأوسط التليفزيونية) وهى قناة معلومات رسمية باللغة العربية، ستتكلف مئات الملايين من الدولارات لتمطر هذه البلدان بما تريده من توجيهات وأخبار.

وإذا ما ربطنا هذا الخبر الذى تم نشره عند إنشاء القمر الصناعى «لومن ٢٠٠٠» الذى أوجده الفاتيكان ليمطر به الأناجيل والتبشير على العالم، والربط هنا هو نفس عبارة «يمطر التبشير» لأدركنا معنى القناة الفضائية الأمريكية الجديدة.

- ❑ وفى الرابع من أبريل ٢٠٠٣ نشرت صحيفة لوموند الفرنسية مقالا بعنوان «المبشرون المعمديون فى شاحنات الجيش» بقلم هنرى تانك، وهذا نصه:

«المبشرون الأمريكيون لا يضيعون وقتهم. إنهم يعسكرون عند أبواب العراق، مستعدين للانطلاق جريا لمساعدة الشعب «ماديا» و«روحيا» عندما سيتم تحريره من صدام حسين. إن الجمعية المعمدية للجنوب (١٦ مليون تابع) تعد واحدة من أندر الكنائس فى الولايات المتحدة التى أقرت الحرب على العراق هى وجمعية شبكة الإنقاذ، وهى جمعية إنسانية خيرية يتزعمها فرانكلين جراهام، ابن المبشر الشهير بيلى جراهام، وهم حاليا مزوَّدون بكل فرقهم ويقبعون على الحدود الأردنية.

«إن معمديى الجنوب، ومقرهم فى مدينة دالاس (تكساس)، قد شحنوا معدات قيمتها مائتان وخمسون ألف دولار. وقد علق أحد القساوسة الموجودين بالموقع، والذى من باب الأمن قد غيّر اسمه إلى «الأخ چون» قائلا إن الهدف هو تقديم المساعدات لمعسكرات اللاجئين قبل أن ندخل العراق لكى نبحث فيها عن أماكن غرس فى الجنوب وننمى فيها بعثة تبشير معمدية. أما «شبكة الإنقاذ» فهى تستعد أيضاً لإرسال عشرات الأمريكان والكنديين المتخصصين فى «الإنقاذ» الملحّ، (والإنقاذ هنا يعنى إنقاذ المسلمين من الكفر وتنصيرهم). وتصر جمعية التبشير على العمل الإنسانى وعلى أهميته أما المعمديون فهم مناضلو الإنجيل الذين يودون دخول العراق ليقدموا العقيدة المسيحية للعراقيين، واعدين أن يتفادوا أى «ضوضاء». إن مثل هذه المحاولات تثير السخط. ولقد أعلن إبراهيم هوبس، المتحدث الرسمى لمجلس الصداقة الإسلامية - الأمريكية (CAIR) إنه مذهول من شحن هذا الكم من المبشرين.

«وبعد ١١ سبتمبر قد تميّز خطاب مبشرين من أمثال فرانكلين جراهام، رئيس جمعية شبكة الإنقاذ بعباراتهم اللاذعة الجارحة ضد المسلمين. ووجودهم فى العراق يؤكد المخاوف من حرب صليبية ضد الإسلام - على حد قول هوبس - وهو نفس ما تخشاه الأوساط البروتستانتية المعتدلة، التى لا تنوى ادخار مساعداتها للشعب العراقى ضحية الحرب، لكنهم يحذرون من الخلط بين عمليات المساعدات الإنسانية والتبشير.

ووفقا للواشنطون بوست، الصادرة فى ٢٨ مارس ٢٠٠٣، فإن لجنة الإنقاذ للكنيسة المعمدية قالت إن أموالها سترسل إلى العراق عن طريق جمعياتها المسيحية، «مع التنبيه عليهم ألا يقوموا بعمليات التبشير»، (وقد وضع الكاتب هذه العبارة بين شولتين للفت النظر إلى استحالة الالتزام بها، فإن لم يكن التبشير هو المقصود فلماذا يتم إرسال النقود أو المساعدات عن طريق كل هذه الفرق التبشيرية؟!

- وفى مجلة اكسبريس الصادرة فى ٢٠٠٣/٤/١٠ اعترض البابا يوحنا بولس الثانى على هذه الحرب «لا لأنها تتحدى الشرعية الدولية وتطيح بها فحسب، ولكن خشية من أن تؤدى حرب العراق إلى صدام الديانات والذى ستدفع ثمنه الأقليات المسيحية «المحاصرة» وسط محيط من الإسلاميين».
- وتحت عنوان «المبشرون الصليبيون الجدد» كتب بيل بركوبتز يوم ٩ أبريل ٢٠٠٣ فى «كلمة الطريق» قائلا: لقد تلبد الجو هذه الأيام بالإعلان عن فرق المبشرين المسيحيين الأصوليين المتوجهين إلى العراق فى عملية تبشير بعد الحرب. وكل يوم يمر تمطر الولايات المتحدة مزيدا من الموت والدمار على شعب العراق وتزيد بذلك غضب العالم الإسلامى المتزايد بسرعة. وما أن تنتهى الحرب وتبدأ عملية الاحتلال فإن إدارة بوش تخطط لإقامة حكومة أمريكية مكونة من مسانديها السياسيين وشركات البترول، لترعى مصالحها. وخلف هؤلاء الحُصّاد الشرسين مباشرة يتبعهم جيوش من القادة الأصوليين المسيحيين، منقبين فى الرمال بحثا عن أتباع جدد..

«وطوال الأيام العشرة الماضية أعلنت العديد من المنظمات الأصولية المسيحية خططها لتدعيم فتح منافذ وإيجاد فرص للمساهمة فى إعادة بناء العراق. والغريب أنه قبل الحرب لم يكن أى واحد منهم يفكر فى العمل ليمنع إدارة بوش من اجتياح هذا البلد، والآن يبدون جميعهم مهتمين بالذهاب إلى العراق حتى وإن كان شعب العراق غير راغب فى وجودهم!

«ولقد اعلن القس فرانكلين جراهام حديثا أن منظمته، شبكة الإنقاذ، ستفتح الطريق. ولعلكم تذكرون أن القس بيلى جراهام ابن القس فرانكلين جراهام، قد سب كل المسلمين عقب أحداث ١١ سبتمبر بقليل وقال إن الإسلام «شر». والآن، هاهو مع العديد من جماعات الأصوليين المسيحيين الأمريكيين والكنديين يعدون الشاحنات المليئة بالأناجيل والأربطة.

«ولا يجب أن ننسى أن القس فرانكلين جراهام واحد من العديد من القادة الأصوليين المسيحيين الذين قادوا حملة كراهية واسعة ضد الإسلام، وقد تضمنت هذه الحملة عبارات ضد الإسلام والمسلمين والقرآن بل والنبى محمد أيضا.

«وقد أعلنت وكالة أنباء أجابى بريس، وهى وكالة أنباء مسيحية، عن أن المبشر فرانكلين جراهام قد تولى قيادة الجمعية التبشيرية لوالده وأصبح يقود منظماتها. وجمعية شبكة الإنقاذ واحدة من أوسع المنظمات المسيحية انتشارا، ولقد تم تجنيدها لتقوم بمساعدة أولئك الذين أصابتهم حرب تحرير العراق.

«وبعد أحداث ١١ سبتمبر بقليل قام القس فرانكلين جراهام بصعق المسلمين وإدارة بوش بمحاولة تهميشه الإسلام معلنا: «إن إله الإسلام ليس هو نفس إلهنا. إنه ليس ابن الله كما فى العقيدة المسيحية أو العقيدة اليهودية ـ المسيحية. إنه إله مختلف، وأومن بأن الإسلام عقيدة شديدة الشيطانية وشريرة». وبعد ذلك قال فى قناة إن بى سى: «الذين هاجموا المبنيين لم يكونوا إصلاحيين أو تابعين للوثر. إنها كانت هجمة على هذا البلد من أشخاص من العقيدة الإسلامية».

«وفيما يتعلق بحربه الصليبية، قال جراهام لشبكة بليفت نت: «نحن مدركون أننا فى دولة عربية وأنه لا يمكننا أن نخرج على الملأ ونبدأ فى الخطابة التبشيرية». وبعد قليل أضاف قائلا: «أعتقد أنه بينما نقوم بالعمل، سوف يعطينا الله الفرص لنقول للآخرين ونحدثهم عن ابنه. نحن هناك لنبلغهم أننا نحبهم ونتقذهم، وبصفتى مسيحيا فأنا أقوم بذلك باسم عيسى المسيح.

«والقس جراهام ليس وحده الذى يتبع هذه الحرب الصليبية للقرن الواحد والعشرين. فإن جمعية المعمدان الجنوبية (SBC) وهى واحدة من أكبر المنظمات التبشيرية البروتستانتية، بل زعيمة المبشرين، فهى أيضا تخطط لإنقاذ العراق ما أن تنتهى الحرب. ووفقا لشبكة بليف نت، فإن جمعية المعمدان الجنوبية هذه قد قامت منذ خمس سنوات بإعادة تنظيم طاقم إدارتها للبعثات التبشيرية الدولية للتركيز على تلك المناطق من العالم التى يعيش بها المسلمون. وفى ذلك العام قامت الجمعية بطبع كتاب إرشادى للصلاة ليستخدموه لتتصير المسلمين.

«وجمعية القس دونالد وايلدمون المعروفة باسم جمعية العائلة الأمريكية (AFA)، لها أيضا مخطط للتدخل الإنقاذى فى العراق. وعلى الرغم من أن الشبكة الإلكترونية لهذه الجمعية والتى تحمل لافتة ثابتة مكتوب عليها «هل الإسلام دين سلام» وإجابة الجمعية على هذا السؤال بالنفى طبعا، فإن القس الراعى لها يقول: «نود الذهاب إلى العراق بعد أن نجمع لهم الأموال لمساعدتهم على إعادة بناء بلدهم ونعرّفهم أن مسيحيى أمريكا يهتمون بهم ويريدون مساعدتهم على التخلص من الطغيان.

«وبينما المسيحيون واليهود فى إدارة بوش يقودون حملة دمار شاملة على العراق ويقومون بذبح الآلاف من المدنيين العزّل، يريد القس وايلدمون أن يعرِّف العراقيين أن عطف المسيحيين وحبهم لا يتوقف عند الشطآن!..

«وهناك القس جيف كريستوفرسون، راعى كنيسة أوكفيل خارج مدينة تورنتو فى كندا، «يعرب عن أمله فى أن يشيّد كنائس فى بغداد ما أن تتم الإطاحة بصدام حسين. ويضيف القس أنه قام باتصالات مع بعض العراقيين المسيحيين المقيمين فى تورنتو وقالوا له «إن بلدهم مستعد لتلقى تعاليم الإنجيل»! ويضيف القس كريستوفرسون أن هناك فى بغداد حوالى خمسمائة مؤمن مستعدين لتلقى التحرر مما هم فيه.

«ويضيف نفس هذا القس إنه ما أن يتم افتتاح خط أنابيب البترول ستكون كنيسته على أهبة الاستعداد. فمع أمل هذه النافذة التى ستفتح نريد أن نقفز منها وندخل هناك حيث يمكننا مشاهدة الكنائس وهى تقام. إننا نريد على الأقل أن تكون لنا شبكة إلكترونية وقد حبانا الله بأن أوجد لنا منفذا فى الأوساط العليا كمدخل للعراق.

«وأخيرا فإن المنظمة الأمريكية المعارضة للإجهاض (ALL) تحذر من أن برنامج تنظيم الأسرة سيعرف طريقه إلى العراق، وسوف تقف نساء العراق فى طوابير للإجهاض فى القريب العاجل. وفى تصريح صحفى لمنظمة تنظيم الأسرة الأمريكية، أعلنت رئيستها جلوريا فلدت أنها تريد أن يتم الإجهاض الإجبارى على اللاجئات العراقيات بدلا من حملهم العقيدة الإسلامية. وجميع العاملين بهذه المنظمة يعلنون «أنه ما أن يتوقف إطلاق النار حتى ستبدأ حرب الإجهاض».

«ويعلن چيم سولاك «أن برنامج تنظيم الأسرة لا يعرف الحدود»!، وهو المدير التنفيذى للجمعية، ويضيف قائلا: «إن الشعب العراقى يتطلع إلى الحصول على حرية حقيقية من القهر، إلا أن برنامج تنظيم الأسرة الأمريكى يريد أن يفرض نفسه ويكسب حربه على أطفال العراق قبل ولادتهم من خلال برنامجه الديكتاتورى للإجهاض ومنع الحمل».

«هل يمكن لأحد أن يتخيل أى شىء أقل ترحيبا وأكثر حرجا وإهانة للشعب العراقى من أن يرى القس فرانكلين جراهام يجوب القرى المدمَّرة حاملا فى يد بعض الأربطة البلاستكية وفى اليد الأخرى بعض الأناجيل؟!»

- وفى خطاب الرئيس الفرنسى چاك شيراك إلى البابا يوحنا بولس الثانى، الوارد فى مجلة إكسبريس ٢٠٠٣/٣/٢١ يقول (...) «كما إنى أضع فى الاعتبار حماية الجماعات المحلية المسيحية المهددة فى منطقة الشرق الأوسط والأدنى والتى نعلم جميعا أن اهتمامات وعطف قداستك تتجه إليها».

- وفى ٢٠٠٢/٧/١٠ كان لوران موراڤييتس قد أعلن فى تقريره أمام مجلس الدفاع، وكان ذلك بدعوة من ريتشارد بيرل، وطالب بتغيير النظام فى المملكة العربية السعودية والقضاء على الإسلام.
- وتحت عنوان «أمريكا ستكسب الحرب العالمية الرابعة» كتب جيمس وولسى المدير السابق للمخابرات المركزية الأمريكية فيما بين ١٩٩٣ و١٩٩٥ «لقد دخلنا الحرب العالمية الرابعة والتى هدفها أكبر من أن تكافح الإرهاب، فهو يرمى إلى أن تمتد الديمقراطية إلى مختلف بلدان العالم العربى والإسلامى اللذين يهددان الحضارة الحرة التى شيدناها طوال القرن العشرين ودافعنا عنها طوال الحرب الباردة، الحرب العالمية الثالثة(...) ولكى نهزم الإرهاب لابد لنا من تغيير معالم الشرق الأوسط.
- وإذا ما فتح القارئ الإنترنت على جريدة أومانيتيه الفرنسية وهى تعرض أرشيفها للقراء مجانا، سيجد ٣٣٥ عنوانا تحت مسمى حرب صليبية، وكلها مقالات صدرت فى الآونة الأخيرة وخاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر أو عند الإعداد لحرب العراق، ونقتطف منها بعض هذه الفقرات:

فى ٢٠٠٣/٢/١٢ كتب برونو أودنت وچان بول بييرو تحت عنوان: «لماذا يتعين على فرنسا أن تصمد»:

(...) «إن ما تغيّر اليوم بالنسبة للصراعات السابقة (حرب الخليج، كوسوڤو، أفغانستان) هى الهاوية التى تفصل الرأى العام العالمى، المعارض إجمالا لحرب جديدة، ومجلس الأمن بمنظمة هيئة الأمم المتحدة، إذا ما وافق الأخير على **الحرب الصليبية** التى يقودها بوش. وحتى إذا ما قام ساكن البيت الأبيض هذا وأشعل الحرب مخالفا لرأى الأمم المتحدة، فلا شرعية لما يقوم به. الأمر الذى سيفتح المجال للتساؤل حول الإدارة الجديدة للعالم فى الأزمة السياسية المتوقعة نتيجة لذلك»..

- ❑ وفى نفس التاريخ وتحت عنوان: «ليل النفس المظلمة» كتبت رچين ديفورچ: (...) فى البيت الأبيض يوجد رجل، ليس بإله، لكنه يكاد يمتلك نفس السلطان، وينتظر بفارغ صبر متزايد أن تنضم «أوربا العجوز» دون اعتراض إلى **حربه الصليبية** ضد «قوى الشر».

- ❑ وفى ٢٠٠٣/٢/١٠ كتب عقبا لمرانى تحت عنوان «اختيار الخوزات الزرقاء». (...) «فمن الجانب الأمريكى، أن دور النجم بلا منازع يقوم به دونالد رامسفيلد، وزير الدفاع الأمريكى الذى تفوق على نفسه فى دور المبشر المجنون لأمريكا البيضاء المسيحية (...) إن المعنيين الآخرين فى هذه المأساة (أوربا، تركيا، روسيا، البلدان العربية..) غير مقتنعين **بالحرب الصليبية الأمريكية**».

- ❑ وفى ٢٠٠٣/١/٣٠ كتب بيير لوران فى الافتتاحية تحت عنوان: «اعتراف بالضعف»: «إن التشبث الحربى المقلق لبوش لا يقنع أحدا، ولعبة البوكر الجديدة القائمة على «أدلة» هى اعتراف بالضعف. ففى **حربه الصليبية** ضد العراق قد خسر بوش معركة أساس هى معركة الرأى العام، لكنه مع ذلك لم يتخل أبدا عن رغبته فى الحرب».

- ❑ وفى ٢٠٠٣/١/٢٣ كتب چون - بول بييرو فى الافتتاحية تحت عنوان «بورتو اليجرو والعالم» منذ عام، وفى الوقت الذى كان ينعقد فيه المؤتمر الاجتماعى العالمى فى بورتو اليجرو (FSM) كان چورچ بوش - فى خطابه حول حالة الاتحاد - يتحدث عن تلك المسيرة الجنائزية التى تدفعنا اليوم إلى أبواب الحرب. إنه مؤتمر اجتماعى عالمى ضد تدخل مسلح جديد يبدأ اليوم كصدى للرأى العام الرافض لتجنيده فى **حرب صليبية بترولية**»

- ❑ وفى ٢٠٠٣/١/٢٠ كتب چون - بول بييرو فى الافتتاحية تحت عنوان: «فيتو الرأى العام» إن موجة الاعتراضات التى تجتاح العالم هذا الأسبوع تفتتح مرحلة جديدة من معارضة شعوب العالم ضد حرب العراق التى

نسجها الفريق القابع فى البيت الأبيض ومستشارو إدارة الشركات النفطية. إن المشكلة التى يواجهها الرئيس الأمريكى أكثر تعقيدا مما يمكن أن تكشف عنه ميوله الحربية فى منطقة الخليج (...) لقد تخيل بوش أنه يمكنه تجنيد الشعور العام الشعبى، بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، فى **حربه الصليبية** ضد ما أطلق عليه «محور الشر»..

- وفى ٢٠٠٣/١/٢٨ كتب چون - بول بييرو تحت عنوان: «أديان.. تحالف غير مقدس فى الولايات المتحدة» حول تطور العلاقات بين اليمين الجمهورى واليمين المسيحى والآخرين، (...) ولقد عاون هذا الأخير اليمين الجمهورى لاختلاق التشابه بين حرب دينية وحرب ثقافية ووطنية جديدة أعقبت أحداث الحادى عشر من سبتمبر، نجد أصداءها فى «صدام الحضارات» العزيز على صمويل هانتنجتن وعلى نداء چورج ووكر بوش **لحرب صليبية**.
- وفى ٢٠٠٣/١٢/٢٨ كتب القس چاك مورى الرئيس السابق للاتحاد البروتستانتى فى فرنسا تحت عنوان: «البعد الدينى يعقد كل الأمور». (...) لايمكن استبعاد البعد الدينى من الوضع الراهن، فالصراعات الدينية كانت سببا فى اجتياح يوغسلافيا السابقة، وفى أيرلندا وبريطانيا، ولا أقول شيئا عن مأساة فلسطين اليوم والاستفزاز الدينى الذى قام به شارون باجتياحه ساحة المساجد، والأصولية التى تحوم حول البيت الأبيض التى تحدد باسم «الرب» السياسة الأمريكية المحابية لإسرائيل بلا قيد أو شرط، الأمر الذى يجعلها أكثر تعقيدا (...) لذلك، حينما أسمع الرئيس بوش يتحدث عن **حربه الصليبية** للخير ضد الشر، أتوقع أسوأ ما يمكن توقعه.
- وفى ١٩ أكتوبر ٢٠٠٢ كتب بيير برنانسى تحت عنوان: «الرعب للدفع إلى الحرب (...) وبعد عام من **الحرب الصليبية** على أفغانستان تستعد أمريكا

لمرحلة جديدة فى **حربها الصليبية** ضد العالم الإسلامى، وهذه المرة فهى تقودها ضد الشعب العراقى المسلم، لتستكمل خطتها لتفتيت الأمة وسرقة ثرواتها».

- وفى ٩ أكتوبر ٢٠٠٢ كتبت مارى ـ چورج بوفيه، السكرتير العام للحزب الشيوعى الفرنسى تتهم التطلعات الحربية للولايات المتحدة «إن الصراع ضد الإرهاب قد اتخذ حجما جديدا. إن مكافحة الإرهاب لابد منها، لكن من العار توظيف مأساة ١١ سبتمبر التى عاشها الشعب الأمريكى ودفع العلاقات الدولية فى **حرب صليبية** للخير ضد الشر أو لصدام حضارات الشرق والغرب. إن الإطار العام للحرب الموجهة ضد العراق تأخذ هذا الشكل. ولا يوجد أى سبب حقيقى لهذه الهجمة إلا أطماعهم فى البترول ورغبتهم فى السيطرة على هذه المنطقة من العالم، أو الإعداد للانتخابات القادمة».

- وفى ٢١ سبتمبر ٢٠٠٢ كان النائب اليسارى چان كلود لوفور قد كتب تحت عنوان «لنتعلم قول كلمة لا» قائلا: «إن الحرب ضد العراق ستكون بمثابة كارثة حقيقية على الشعب العراقى وعلى العالم أجمع (...) يجب أن يكون واضحا أن فرنسا لن تشترك فى مثل هذه **الحرب الصليبية** التى تريدها أمريكا هى أكثر إمبريالية ووحدوية النظر أكثر من أى وقت مضى. يجب أن نتعلم أن نقول لها «لا»!

- وفى حديث مع چان بول مونفيران فى ١١ سبتمبر ٢٠٠٢، قال الفيلسوف پان موليبه ـ بوتانج «لتدعى أوربا كما تشاء أنها تقاوم التسطيح الأمريكى فيما يتعلق باستراتيچية الجغرافيا السياسية على العراق مثلا، أو حتى فى زعمها **الحرب الصليبية** على الإرهاب وتلك الحملة التى تأخذ شكل مهزلة شؤم كوارثية، فذلك لا يمنع من أنها تقوم بنفس التبسيط أو أسوأ مما تفعل أمريكا فى الطريقة التى تعامل بها الأقليات القائمة لديها»..

وبعد عام من أحداث ١١ سبتمبر كتب بول فالزون مونفران قائلا فى ١٥

سبتمبر ٢٠٠١: ساندت روسيا چورج بوش فى **حربه الصليبية** الطويلة ضد الإرهاب. وبفتح أراضيها للجيوش الأمريكية فإن باكستان قد وقَّعت على انفصالها عن كابول، وسرعان ما قلدتها بعض البلدان الأخرى...

❑ وفى ٢٠٠٢/٨/١٧ كتب عقبى لمرانى «منذ أشهر والولايات المتحدة تعد الرأى العام لتدخل عسكرى فى العراق وهذه **الحرب الصليبية** الجديدة تقلق العالم»..

❑ وفى ٢٠٠٢/٥/٢٢ كتب دانيال سيريرا عضو المجلس القومى للحزب الشيوعى والمسئول عن العلاقات الدولية تحت عنوان «بوش، وجهة نظر» قائلا: لقد أتى الرئيس چورج بوش ليشرح مباشرة للأوربيين لماذا يكون من الأصوب لهم أن يلتفوا حول راية **حربه الصليبية** للخير ضد الشر. ومن المهم أن نشرح له أننا لا نقاسمه نفس الرأى أو وجهة النظر فهذه الرؤية التسطيحية الجهنمية، الإمبريالية، تثير مخاوف شديدة العمق..

❑ وفى ٢٠٠٢/١/٣١ قال بيتر كويوت تحت عنوان «أمريكا أضاعت فرصة».. إنها تدفعنا للوقوع فى فخ يبدو فيه أن المسيحية والحضارة الغربية يستعدان للانطلاق فى **حرب صليبية** ضد الإسلام.

كانت هذه بعض النماذج العشوائية التى اخترناها من بين ٣٣٥ عنوانا لمقالات تتناول فكرة الحرب الصليبية التى تشنها الإدارة الأمريكية ضد الإسلام والمسلمين. أما تحت كلمة تبشير فقد وجدنا فى شبكة «ياهو» واحدا وثلاثين ألفا ومائة موقع للتبشير والمنظمات والهيئات والمعاهد التبشيرية، والمدارس والجامعات والمؤتمرات والخلايا المتفرعة منها، بل ومنها موافقة البابا يوحنا بولس الثانى على استخدام الإنترنت فى عملية التبشير بعد أن كان رافضا لها..

وقبل أن ننهى هذه المقدمة من المقتطفات والتى لا تسمح لأى إنسان أمين أو محايد أو حتى له بقية من الضمير الحىّ أن ينكر حقيقة هذه الصفة

الدامغة لحرب بوش وإنها بالفعل حرب صليبية تنصيرية بشعة الأبعاد والمرمى، نلفت نظر القارئ إلى أن جريدة «النيويورك تايمز» بتاريخ ٥، ٦ أبريل ٢٠٠٣ قد كتبت فى موضوعين متتاليين عن عملية التنصير الدائرة فى العراق مدعمة بالصور.. وقد نقلت جريدة «الأسبوع» المصرية عنها هذا الموضوع فى العدد الصادر فى ١٤ أبريل ٢٠٠٣ تحت عنوان: النيويورك تايمز تكشف تفاصيل المخطط: حملات تبشيرية لتنصير الشعب العراقى تنطلق من الكويت».

فهل بعد ذلك من منكر لهذه الحرب الصليبية التى بدأت بالفعل بافتعال أحداث الحادى عشر من سبتمبر لتتلفع بالشرعية الدولية؟!



الفصل الأول

جذور هذه الحرب الصليبية

لكى ندرك حقيقة وأبعاد هذه الحرب الصليبية التى يريدونها كاسحة، لابد لنا من أن نعود إلى الجذور الحديثة الحاسمة التى أشعلتها، أى أن نعود إلى عام ١٩٦٥ تحديدا وليس إلى جذورها الممتدة فى التاريخ، منذ بداية انتشار الإسلام ومحاربته بصور متفاوتة الحدة والأحاييل - وإن كان لابد من أخذها فى الاعتبار كإطار عام لمجريات الأحداث.

ويمثل عام ١٩٦٥ نقطة فارقة فى التاريخ الكنسى برمته، إذ يشير إلى المجمع الفاتيكانى المسكونى الثانى، المعروف اختصاراً باسم «فاتيكان اثنين»، وذلك لأنه يوجد مجمع آخر فى تاريخ المجامع معروف باسم «فاتيكان واحد» أو المجمع الفاتيكانى المسكونى الأول، عام ١٨٦٩.

والمجمع المسكونى، على خلاف أية مجامع أخرى، فهو ملزم لكافة أصحاب القرار من ملوك ورؤساء فى مختلف البلدان المسيحية والكنائس - على الرغم من اختلافاتها العقائدية الجذرية التى لا يمكن رأبها إلا بخروج صاحبها عن عقيدته..

ومجمع فاتيكان اثنين هذا يعتبره كل من تناوله بالتقديم أو التحليل والدراسة أو حتى بالهجوم - لخروج الكنيسة الفاتيكانية والبابا الذى يرأسها عن مواقف عقائدية كانت تبدو راسخة لا يمكن الإطاحة بها - أول مجمع هجومى فى التاريخ بصورة لا سابقة لها فى الحياة المجمعية أو الكنسية، وأنه أهم حدث فى تاريخ الكنيسة فى القرن العشرين. وقد امتد انعقاد هذا المجمع من ١١ أكتوبر عام ١٩٦٢ إلى ٨ ديسمبر عام ١٩٦٥. وحضره ٢٦٥٠ من الأساقفة والكرادلة من كافة الأقطار والأجناس.

ويوضح جوزيف توما فى كتابه المعنون «فاتيكان اثنين» والصادر عام ١٩٨٩ قائلا: «إن الفرق الكبير بين المجامع السابقة وهذا المجمع هو أن كافة المجامع السابقة كانت تُدعى للانعقاد بسبب الأخطار التى كانت تتعرض لها الكنيسة والمتعلقة بعقيدة الإيمان والانشقاقات التى كان يتعيّن التصدى لها أو إيجاد حلول تتمشى مع الخط الأساسى الذى رسمته الكنيسة الأم للعقيدة ولنفسها. أى أن تلك المجامع كانت بمثابة ملجأ للكنيسة فى مواجهة أخطار تواجهها من الخارج ومن الداخل (...) أما هذا المجمع، فأهم ما ركز عليه هو كيفية توصيل الإنجيل وغرسه فى عالم اليوم».

أما كلود بريسوليت، الذى كتب عن هذا المجمع فى «معجم اللاهوت» الصادر عام ١٩٩٨، إنه «قد تم تناول كافة مشاكل العالم على ضوء العقيدة الكاثوليكية الفاتيكانية والتبشير».

ومن أهم الموضوعات التى لم يسبق للكنيسة تناولها فى المجامع السابقة، سواء أكانت مسكونية (أى عالمية خاصة بكل الأرض المسكونة) أو عادية، حياة القساوسة الخاصة وتكوينهم؛ قرارات بشأن المدنيين أو العلمانيين - أى الذين لايندرجون رسميا فى الهيكل الخاص برجال الدين المسيحى؛ السيدة مريم العذراء وإضفاء مهمة الخلاص البشرى على عاتقها مثلها مثل السيد المسيح الذى «هو الله» فى العقيدة التثليثية - وإن كان كونه

«الله» فذلك لا ينفى عنه أنه «ابن الله» أيضاً فى هذه المسيحية الحديثة؛ والنشاط التبشيرى للكنيسة تجاه غير المسيحيين. وأجدد ما تمخض عنه هذا المؤتمر - على حد وصف جوزيف توما، فهو «ذلك النشاط الرعوى لغرس الإنجيل فى زماننا وتوحيد الكنائس، وعلاقة الكنيسة بالديانات غير المسيحية وحرية العقيدة».

ولقد تمخض المجمع عن ثلاثة أنواع من الوثائق: أربعة منها تمثل «قوانين أساسية»؛ وتسعة منها تمثل «قرارات تطبيقية»؛ وثلاثة منها عبارة عن «بيانات». وهذه الأنواع الثلاثة من الوثائق قد تم نشرها فى اثنى عشر مجلدا متفاوتة الأحجام، فى دار نشر «دو سير» تحت عنوان عام هو: «مجموعات قدسية»، وإن كان لكل مجلد منها عنوانه الخاص المتعلق بمحتواه.

فالمجموعة الأولى تحتوى على عناوين: الكنيسة؛ الكلمة الموحاة؛ الطقوس الدينية؛ والكنيسة فى العالم. والمجموعة الثانية تحتوى على عناوين المجلدات أو الأجزاء التالية: المهمة الرعوية للأساقفة؛تكوين وحياة القساوسة؛ الإعداد اللاهوتى؛ تأقلم الحياة الدينية؛ الرسالة التبشيرية للمدنيين أو العلمانيين؛ النشاط التبشيرى للكنيسة؛ الكنائس الشرقّية الكاثوليكية؛ توحيد الكنائس؛ وسائل الاتصال الاجتماعى. أما المجموعة الثالثة فتحتوى على عناوين المجلدات التالية: التربية المسيحية؛ الديانات غير المسيحية؛ حرية العقيدة.

وبذلك يمثل مجمع الفاتيكان الثانى خطوة حاسمة لا رجعة فيها بالنسبة للكنيسة الكاثوليكية فى روما أو الفاتيكان، فى خطة توحيد الكنائس وتنصير العالم من خلال الحوار ومشاريع أخرى.. فلم تعد الكنائس المنشقة تسمى «بالهراطقة» كما اعتادت روما أن تطلق عليها، وإنما أصبح اسمهم «الإخوة المتفرقين»، ولم يعد اسم أتباع الديانات الأخرى غير المسيحية، ومنهم المسلمون بالطبع، «الكفرة»، وما تلاها من شتائم وأوصاف، وإنما «الذين لم

يدخلوا بعد فى عقيدة الإيمان المسيحى» أى أن مسألة تنصير العالم برمته، وبلا مناقشة، قد تم اتخاذه بالإجماع الكنسى الفاتيكانى فى عام ١٩٦٥.. ..

إذ تبدأ الوثيقة الأولى المعنونة «الكنيسة»، بعبارة تقول فى فقرتها الأولى: «تنوى الكنيسة إظهار طبيعتها ورسالتها التبشيرية العالمية بصورة أكثر دقة لأتباعها وللعالم بأسره».. أما الفصل الثانى من نفس هذه الوثيقة أو هذا المجلد الأول لقراراتها فيوضح أنه «لا انفصال بين طبيعة الكنيسة ورسالتها التبشيرية. فالكنيسة تبشيرية بطبيعتها ونشاطها التبشيرى ليس نتيجة لشىء ما وإنما يسوع المسيح هو الذى ألقى عليها بهذه المهمة». ومن هنا راح البابا يؤكد فى كل خطبه أنه «لاخلاص إلا بالمسيح»!..

وقبل أن ننتقل إلى عرض موجز لأهم القرارات التى اتخذها المجمع الفاتيكانى الثانى لابد لنا من وقفة قصيرة نوضح خلالها تلك المغالطة التى يستند إليها البابا لإعلان قراره بأن السيد المسيح هو الذى ألقى عليهم بمهمة تبشير وتنصير العالم. إذ يستند البابا إلى أن إنجيل متى ينتهى فى الإصحاح ٢٨ : ١٩ بآية تقول: «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس»..

ومن المعروف تاريخيا ـ وكافة الوثائق موجودة فى متناول يد الجميع، أن بدعة الثالوث قد بدأت فى مجمع نيقية الأول سنة ٣٢٥ الذى تم فيه تأليه السيد المسيح. الأمر الذى أدى إلى انقسامات عقائدية جذرية استمرت حتى يومنا هذا، فمنهم من جعل السيد المسيح إلهاً، ومنهم من يعتبره نبيّاً من الأنبياء، ومنهم من يعتبره بين هذا وذاك أى أن له طبيعتين وأن له إرادتين.. ولا افتراء فى هذا القول إذ أن نص عقيدة الإيمان الذى فرضه مجمع نيقية الأول يقول تحديدا:

«إننا نؤمن بإله واحد، الآب القوى، خالق كل الكائنات المرئية وغير المرئية، وبرب واحد، يسوع المسيح، ابن الله، المولود الأوحد من الآب، أى أنه

من نفس جوهر الآب، إله من إله، نور من نور، إله حقيقى من إله حقيقى، مولود وليس مخلوقاً، من نفس جوهر الآب الذى عُمل منه كل شىء، ما هو فى السماء وما هو على الأرض، والذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا قد نزل وتجسد، وجعل نفسه إنسانا، وتألم وبُعث فى اليوم الثالث، ثم صعد إلى السماوات، وسيعود ليحاكم الأحياء والأموات، وبالروح القدس». وينتهى قرار المجمع بأن الكنيسة الكاثوليكية الرسولية تلعن كل من لا يؤمن بذلك! (تاريخ المجامع المسكونية جـ ٢ صـ ٣٥)

ومن المعروف تاريخيا أيضا أن مجمع القسطنطينية المنعقد سنة ٣٨١ قد قام بتعديل نص عقيدة الإيمان السابق وفرض تأليه الروح القدس - بعد أن كانوا فرضوا الإيمان به فقط، وبذلك أصبح نص عقيدة الإيمان الجديد هو:

«إننا نؤمن بإله واحد آب قوى، خالق السماء والأرض، وكل الأشياء المرئية وغير المرئية، وبرب واحد يسوع - المسيح، ابن الله المولود الأوحد، الذى ولده الآب قبل كل القرون، نور من نور، إله حقيقى من إله حقيقى، مولود وليس مخلوقاً، من نفس جوهر الآب، الذى عُمل منه كل شىء، والذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا قد نزل من السماوات وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء، وجعل نفسه إنساناً، وقد تم صلبه من أجلنا فى عهد بونس بيلاتوس، وتألم وتم تكفينه، وبُعث فى اليوم الثالث وفقاً للنصوص، وصعد إلى السماوات، ويجلس عن يمين الآب وسيعود ممجداً ليحاكم الأحياء والأموات؛ وأن حكمه لا نهاية له؛ وبالروح القدس، الذى هو رب ويمنح الحياة، ومنبثق من الآب، ويُعبد ويُمجد بمشاركة مع الآب والابن، وقد تحدث عن طريق الأنبياء؛ وبكنيسة واحدة فقط، كاثوليكية ورسولية، ونقر بتعميد واحد لمغفرة الخطايا، وانتظار بعث الأموات والحياة فى العالم القادم آمين» (تاريخ المجامع المسكونية جـ ٢ صـ ٧٣).

وقد أثار هذا النص الذى فرض تأليه الله ويسوع والروح القدس العديد من الخلافات التى لا شأن لنا بالخوض فيها، لكن الجدير بالذكر أن

هذا النص الذى يحدد أن السيد المسيح قد ولد من الروح القدس والسيدة مريم العذراء، فإن الكنيسة نفسها لم تعترف بها رسميا بأنها أم الله المسيح إلا فى مجمع أفوس عام ٤٣١ ! وظلت الخلافات تتصاعد حول تكوين الثالوث وحول مساواة أطرافه الثلاثة وأن الثلاثة واحد حتى مجمع ترانت عام ١٥٦٣، الذى أعاد صياغة عقيدة الإيمان، مؤكداً على إدانة البروتستانت بلا مواربة لإيمانهم بأن يسوع نبى من الأنبياء، كما قام بفرض عقيدة الأسرار السبعة للكنيسة الكاثوليكية، ومنها الإيمان بالثالوث، وبالتجسد أى تجسد الله فى يسوع وبالفداء الخ...

ولقد امتد مجمع ترانت هذا من عام ١٥٤٦ إلى عام ١٥٦٣ على عدة دورات وفرض عقيدة الإيمان بصياغة جديدة هى:

«أومن بإله واحد، الآب القوى، خالق السماء والأرض، والكون المرئى وغير المرئى، أومن برب واحد، يسوع المسيح، الابن الأوحد لله، مولود من الآب قبل كل القرون: إنه الله، مولود من الله، نور، مولود من نور، إله حقيقى مولود من الإله الحقيقى، مولود وليس مخلوقاً، من نفس طبيعة الآب، ومنه عُمل كل شىء، من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء، ومن الروح القدس تجسد من مريم العذراء وجعل نفسه إنساناً وصُلب من أجلنا أيام بونس بيلاتوس، وعانى «آلامه» ووضع فى القبر، وبُعث فى اليوم الثالث وفقا للنصوص، وصعد إلى السماء؛ إنه يجلس عن يمين الآب، سيعود فى المجد ليحاكم الأحياء والأموات، ولا نهاية لحكمه، أومن بالروح القدس، الذى هو رب ويمنح الحياة، إنه منبثق من الآب والابن، ومع الآب والابن يحصل على نفس العبادة ونفس المجد، أقر بتعميد واحد لمغفرة الخطايا، أنتظر بعث الأموات والحياة فى العالم القادم، آمين» (تاريخ المجامع المسكونية جـ ٣ صـ ١٣٤٩)

ولم نتناول هذه الجزئية إلا لنوضح بالنصوص أن المسيحية الحالية قد تم تعديلها وتبديلها وتغيير نصوصها عبر المجامع على مر التاريخ، ولكى نشير

أيضا إلى نقطة لها أهميتها: أن نص أو صياغة الثالوث، الذى يمثل أول وأهم الأسرار السبعة التى تقوم عليها الكنيسة الكاثوليكية منذ القرن السادس عشر، هذه الصياغة بأقانيمها الثلاثة أو هذا الرمز العقائدى الذى تم ابتداعه عام ٣٨١ وتعرض لخلافات جذرية حتى تم فرضه نهائيا سنة ١٥٦٣، موجود بالنص حرفيا فى إنجيل متى، المفترض صياغته حوالى عام ٨٠ أو ٨٥، بالإصحاح ٢٨ : ١٩، وهذا نصه: «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس»! وإن كانت أعمال الرسل تنص على أن يتم التعميد باسم يسوع فقط (١:٥ و٢:٣٨)..

ولا معنى لهذه البلبلة إلا أمران: إما أن أتباع الكنيسة لا يقرأون إنجيلهم ولا يؤمنون بما ورد به من آيات حتى اضطرت الكنيسة إلى فرضه من خلال المجامع المختلفة كما رأينا، وإما أن هذه الآية قد أضيفت بفعل فاعل إلى إنجيل متى لكى تستند إليها الكنيسة فى حربها لتنصير العالم وتستخدمها كذريعة «منزّلة» مفروضة من «يسوع.. المسيح.. الله» كما يقول نيافة البابا!

وإذا ما تأملنا التواريخ لأدركنا صحة هذه الرؤية الواضحة أنه تم بفعل فاعل بعد القرن الرابع.

ونرجع هنا إلى العرض الموجز لأهم قرارات المجمع الفاتيكانى الثانى الذى كنا قد توقفنا عنده وسوف نسردها تباعا حتى تبدو صورتها وأبعادها دفعة واحدة، ثم نتناول كل بند منها على حدة لتأكيد هذه الأبعاد ومغزاها:

١ ـ تبرئة اليهود من دم المسيح.

٢ ـ اقتلاع اليسار فى عقد الثمانينيات

٣ ـ اقتلاع الإسلام فى عقد التسعينيات

٤ ـ توصيل الإنجيل إلى كافة البشر.

٥ ـ توحيد كافة الكنائس تحت لواء كاثوليكية روما

٦ ـ فرض عملية التبشير على كافة المسيحيين، الكنسيين منهم والعلمانيين

٧ ـ استخدام الكنائس المحلية فى عمليات التبشير.

٨ ـ فرض بدعة «الحوار» كأسلوب للتنصير.

٩ ـ إنشاء لجنة خاصة للحوار.

١٠ ـ إنشاء لجنة خاصة لمهام تنصير الشعوب

١١ ـ تغيير اسم لجنة محاكم التفتيش



تبرأة اليهود من دم المسيح:

بعد ألفى عام من الإدانة واتهام اليهود فى كل قداس أحد، فى كافة كنائس العالم، على أنهم «قتلة الرب»، اكتشف المسئولون فى الفاتيكان فجأة براءة اليهود من دم السيد المسيح! وتضمن قرار تبرئتهم تحميل عبء أو وزر مقتله على كافة البشر. فاحتجت بعض الدول الإسلامية على مغزى هذه التبرئة، فعادت الكنيسة وغيرَّت قرارها لتحمّل هذا الوزر على كافة المسيحيين، بعد أن جاهدت لإقناع المسلمين بأن هذه التبرئة دينية بحتة ـ على حد قول الأب روبير كاسبار، الذى تناول صياغة الجزء الخاص بالمسلمين فى المجلد المعنون «علاقات الكنيسة مع الديانات غير المسيحية».

وفيما يتعلق بقرار التبرئة، فقد بنى المجمع قراره بناء على ثلاث نقاط هى: أن عددا قليلا من الأشخاص هم المسؤولون عن موت المسيح؛ وإدانته لمعاداة السامية، وأن السيد المسيح قد اختار الموت بنفسه بناء على رحمته الواسعة من أجل خلاص «كافة البشر»!! ثم يقول الأب كوتييه، الذى تناول صياغة الجزء الخاص باليهود، «حقا، هناك العديد من كتابات الآباء، والنصوص الدينية وفى التعليم المسيحى التى تؤكد صراحة على «خطيئة مقتل الرب» وأنها تقع على عاتق الشعب اليهودى بأسره. وبذلك تعد

النصوص التى تتناول آلام المسيح (من تعذيب وصلب) المستودع الأول الذى أدى الى معاداة السامية أو لعلها المنبع الوحيد لها» (صفحة ٢٥٦..)

وبرغم هذا، ورغم «قدسية» هذه النصوص بالنسبة للكنيسة والتى ظلت ومازالت تفرضها على أنها منزلة من عند الله، إلا أنها راحت تحدد: «كون الكنيسة تمثل حاليا شعب الله المختار، فإن اليهود لا يجب أن يتم تعريفهم على أنهم منبوذون من الله أو ملعونون وكأن ذلك ينجم عن النصوص المقدسة»! (البند رقم ٤ من بيان التبرئة).

ويضيف الأب كوتييه عن موقف الكنيسة، السابق وكيف أنه «كان يُفْرض عليهم التنصير أو الطرد من البلدان الأوروبية المسيحية، بل بعد الحروب الصليبية، اعتبرت الكنيسة اليهود أنهم عبيد، وذلك من القرن الثالث عشر حتى القرن الخامس عشر، وظل وضعهم يزداد سوءاً» (صفحة ٢٧٠) وبقية تاريخهم من جهة الكنيسة معروف..

وكل ما يعنينا توضيحه هنا تلك الازدواجية فى المواقف والتلاعب حتى بالنصوص وفقا للأهواء السياسية.. ذلك أن تبرئة اليهود التى تمت فى مجمع الفاتيكان الثانى سنة ١٩٦٥، تخالف نص عقيدة الإيمان المسيحى نفسها والتى تمت صياغتها، كما رأينا منذ صفحات قليلة، فى مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ ثم أعيدت صياغتها بنفس الاتهام فى مجمع ترانت سنة ١٥٦٣.. فما زالت الأناجيل تؤكد أن من أدانه هو الوالى بونس بيلاطوس ونطق بحكم الموت على يسوع بناء على رأى المجلس الأعلى اليهودى. بل هذا التأكيد نراه أيضا فى التعريف باسم بيلاطوس فى القواميس المدرسية ولا نقول فى الموسوعات كما أن إنجيل يوحنا وحده به ٣٥ مرة إشارة إلى اليهود بمعنى الجماعة الذين يكرهون يسوع ومسئولون عن المعارضة التى تم تنظيمها ضده. وهذه التسمية تشتمل على الفاريسيين والصادوقيين والكهنة الكبار الذين رفضوا جميعهم الإيمان بيسوع أى أنها تعم الشعب اليهودى بأنواعه..

والأدهى من هذا وذاك، أن يقوم الفاتيكان فى ١٩٩٣/٦/٣٠ بالاعتراف رسميا «بالوضع الراهن» للكيان الصهيونى المحتل لأرض فلسطين، أى الاعتراف بما يُطلق عليه زورا «دولة إسرائيل»، رغم معارضة ذلك للعقيدة الأساسية للكنيسة. وبذلك أقر البابا يوحنا بولس الثانى إقامة دولة دينية عنصرية هى الأولى من نوعها فى التاريخ.

وهنا لايسعنا إلا أن نسأل ذلك البابا الذى أقر وبارك هذا التحايل وعمل على تدعيمه رغم مخالفته للعقيدة التى يحمل «أمانتها»، والذى لم يكف عن قيادة العالم فى هذه الحرب الصليبية الجديدة والتى تمثل جزءاً لا يتجزأ مما يطلقون عليه «الموجة الثانية لتنصير العالم» وأنه «لاخلاص لأحد إلا بالمسيح»: ترى ماهو مصير هؤلاء اليهود وما موقفهم من ذلك الخلاص؟! هل ينوى نيافته تنصيرهم أم أن لهم «خلاصا» آخر خاصا بهم غير ذلك الذى يفرضه على العالم؟! أم أن اليهودية ستُفرض عليه؟!

٢ اقتلاع اليسار فى عقد الثمانينيات:

بدأ الإعداد لاقتلاع اليسار، بعامة، منذ تكوين الاتحاد السوفيتى فى مطلع العشرينيات، وبصفة خاصة، منذ مؤتمر يالتا عام ١٩٤٥ وتقسيم العالم إلى معسكرين وإنشاء الغرب لما أطلق عليه تشرشل آنذاك «الستار الحديدى»، ذلك الستار الذى أقاموه حول البلدان الاشتراكية حتى قضوا عليها.. وقد وصلت ذروة التحالف فى الغرب الرأسمالى ضد اليسار بذلك «الرباط المقدس» الذى تم توقيعه فى يونيو ١٩٨٢ بين رونالد ريجان ودويلة الفاتيكان. ففى حديث مع مجلة «بانوراما» الكاثوليكية الإيطالية فى مارس ١٩٩٢، أى بعد انهيار الاتحاد السوفيتى، قال الرئيس ريجان: «إن البابا كان بمثابة معونة ضخمة وحاسمة فى مساندة حركة «تضامن».. ذلك أننا وجدنا ـ هو وأنا ـ أن القاسم المشترك الأعظم بين الولايات المتحدة والفاتيكان يكمن فى وحدة

أهدافنا»، وإن كان التحالف قد تم قبل ذلك بكثير..

وجدير بالذكر هنا، أن الرئيس ريجان حينما بدأ حملته ضد اليسار آنذاك، بدأها بتلك الصيحة التى أعلن فيها على الملأ «أنها حرب صليبية».. وهى نفس العبارة التى أطلقها جورج دابليو بوش عند بداية حربه على الإسلام قبل حرب أفغانستان.

ولايرجع العداء بين الكنيسة واليسار إلى أنه يقوم بإلغاء سلطة الدين فى المجتمع فحسب، ولكن لمساسه باقتصاديات رجال الكنيسة وثرواتهم الطائلة. ذلك لأن أغلبيتهم ينتمون ويتمسكون بالرأسمالية ونظامها.. وما أكثر ما كتب عن فضائح رجال الفاتيكان المصرفية وتواطؤهم مع بعض رجال المافيا الإيطالية وغيرها من الجرائم المالية والمصرفية كغسيل الأموال.. ويكفى أن نطالع كتاب «تعرية الفاتيكان» الصادر عام ١٩٩٩ عن جماعة الألفيين، لندرك بعضا مما أصاب هذه المؤسسة الرأسمالية العتيقة، أو كتاب أنطوان كازانوفا عن «فاتيكان ٢ وتطور الكنسية» الذى يشرح فيه ذلك التاريخ الممتد من العداء والكراهية لنظام كان من المنطقى أن تقوم الكنيسة بتبنيه بدلا من العمل على اقتلاعه! إلا أن الجذور الممتدة لهذا العداء تكمن فى النصوص الكنسية ذاتها التى تحافظ على الفوارق الطبقية والعبودية، بدءًا من بولس الذى يطلب من العبيد طاعة أسيادهم بنفس الرهبة التى يخشون بها يسوع (خطاب إلى أهل أفسوس)، وأن يبجلوا أسيادهم بكل احترام (خطاب إلى تيموثى)، ويحافظ بطرس على نفس هذه الوصايا. كما يقوم الآباء الكنسيون باتباع نفس المثال. فالقديس سيبريان والبابا جريجوار المبجل يستندا إلى النصوص الإنجليلية لتثبيت العبودية.

ويأخذ توما الأكوينى جانب الذين يقولون بأن الطبيعة الإلهية قد خصّت بعض الناس بالعبودية، بينما يبرر القس بايبى شرعية العبودية اعتمادا على الاصحاح ٢١ من سفر الخروج والاصحاح ٢٥ من اللاويين.

وتستمر هذه الأسانيد حتى القرن التاسع عشر حينما كتب بيير لاروس فى الموسوعة العالمية الكبرى عام ١٨٧٠ قائلا: «بما أن كل الممثلين الشرعيين للكنيسة يقرون شرعيةالعبودية فلا يجب أن ندهش إذا ما استمرت حتى يومنا هذا فى المجتمعات المسيحية (...) بل إن المسيحية قد تواءمت منذ البداية مع نظام العبودية ولم تسع أبدا إلى إلغائه. وقد كان لابد من أفكار ومبادئ أخرى أن تنمو فى المجتمع لكى تقتلع نظام العبودية».

وهذه المبادئ أو الأفكار التى اندلعت من قاع مجتمعات الطبقة العاملة ومعاناتها هى الماركسية التى تصدت لها الكنيسة، لا لأنها تناقض تعاليمها فحسب وإنما لأنها تمس وجودها المادى من أساسه. لذلك اعتبرها الأسقف ستبمفل الألمانى أثناء جلسات مجمع الفاتيكان الثانى أنها «أكبر خطر معنوى يجتاح الإنسانية»، بل لقد زايد عليه الأسقف باربييرى الإيطالى قائلا: «إنها أسوأ فى حد ذاتها وفى توابعها من القنبلة الذرية»! الأمر الذى أدى بالأسقف بولاتى من الأرجنتين أن «يطالب باقتلاعها بحسم وبكل صخب»! (فاتيكان ٢ وتطور الكنيسة)..

وينتهى التقرير الذى تمت صياغته بعد المداولات الممتدة فى ذلك المؤتمر بعبارة تقول: «إن الكنيسة الكاثوليكية لم تكف أبدا عن طريق التحذيرات والعقوبات المتكررة، لإبعاد أتباعها المسيحيين عن المذهب الشيوعى أو ممارسته. واليوم، وبموجب واجبها الرعوى فإنه يتعين عليها أن تنطق بنفس الحكم عن طريق هذا المجمع المسكونى»!

لذلك تم الاتفاق على اقتلاع اليسار فى عقد الثمانينيات حتى لاتكون هناك أية أنظمة بديلة للرأسمالية الاستعمارية واقتصادياتها، لكى تُترك الساحة فارغة لتتزعمها الولايات الأمريكية المتحدة. ولذلك أيضا تم اتخاذ قرار تثبيت دعائم المسيحية الكاثوليكية بفرضها على العالم..!

ولقد سقط حائط برلين عام ١٩٨٩، وانهارالاتحاد السوفيتى عام ١٩٩١ بتواطؤ كل من الفاتيكان والمخابرات المركزية الأمريكية وجورباتشوف. وما اكثر ماكتب فى الغرب وفى فرنسا عن مليارات الدولارات التى تم إنفاقها لإتمام هذاالمخطط. وقد بادر الفاتيكان بإرسال مبشريه إلى روسيا والبلدان الشرقية السابقة لفرض كاثوليكيتها على شعوب ذلك الاتحاد الذى هدموه..وقد بدأت الكنيسة الأورثوذكسية فى روسيا تعانى وتعترض على محاولات الكاثوليك لاجتذابهم إلى عقيدتهم، وأصبحت معارك الكنيستين تذاع على الملأ فى الفضائيات وفى نشرات الأخبار..

ولا يخفى البابا يوحنا بولس الثانى ذلك الحماس القهرى الذى يحاول أن يفرض به مسيحيته، إذ أن أكثر ما يخشاه ـ على حد قوله ـ هو «أن تتجه تلك البلدان إلى الإسلام بعد أن تم هدم عقيدتها السياسية».

٣ اقتلاع الإسلام فى عقد التسعينيات:

من أهم المقولات التى ترددت بلاهوادة فى هذا المؤتمر الفاتيكانى الثانى عبارة: «لابد من تنصير العالم»! بل لعلها صارت المعيارية التى تتصدر كل توجهاته. أو على حد قول جوزيف توما فى كتابه حول هذا المجمع «إن التجديد الذى تسعى إليه الكنيسة هو إدراكها بضرورة جعل كفاءاتها أكثر قدرة على تنصير العالم».

والوثيقة الخاصة بالإسلام والمسلمين، تمت صياغتها مع إدراج الإسلام ضمن الديانات الآسيوية الكبرى التى وُجدت بعيدا عن المسيحية واليهودية ـ لاستبعاد الإسلام عن رسالة التوحيد. وهذا التوجه غير الأمين حتى فى صياغة النص الملئ بالمغالطات يكشف عن تلك النوايا التى لم تعد خفية على أحد. فالفاتيكان أو الكنيسة فى مجمل تفريعاتها لا تعترف بالإسلام كديانة سماوية توحيدية منزَّلة. وقد لخص الأب ميشيل لولنج هذه الحقيقة قائلا:

«إن الكنيسة تعتبرالمسيح خاتم الرسالة، لذلك فهى لاتعترف بنبى الإسلام الذى أدانه المسيحيون بصورة سلبية تهجمية وعدوانية». وكان الأب كاسبار قد أوضح الموقف نفسه أيام انعقاد المؤتمر قائلا: «إن هناك من بين رجال الدين الحاضرين من يعتبرون أن الإسلام خطأ مطلق لابد من رفضه لأنه يمثل خطرا بالنسبة للكنيسة ولابد من محاربته».

وفيما يتعلق بالبيان النهائى، يقول الأب كاسبار، وكان أحد المسئولين عن تدوين محاضر جلساته: «لقد أعيدت صياغة النص حتى لا يُتخذ تمهيدا لحل المسائل الصعبة التى ظل النقاش حولها قائما، مثال: النسب التاريخى للعرب، ابتداء من إسماعيل، وخاصة صلة الإسلام بالرسالة الإنجلية (...) وحتى لا يفهم أن الله قد تحدث أيضا إلى محمد (...) فالنص النهائى لا يكشف عن أن إبراهيم جد نَسَبىّ للعرب المسلمين ولكن كنمط للإيمان الإسلامى بخضوعه لإرادة الله».

لذلك راح البابا يتخذ خطوات أكثر فعالية لاستبعاد ذلك «الخطأ المطلق» بأن يلوّح للكنائس المنشقة بشبح الإسلام والأصولية، مطالبا بوضوح قائلا: «لابد من تحالف القوى المسيحية لتكون أقوى درع ضد الإسلام» («الجغرفيا السياسية للفاتيكان» ص ٢٦٨)

ويوضح البابا فى نفس هذا المرجع أنه «لابد من الأخذ فى الاعتبار بالتنوع الجغرافى أو الدينى للإسلام، فلا يجب طرح نفس المشكلات بنفس الطريقة مع السنيين أو الشيعة أو الدروز او الإسماعيليين. لابد من إتقان تنوع الحوار». والإتقان هنا يعنى التحايل والخدع..

من هنا ندرك أن الحوار مع المسلمين هى لعبة خداعية تستخدم إلى أن يتم الارتداد. وذلك هو ما نطالعه فى خطابه الرسولى المعنون «رسالة الفادى». «إن الكنيسة تستعمل الحوار لكى تحسن حمل الناس على الارتداد والتوبة عن طريق تجديد ضميرهم وحياتهم تجديدا عميقا فى ضوء سر

الفداء والخلاص». وقد علق الصحفى س. ديلاكروا فى مقال بعنوان: «الكنيسة الكاثوليكية فى مواجهة العالم غير المسيحى» قائلا: «إن الكنيسة باتت مصرة على تحديد رسالتها المعينة وهى: غرس الإنجيل فى كافة الثقافات»! وقد علّق الأب ريمون روسينيول على ذلك الخطاب قائلا: «إنه يمكن اعتباره بمثابة نداء من البابا لتجنيد الكنيسة بأسرها لمهمة التبشير.. إننا ما زلنا نفكر فى البلدان التى تمنع دخول المبشرين، إلا أن ذلك لايقف حائلا أمام الدبلوماسيين ورجال الأعمال والتقنيين المسيحيين».

اما البابا فلا يرى أية صعوبة فى ذلك بما أنه «يهتم بما يطلق عليه الأشكال الجديدة للتعاون، والتى يذكرمنها أربعة بصفة خاصة هى: السياحة، ومختلف الأشكال المهنية، والمهاجرين، والحياة الدولية بما فيها السياسة والاقتصاد ووسائل الإعلام» («رسالة الكنيسة» العدد ٩١، مارس ١٩٩١)

وفى شهر نوفمبر ١٩٩٤ أعلن البابا خطابه الرسولى المعنون» «عشية الألفية الثالثة». وقد قالت عنه جريدة «لوفيجارو» الفرنسية «إنه بمثابة بيان للسياسة التى يجب أن تتبعها الكنيسة» (١٩٩٤/١١/١٥). وكان البابا قد تناول فكرة أو موضوع الألفية فى أكثر من خطاب أو مناسبة، فهو موضوع «مرتبط بضرورة عملية جديدة لتنصير العالم» على حد قول جوزيف فاندريس، مراسل الفيجارو فى الفاتيكان. لأن «المسيح هو الله حقا، وهو إنسان حقاً، وهو سيد الكون وسيد التاريخ أيضا، وهو البداية والنهاية» (بند ٥ من الخطاب).

ويوضح البابا يوحنا بولس الثانى الجهود البابوية المبذولة على التوالى للإعداد للاحتفال بهذا اليوبيل. فكان البابا بولس الثانى عشر (١٩٣٩ - ١٩٥٨) قد «أعطى توجيهات شديدة الوضوح حتى بالنسبة لإقامة النظام العالمى الجديد بعد إسقاط الأنسقة السياسية السابقة» (بند ٢٢)! مع التأكيد على أهم حقليّ عمل يجب أن يحظيا بعناية خاصة وهما: «المواجهة مع العلمانية والحوار مع الديانات الكبرى» (البند ٥٢) لذلك يرى البابا أنه يتعين

على المسيحيين» ان يستعدوا لهذا اليوبيل بإحياء رجائهم فى المجئ النهائى لمملكة الرب» !

وكان الهدف المعلن عند مناقشات استبعاد الاسلام من الوجود هو حتمية أن تبدأ الألفية الثالثة وقد تم تتصير العالم بأسره.. ومثلما تأخر اقتلاع اليسار قرابة عامين، رغم الجهود المضنية التى بذلها ذلك التحالف بين قوى الشر الحقيقية الممثلة فى التعصب الفاتيكانى والتعصب الوقح للسياسة الامريكية وجهاز مخابراتها المركزية، فقد تأخر اقتلاع الإسلام والمسلمين، ومرت الألفية الثالثة، ولم يأت السيد المسيح الذى يدمرون باسمه كل شىء.. ومثلما تعاون التعصب الكنسى وتضافرت جهوده وبركاته لاقتلاع اليسار حتى لا تبقى هناك أية أنظمة بديلة للرأسمالية الاستعمارية كان على التعصب السياسى الأمريكى أن يرد الجميل وتتضافر جهوده للمساعدة على اقتلاع الإسلام حتى لا تبقى هناك أية ديانة بديلة يلجأ إليها من يهرب من المسيحية الحالية وتحريفها.. لذلك بادرت أمريكا بعمل تلك المسرحية المسماة «١١ سبتمبر» لتضفى على حربها الصليبية الضارية شرعية دولية. وبدأ بوش حملته المسعورة معلنا «أنها حرب صليبية» مثلما بدأ ريجان حملته لاقتلاع اليسار...

ونقول «مسرحية» الحادى عشر من سبتمبر لأن الحقيقة التى لاحت لكافة المشاهدين أن عملية تدمير الأبراج الثلاثة، وليس البرجين فقط، والبرج الثالث كان يأوى بعض مخازن ومكاتب المخابرات المركزية الأمريكية، أن عملية التفجير أو الانهيار تمت بما يطلق عليه فى عالم الهندسة «التدمير تحت السيطرة» ذلك لأن المبانى على ارتفاعها واختلاف أماكن إصابتها قد انهارت على نفسها ولم تخرج عن الإطار المحدد لها. وما أكثر من تناولوا هذه الحقيقة التى تم التعتيم عليها لأن المطلوب فى نهاية المطاف ليس فضح السياسة الامريكية وإنما اقتلاع الإسلام.

٤ توصيل الإنجيل إلى كافة البشر

تلك هى الصياغة المضغمة المعلنة عند نهاية مجمع الفاتيكان الثانى، والتى ربما لم يدرك الكثير من الناس مغزاها الحقيقى. فتوصل الشىء لشخص ما لا يعنى أن يلتزم به.. إلا أن النص الخاص بالكنيسة والعالم قد بدأ كما سبق وأوضحنا بعبارة تقول: «إن الكنيسة تنوى أن تظهر بصورة أكثر دقة لأتباعها وللعالم بأسره طبيعتها ورسالتها العالمية (البند الأول) أى «أن الطبيعة والرسالة كيان واحد لا انفصال فيه. فالكنيسة تعترف بمهمتها، ومهمة الكنيسة تبشيرية. والنشاط التبشيرى ليس نتيجة ما أو مطلبا يمكن إضافته من الخارج لكنه يمثل كيانها فى حد ذاته. إنها مرسلة إلى العالم أجمع من قِبَل يسوع المسيح» (البند ١٧)

وفى عام ١٩٨٢ توجه البابا يوحنا بولس الثانى إلى مدينة شانت يقب شمال غرب إسبانيا، وهى آخر مدينة امتد إليها الاسلام وأول مدينة سقطت فى حرب الاسترداد، ليعلن عبارته الشهيرة: «لابد من إعادة تنصير العالم»! عبارة شديدة الوضوح فى هدفها بدلا من تلك العبارة المضغمة السابقة.

ومنذ ذلك الوقت أصبحت عبارة «موجة التبشير الثانية» من العبارات المألوفة الشديدة الترديد والتكرار فى المحافل والمراجع وفى مختلف وسائل الإعلام الغربى المسيحى. أما الموجة الأولى فكانت تلك التى بدأ فرضها عند إعلان المسيحية ديانة رسمية أيام قسطنطين، وبدأت روما تفرض عمليات التنصير بالسلاح على مختلف الدول المحيطة بها، ثم بحروبها الصليبية التى شنتها على المسلمين، وعلى الأورثوذكس فى بيزنطة وعلى الكاتار فى جنوب شرق فرنسا.

واتخذت موجة التبشير الثانية عدة مسارات أو مجالات مختلفة وإن كانت تصب جميعها فى وعاء واحد: المؤتمرات، الخطب الرسولية، ووسائل

الإعلام المرئية والسمعية.. ومن أهم المؤتمرات التى انعقدت لهذا الهدف مؤتمر «لوزان للتنصير» عام ١٩٧٤، ومؤتمر كولورادو، فى شمال أمريكا، عام ١٩٧٨ والذى حضره مائه وخمسون عالما متخصصا فى شئون التنصير وتم خلاله دراسة أربعين بحثاً تمثل فى الواقع أربعين مدخلا أو منفذاً يتسللون منه لتحويل المسلمين عن إيمانهم، ثم مؤتمر «مسيحيو الشرق» المنعقد فى باريس عام ١٩٨٥، وقبله بعام مؤتمر آخر فى إيطاليا والذى حضره ستة آلاف قس، تجمعوا من مختلف أنحاء العالم لتدارس كيفية استخدام الوسائل السمعية والبصرية فى التنصير.

وتمت هذه الموجة التبشرية بالتعاون مع الولايات المتحدة حيث تم إنشاء جمعية «الصحوة الكاريزماتية الكاثوليكية» فى مدينة دلاس وتم إنشاء القمر الصناعى «لومن ٢٠٠٠»، تلك الأداة الطاغية التى عليها أن «تمطر الإنجيل على العالم بأسره» إضافة إلى إنشاء العديد من الإذاعات الدينية الموجهة والمترجمة إلى كافة اللغات. وإلى جانب ذلك تم إنشاء أو تدعيم العديد من المنظمات والمؤسسات الدينية التى تتولى التخطيط والتنفيذ الفعلى، ومنها على سبيل المثال «منظمة إمانويل»، و«أسد يهوذا» و«الصحوة الكاريزماتية الكاثوليكية» التى تحتكر أو تسيطر على ٧٥٪ من المطبوعات، و«جماعة أمبير» التى تسيطر على ثلاثة عشر دارا للنشر متخصصة فى كتب الرسوم المتحركة للأطفال «وعمل الرب».

وإلى جوار كل هذا الحشد المهول لتنصير العالم واقتلاع الإسلام بخاصة، راحت أهم الخطب الرسولية للبابا تدور حول اقتراب الألفية الثالثة وتنصيرالعالم، ومنها ما عبر عنه أولا فى الخطاب الذى ألقاه بعد تعيينه بسويعات فى منصب البابوية فى شهر أكتوبر عام ١٩٧٨. ثم عاد إلى نفس الموضوع فى عام ١٩٧٩ فى الخطاب المعنون: «المسيح فادى البشر»، ثم فى الخطاب المعنون: «رسالة الكنيسة» الذى أصدره فى شهر ديسمبر ١٩٩٠، ثم فى

عام ١٩٩٤ الخطاب المعروف باسم «مع اقتراب الألفية الثالثة» ذلك الخطاب الذى قالت عنه جريدة لوفيجارو إنه بمثابة بيان للسياسة التى يجب أن تتبعها الكنيسة (١١/١١/١٩٩٤). والبيان يأخذ هنا بالطبع معنى المنشورالسياسى الذى يتضمن الخطوات التنفيذية.. وقبل هذا مباشرة كان قد اجتمع آلاف الفرنسيين الكاثوليك فى مدينة «لورد» من ٤ إلى ٩/١١/١٩٩٤ فى لقاء بعنوان «كيفية تبشير الكوكب»! والمعروف أن فرنسا العلمانية، أو تلك التى تتغنى بعلمانيتها تتحمل ثلثى تكاليف عمليات التبشير من أموال ومعدات وأشخاص بسبب أو فى سبيل إعلانها فصل الدين عن الدولة!!

٥ توحيد كافة الكنائس تحت لواء كاثوليكية روما

لقد كان موضوع دورالكنيسة فى العالم من أهم الموضوعات المحركة لهذا المجمع ذلك أنه دور متعدد الجوانب وقائم على فكرة التفرد فى سيادة العالم والتحكم فيه، وهذه السيادة قائمة على استبعاد الآخر. وإن كان هذا الاستبعاد هو أيضا متعدد الجوانب يتضمن شقين أساسيين: استبعاد الديانات الاخرى وخاصة الإسلام، وامتصاص الكنائس المنشقة وتوحيدها تحت لواء كاثوليكية روما تذرعا بأن هذه الانشقاقات تشوه صورة الكنيسة بعامة، والحث على ذلك التوحيد بزعم أنه السبيل الوحيد للتخلص من الإسلام والمسلمين خاصة بعد أن تزايد عدد المسلمين وأصبح يفوق عدد الكاثوليك فى العالم.

وحيث إن الخلافات عقائدية جذرية بين مختلف الكنائس المسيحية، وفقا لما هو وارد فى نصوصها، فمنها من لاتؤمن بأن السيد المسيح هو الله، ومنها من لا تؤمن بأن القربان يتحول فعلا إلى دم المسيح ولحمه عند تناوله، ومنها من لا تؤمن بأن السيدة مريم العذراء هى «أم الله».. فمازالت كل كنيسة منها تتمسك بعقيدتها ـ الأمر الذى دفع البابا يوحنا بولس الثانى إلى

عرض فكرة تغيير سبعين آية من آيات الأناجيل حتى تتقارب العقائد!

وفى حقيقة الأمر أن فكرة توحيد الكنائس ليست من بنات أفكار المجمع الفاتيكانى الثانى، فقد راودت المسؤولين عن ذلك التضارب العقائدى كلما واجه هذا البنيان هجوم عنيف من العالم الخارجى. وقد بدأ ذلك فى أواخر القرن الثامن عشر مع عصر التنوير، وفى مطلع القرن التاسع عشر، حينما كشف العلم كل ما يتضمنه البنيان الكنسى من تحريف، وخاصة فى مطلع القرن العشرين مع معركة الحداثة ومطالبة العلماء للكنيسة بتنقية النصوص مما بها من تناقض وتحريف، وخاصة مطالبتهم بإظهار إنجيل يسوع الذى تم إخفاؤه منذ البداية.. إلا أن مطلب توحيد الكنائس لم يبد بمثل هذا الإلحاح كما حدث فى هذا المجمع. وهنا يقول الأب لوجييو: «لابد من ملاحظة تلك المفارقة: فمطلب توحيد الكنائس لم يصل إلى ذروته إلا فى اللحظة التى تتعرض فيها الكنيسة لواحدة من كبرى أزماتها على مر التاريخ.. ففى مختلف الكنائس تتولد تيارات لاهوتية تدين المسيحية ذاتها بنسف مضمون الكتاب المقدس وبعلمنة الرسالة الإنجلية كلية (عهد جديد لتجميع الكنائس) ويقول الأب لوكافيشر فى نفس المرجع: «إن الكنيسة الكاثوليكية الرومية تواجه صعوبة خاصة، فهى تصر على أنها هى وحدها فقط لاغير كنيسة يسوع المسيح. وهذا الادعاء متوغل بعمق فى الفكر الكاثوليكى الرومى بحيث إن المساس به غير وارد»!

وعندما لم تنجح كل هذه المحاولات عاد البابا يعيد الكرة بالتأكيد على ضرورة توحيد الكنائس وأنه «لابد من توحيد الصفوف للتصدى للمد الإسلامى» (الجغرافيا السياسية للفاتيكان). وهى نفس العبارة التى قيلت فى اجتماع المنظمات الصهيونية والمسيحية المتطرفة فى أول أبريل ٢٠٠٣ والمعروفة باختصار «إيباك» وهى تمثل اللوبى الأمريكى المؤيد لإسرائيل.

٦ فرض عملية التبشير على كافة المسيحيين، الكنسيين منهم والعلمانيين:

وهذه هى أول مرة فى التاريخ الكنسى تقوم فيها الكنيسة بإصدار قرارات وتعليمات رسمية تتعلق بتجنيد المدنيين، أو من هم خارج نطاق الإكليروس الرسمى، وتلقى على عاتقهم بمهمة المشاركة فى عمليات التنصير «بحكم حصولهم على التعميد فى الصغر»، المشاركة بأى صورة من الصور «لإدخال تقاليد وعادات وقوانين وبنيات المسيحية فى المجتمعات التى يعيشون فيها».

وكانت الكنيسة منذ نشأتها تفرق بين الهيكل الوظيفى لرجال الاكليروس والمدنيين أو العلمانيين أو من هم خارج هيكلتها، وذلك حفاظا على تمسكها بالسلطة وعلى سيطرتها المعروفة على المجتمع. وظل الوضع على ماهو عليه، بل لقد أعلن البابا بيوس العاشر هذا الفارق قائلا فى خطاب رسولى عام ١٩٠٦: «إن الكنيسة هى أساسا مجتمع غير متساو، أى أنها تتضمن فئتين من الناس، الرعاة والقطيع، من يحتلون الدرجات المختلفة للتدرج والسلطة الكنسية، وكمّ الأتباع. وهتان الفئتان متميزتان فيما بينهما إلى درجة أن الرعاة وحدهم يمتلكون الحق والسلطة اللازمة لتحريك وقيادة باقى أعضاء المجتمع حتى نهايته. أما عن كمّ الأتباع فلا حق لهم سوى أن يتركوا أنفسهم للقيادة وأن يتبعوا الرعاة لقطيع مطيع».

ومع تزايد ما يطلقون عليه «النزيف الصامت للكنيسة»، أى أولئك الذين يغادرونها فى صمت مبتعدين عن كل ما بها من تحايل، ومع إعلان الكنيسة وإصرارها على تنصير العالم، الأمر الذى لايمكن أن يقوم به الرعاة بمفردهم - خاصة مع تناقص أعدادهم فى صمت.. فقد قرر هذا المجمع الفاتيكانى الثانى الاستعانة «بالقطيع المطيع» بأسره فى حربه ضد الإسلام والمسلمين. ومن لا يتخيل حجم عملية التنصير الحالية، والإصرار الغريب الذى تدور به،

ما عليه إلا أن يفتح برنامج «ياهو» بالإنترنت، باللغة الفرنسية، ويبحث عن كلمة «تبشير» (évangélisation) ليقرأ رقم واحد وثلاثين ألفا ومائة اسم منظمة وهيئة وجماعة مسيحية تتولى عملية التنصير عبر العالم!

٧ استخدام الكنائس المحلية فى عمليات التبشير والتنصير

لاشك فى أن هذين البندين (٦و ٧) يلقيان بظلال قاتمة على موقف بعض الأقليات المسيحية فى البلدان الاسلامية وعلى أمانة ولائهم.. فهل يدافعون عن وطنهم ووحدته أم يطعنونه بإسهامهم فى مخططات جد جهنمية وأبعد ما تكون عن الأمانة؟!

إن التاريخ يكشف بكل أسف، أنه ما من مواجهة تمت بين الغرب المسيحى والشرق المسلم إلا وكانت هناك خيانة ما من جانب بعض الأقليات المسيحية ـ حتى وإن كان فردا واحدا، لكنه يوصم من حوله.. ففى الحروب الصليبية كان دائما هناك نفر من الأقليات المسيحية يرشد الغزاة، وفى حملة نابليون بونابرت على مصر كان هناك المعلم يعقوب الذى كوّن فريقا من الأقباط لمحاربة المسلمين بالتواطؤ مع الغزاة. وأيام الاستعمار البريطانى شاهدنا نفس التواطؤ الذى امتد حتى إلى التعيينات فى الوظائف. وهذه الكنائس المحلية يقع عليها الآن القيام بدور فعّال فى الحوار وفى عمليات التبشير وفقا لما يقوله البند ٧٧ من رسالة الكنيسة.. ليتهم يحسنوا الاختيار.

٨ فرض بدعة «الحوار» كأسلوب للتنصير:

وتكمن أهمية هذا الأسلوب أو عملية الحوار فى الوقت الذى يمر فى المناقشات واللجان والمؤتمرات حتى تتم عمليات التنصير بلا مقاومة تذكر. ولقد تم إنشاء لجنة للحوار بين الأديان ـ وخاصة الإسلام، برئاسة الكردينال فرانسيس أرينزى عام ١٩٦٤، أى قبل أن ينتهى المجمع الفاتيكانى! كما تم

إنشاء لجنة أخرى برئاسة الكردينال يوسف تومكو لتولى مهام «تنصير الشعوب»، اعتمادا على تأكيدات البابا «أن المسيح فادى العالم هو الوسيط الوحيد بين الله والبشر»، وذلك لأن «المسيح هو الله حقّاً، وهو إنسان حقّاً، وهو سيد الكون وسيد التاريخ أيضا، وهو البداية وهو النهاية» لأنه لا يتحدث إلى البشر «باسم الله مثال الأنبياء، وإنما هو الله نفسه الذى يتحدث فى كلمته الخالدة بعد أن تجسدت، وهنا نلمس النقطة الأساسية التى تفرق المسيحية عن الديانات الأخرى التى لاح فيها منذ البداية بحث الإنسان عن الله. اما فى المسيحية فإن نقطة الانطلاق هى تجسد الكلمة، وهنا لا يذهب الإنسان بحثا عن الله، وإنما الله هو الذى أتى شخصيا للتحدث عن نفسه إلى الإنسان ليوضح له الطريق الذى سيسمح له بالتوصل إليه.. وبهذه الصورة فإن المسيح هو تحقيق لتطلع كافة ديانات العالم، ومن هنا فهو نهاية مطافها الوحيد والنهائى» (البنود ٤ و ٥ و ٦ من «عشية الألفية الثالثة»)

وقد أوردنا هذا الاستشهاد الطويل نسبيا لتوضيح المفهوم الكنسى الذى يصرّون على فرضه على العالم أجمع وخاصة على المسلمين الذين يؤمنون بأن الله عز وجل ليس كمثله شىء، وأنه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد..

ولقد أصدرت لجنة الحوار بين الأديان ولجنة تنصير الشعوب وثيقة بعنوان «حوار وتبشير» بتاريخ ١٩٩١/٦/٢٠، تعد بمثابة ورقة عمل للمبشرين واللجان القائمة على عمليات الحوار التى يتم من خلالها فرض تنازلات لايعلن عنها ونطالع فى البند ٣٥ من هذه الوثيقة: «أن أعضاء الديانات الأخرى مأمورون بالدخول فى الكنيسة، بمعنى أنها تمثل السر الذى يوجد فيه ملكوت الله».. فالهدف من الحوار يعنى «ارتداد الجميع إلى الرب، وذلك هو مايعطى قيمة ذاتية للحوار، وأثناء عملية الارتداد هذه يتم القرار بالتخلى عن العقيدة الدينية السابقة والدخول فى عقيدة جديدة».

وبعدم التزام بقية سكان العالم من غير المسيحيين بهذا الأمر الصادر

من القيادة العليا للتعصب الكنسى، فقد تم إعلان تلك الحرب الصليبية الجديدة التى تعد بمثابة الحرب العالمية الرابعة فى العديد من النصوص. فالحرب العالمية الأولى والثانية معروف أبعادهما، والحرب العالمية الثالثة هى «الحرب الباردة» التى شنتها قوى اليمين لاقتلاع اليسار، والحرب العالمية الرابعة هى تلك الصليبية الحالية التى ترمى إلى اقتلاع الإسلام وفرض النظام العالمى الجديد القائم على نظام سياسى واحد ونظام دينى واحد حتى «تَسْهُل قيادة العالم» ـ كما يقولون...

٩ إنشاء لجنة خاصة للحوار

فى عام ١٩٦٤ قام البابا بولس السادس بإنشاء «المجلس البابوى للحوار بين الأديان» تحت اسم «السكرتارية الخاصة بغير المسيحيين». فقد كان على المجمع الفاتيكانى أن يتبنى موقفا جديدا فيما يتعلق بالعقائد الدينية الأخرى، موقفا قائما على «الانفتاح والاحترام». ولا نفهم معنى «الاحترام» هنا بما أنه قائم على فرض الارتداد والدخول فى سر المسيح.. وإن كانت كل عملية التنصير التى تمخض عنها ذلك المجمع تناقض كل قراراته الصادرة فى إحدى وثائقة الخاصة بحرية العقيدة إنه لا «يحق لأحد أن يفرض التنصير عنوة»!؟

وهذه السكرتارية الخاصة بالحوار تتكون من حوالى ثلاثين أسقفا وكردينالا تم اختيارهم من جميع أنحاء العالم، ويجتمعون فى كل سنتين أو ثلاث فى هيئة جمعية عمومية وقد انعقدت أولى هذه الجمعيات عام ١٩٧٩.

كما تم اجتماع خمسين مستشاراً من المتخصصين فى الشؤون الدينية والحوار بين الأديان، للتشاور فى خط سير عمليات التبشير. وهم مجندون بعقود مدتها خمس سنوات ويقومون بعملية الاتصال بين المجلس وبين

الكنائس المحلية، كما أنهم يمثلون المجلس فى اللقاءات الدينية ويقدمون له استعلاماتهم ومقترحاتهم وثمار أبحاثهم.

١٠ إنشاء لجنة خاصة لمهام التنصير:

قام البابا يوحنا بولس الثانى بالتنويه عن هذه اللجنة فى خطابه الرسولى المعنون «رسالة الفادى»، محددا المهام التى تقع عليها قائلا: «إن هذه اللجنة من سلطتها تنظيم وإدارة النشاط والتعاون التبشيرى على الصعيد العالمى». لذلك طالب كافة اللجان الرسولية ومنظماتها ورؤساء الأنظمة والقطاعات والمعاهد، بل والمنظمات العلمانية المنتمية للنشاط التبشيرى أن تتعاون بصدق مع هذه اللجنة، إذ من خلالها يمكن تحديد المناطق الملحّة أكثر من غيرها بالنسبة للتبشير. إذ يتمين على هذه اللجنة الخاصة القيام بوضع خطة منطقية وعقلانية لعمليات التنصير وأولوياتها وفقا لما تراه. وهذه اللجنة الخاصة بتنصير الشعوب لها ماض طويل فى هذا المجال، لذلك يقع على عاتقها تحديد البرنامج العملى الذى وفقا له تتخذ الكنيسة خطواتها فى مختلف عمليات التبشير بأشكالها المختلفة. لذلك يجب أن تكون شديدة الصلة بكافة الإدارات الخاصة بالكرسى الرسولى وبالكنائس الخاصة المحلية وبمختلف العاملين بالتنصير.

فلقد قامت «لجنة الدعاية».. وذلك كان اسمها فيما مضى، بتنسيق عمليات التنصير، بتحديد نوع نشاط الجماعة المكلفة بذلك وفقا لاحتياجات كل منطقة. وقد كانت تراعى بقدر الإمكان توزيع المبشرين فى مختلف أرجاء العالم. واليوم تقوم لجنة تنصير الشعوب بذلك من خلال ٩٢٣ دائرة اكليروسية موزعة أساسا فى أفريقيا وآسيا.

١١ تغيير اسم محاكم التفتيش

لقد تم إنشاء محاكم التفتيش فى القرن الثالث عشر للتصدى لما تطلق عليه الكنسية أعمال الهرطقة التى تزايدت، بالتعاون مع السلطة البوليسية المدنية. وكان ترتيب عملها يبدأ باتهام مًّا بحيث كان يتعيًّن على المحكمة القيام بالتحقيق للحصول على الأدلة التى تؤدى الى البراءة أو إلى الإدانة. وسرعان ما انتشرت وسيلة الوشاية الكيدية خاصة مع موافقة البابا آنذاك على استخدام وسائل التعذيب للحصول على الاعترافات المطلوبة!

وكانت هذه النوعية من المحاكم قد بدأت قبل ذلك بكثير للتصدى للمنشقين عنها رافضين ما تقوم به من تحريف. فبدأ الأخذ بوسيلة «الحرق حيا» منذ القرن الحادى عشر تقريبا. ومع صياغة لاهوت الحروب الصليبية كتب البابا أوربان الثانى قائلا: «لانعتبر من يقوم بالحكم بالموت على أشخاص مطرودين من الكنيسة، دفاعا عن كنيستهم الأم، أنهم يقومون بأعمال قتل آدميين»!! كما أقر مجمع لاتران الرابع إمكانية اللجوء إلى أشخاص متخصصين فى التعذيب وفى الصراع ضد الهراطقة دفاعا عن الدين. وفيما بين ١٢٢٠ و ١٢٣٠ أصبح الحكم بالموت حرقا يتم بالاتفاق بين السلطتين الكنسية والبوليسية بأساليب متنوعة من التعذيب قبل الحرق حيّاً.

وقد توافق إنشاء هذه المحاكم فى القرون الوسطى وخاصة فى القرن الثالث عشر مع الحرب الصليبية التى قادتها الكنيسة الكاثوليكية ضد الكاتار فى جنوب شرق فرنسا وإبادتهم لانتمائهم الى الأريوسية التى لا تقر مبدأ تأليه السيد المسيح وتعتبره نبيا من الأنبياء. أى أنهم كانوا أقرب الفرق المسيحية إلى الإسلام والتوحيد بالله فتمت إبادتهم والقلة الناجية منهم هم الذين كونوا مسلمى البوسنة.

ومن أواخر من أدانتهم هذه المحاكم العلماء المطالبون بالحداثة، ولاهوت التحرر.

وفى المجمع الفاتيكانى الثانى تم تغيير اسم هذه اللجنة من محاكم التفتيش إلى «لجنة عقيدة الإيمان» لإبعادها عن ذلك الماضى المثقل بالظلم والتعنت. إلا أن تغيير هذا المسمى رسميا لايعنى أن محاكم التفتيش قد انتهت وإنما قد ازداد ارتباطها بعملية فرض التبشير والتنصير.

تلك كانت باختصار شديد أهم بعض النقاط التى تمخض عنها مجمع الفاتيكان الثانى والتى تمثل فى مجملها «برنامج العمل» الذى يسيرون وفقا له لاقتلاع الإسلام وتنصير العالم.



الفصل الثانى

حرب صليبية بأقوالهم وأفعالهم

رأينا من العرض المقتضب للمجمع الفاتيكانى الثانى كيف أن عملية تنصير العالم هى مسألة لا رجعة فيها بالنسبة للتعصب الكنسى، وكيف أن هذا الموقف يتفق مع تعصب السياسة الأمريكية وإصرارها على قيادة العالم بما أطلقوا عليه «نظام العولمة». أى أن يتم إخضاع العالم إلى نظام سياسى اقتصادى واحد بزعامة أمريكا، ونظام دينى واحد بزعامة كاثوليكية الفاتيكان. وما يعنينا هنا هو توضيح خلفيات هذه الحرب الصليبية الجديدة، الدائرة تحديداً منذ عام ١٩٦٥، بالمتاح من وثائقهم..

بدأت فكرة تجميع الكنائس المختلفة فى أواخر القرن التاسع عشر مع أزمة الأصولية والحداثة وبداية تحدى التقدم العلمى للكنيسة ولمخالفاتها التحريفية. وقد تم أول لقاء بين عدد منها عام ١٩١٠ فى مدينة أديمبورج. وبعد الحرب العالمية الثانية وتقسيم العالم إلى معسكرين أساسيين، أى بعد تزايد الخطر على الكنيسة وأصبح ما يتهددها قادماً من التقدم العلمى ومن اليسار، تم إنشاء مجلس الكنائس العالمى عام ١٩٤٨. وفى عام ١٩٦١ انضمت

إليها الكنائس الأورثوذكسية ـ ولم تكن قد انضمت إليها الكنائس المعمدانية الجنوبية فى الولايات المتحدة ولا الكنيسة الكاثوليكية الرومية والكنائس الشرقية التابعة لها. وحسمت الحرب العالمية الثانية الموقف لتجميع كل هذه الانشقاقات وتكوين ما عرف باسم «المجلس العالمى للكنائس»، الذى بدأ بمائة وخمس وأربعين كنيسة، وصل عددها إلى ثلاثمائة وواحدة وعشرين عام ١٩٩٥.

وكان الهدف من تكوين هذا الاتحاد ـ كما يوضحه أندريه بيرمليه فى «قاموس اللاهوت»، هو «تضافر الجهود لتسهيل مهام المبشرين وعمليات التبشير، وكسر الحواجز بين البشر للإعداد لتحويل العالم إلى عائلة واحدة تحيا فى أمن وسلام» الأمر الذى يكشف أبعاد وخلفيات الأحداث التى تدور حاليا.. وأبعاد الإعداد لنظام العولمة بالعديد من المجالات..

ويضم هذا المجلس أربعة أقسام لمواجهة مختلف أعماله المتعددة الجوانب. القسم الأول خاص بالمسائل العقائدية للتوحيد بين كافة الكنائس وخلافاتها العقائدية الجذرية؛ والقسم الثانى خاص برسالة الكنيسة التبشيرية وغرس الإنجيل فى مختلف الثقافات والحوار مع الديانات الأخرى؛ والقسم الثالث خاص بالتداخل مع التيارات الاجتماعية والسياسية لاستئصال العنف، وغنى عن القول أن المقصود بالعنف هنا هو «الإرهاب الإسلامى» كما يقولون؛ والقسم الرابع لقضايا المرأة والشباب واللاجئين والمهاجرين.

ومن أهم الأحداث التى تواكبت أو تتالت بعد المجمع الفاتيكانى الثانى الذى يمثل نقطة فارقة فى تاريخ الكنيسة وتوجهها، مؤتمر لوازن للتنصير الذى انعقد عام ١٩٧٤ ومؤتمر كولورادو للتنصير الذى انعقد عام ١٩٧٨ وضم مائة وخمسين باحثاً متخصصاً فى عمليات التبشير والتنصير، وإعلان البابا يوحنا بولس الثانى عام ١٩٨٢ عن بدء عملية التنصير الثانية فى العالم وإنشاء حزب تضامن فى بولندا الذى يمثل معول الهدم الأساسى فى اقتلاع اليسار إلى جانب احتفالية العام المريمى التى تمت عام ١٩٨٧ وكانت بمثابة

الضربة القاصمة للاتحاد السوفيتى. وقبل ذلك بعامين، أى فى عام ١٩٨٥ انعقد مؤتمر مسيحيى الشرق فى مدينة باريس. وفى عام ١٩٩٠ تم انشاء معهد الدراسات الإعلامية الدينية للتبشير فى بروكسل، ومن أهم ما يقوم به إعداد الصحفيين الذين يمكنهم توجيه الرأى العام لصالح عمليات التبشير والتنصير. وفى ١٩٩٢ تم إصدار كتاب التفسير الدينى الجديد للكنيسة الكاثوليكية وقد صيغ بحيث يتم تسهيل عملية تكوين «الكنيسة العالمية الموحدة»، وضد كتاب التفسير الدينى الذى كانت قد أصدرته هولندا وألغت منه عقيدة الثالوث والعديد من البدع التى لم تعد تتمشى مع المنطق.

وفى عام ٢٠٠٣، وفيما بين ٢٣ مايو وأول يونيو، بدأ فى فيينا المؤتمر التمهيدى للمؤتمر العالمى للتبشير الذى سينعقد سنة ٢٠٠٥. وفى ٢٧ مايو ٢٠٠٣، فى اليوم الرابع لذلك المؤتمر التمهيدى قال رئيس الوزراء النمساوى، وولفجانج شوسل، «إن أوربا بحاجة إلى مسيحيين منتمين فى السياسة. وذلك لا يعد حقّاً فحسب وإنما واجباً عليهم». وذلك أمام جمهور مكون من ٢٠٠٠ من رجال التبشير بينهم العديد من الأساقفة. كما أكد رئيس الوزراء النمساوى فى مداخلته ارتياحه لأن الاتحاد الأوربى سوف يضم إليه قريباً بلدان أوربا الشرقية، **التى تحررت بفضل جهود البابا يوحنا بولس الثانى لإسقاط الستار الحديدى.** وإنه يتعين على أوربا الجديدةألا تبعد عن عينيها بلاد البلقان ولا بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط وخاصة قارة أفريقيا التى يتناساها المجتمع الدولى. بل إنه يتعين على المسيحيين أن يتصرفوا مثلما فعلوا فى أيام المسيحية الأولى، وأن يهتموا بنشر الدعوة عبر العالم».

وتقوم لجنة التبشير والتنصير التابعة للمجلس العالمى للكنائس بالإعداد للمؤتمر العالمى للتبشير والتنصير الذى سوف يعقد فى الربع الأول من عام ٢٠٠٥. ويقع تاريخ هذا المؤتمر، عام ٢٠٠٥، فى منتصف «العقد الخاص بالتصالح بين الكنائس من أجل تنصير العالم». ويقول القس جاك

ماتيى، منظم فريق العمل بلجنة «التبشير والتنصير»: «فى مثل هذا المفهوم يتعيّن علينا استشفاف مفهوم المصالحة حتى الثمالة لكى يمكننا تجديد ممارسة مهام التبشير والتنصير». ويترأس هذه اللجنة الخاصة بالإعداد للمؤتمر العام، الراعى روث بوتوفر من اتحاد المعمدانيين ببريطانيا العظمى!

يوضح هذا العرض الشديد الإيجاز أبعاد الترسانة الكنسية التى تتولى مهمة اقتلاع الإسلام وتنصير العالم. أما الترسانة الدينية التى أعدتها سياسة الولايات الأمريكية لقيادة حربها الصليبية ضد الإسلام فتبدأ بذلك التصريح للرئيس جورج دبليو بوش الذى أذاعته هيئة الإذاعة البريطانية يوم ١٩/ ٣/ ٢٠٠٣ فى فترة السادسة صباحاً: «إن الرئيس جورج بوش قد أعلن: سواء تنحى الرئيس صدام حسين أو لم يتنح فهو سوف يجتاح العراق لتتركتها ولفرض العلمانية عليها لاقتلاع ذلك الدين الذى يتمخض عنه الإرهاب فى الشرق الأوسط وفى العالم بأسره»!! «والتتركة» هنا تعنى فرض النظام التركى القائم على فصل الدين عن الدولة واقتلاع اللغة العربية التى هى لغة القرآن واستخدام الأبجدية اللاتينية. الأمر الذى يحاولون تعميمه حاليا إذ بدأ فرضه على بعض البلدان العربية فعلاً.

وقبل أن تنتهى تلك الحرب الغاشمة على العراق، أعلن الرئيس بوش: «إن الدراسة سوف تتوقف فى العراق حتى العام الدراسى القادم إلى أن يتم تغيير المناهج».

ومع بداية تلك الحرب بدأت التعليقات الصحفية تتحدث عن وجود المبشرين بين صفوف رجالها. وفى الرابع من شهر أبريل ٢٠٠٣، كتب هنرى تانك فى جريدة لوموند الفرنسية ذلك المقال الذى أوردنا نصه سالفا، قائلاً تحت عنوان «المبشرون المعمديون فى شاحنات الجيش»: «إن المبشرين الأمريكيين لا يضيّعون الوقت. فهم يعسكرون عند أبواب العراق، مستعدون للانطلاق لنجدة الشعب «ماديا» و«روحيا» ما إن يتم تحريره من صدام

حسين. إن «جمعية المعمدانيين بالجنوب» تعد من أهم الكنائس بالولايات الأمريكية التى أيدت الحرب (وتضم ١٦ مليونا من الأتباع) وكذلك جمعية «صندوق السامريين» التى يترأسها فرانكلين جراهام، ابن المبشر الكبير بيلى جراهام، ولديهم حالياً فرقٌ بأكملها عند الحدود الأردنية.

«ومعمدانيو الجنوب، الذين مقرهم فى مدينة دلاس، قد شحنوا معدات بمبلغ مائتين وخمسين ألف دولار. وقال الأب جون (الذى لم يفصح عن اسمه الحقيقى) إن الهدف هو مساعدة معسكر اللاجئين قبل أن ندخل العراق بحثا عن أماكن ننغرس فيها بالجنوب ونكون بها فريق عمل من المبشرين المعمدانيين. كما تستعد جمعية «صندوق السامريين» لإرسال حوالى عشرة أمريكان وكنديين متخصصين فى «الإنقاذ السريع». ويصر هؤلاء المناضلون من أجل الإنجيل على دخول العراق لعرض العقيدة المسيحية متفادين أى «ضوضاء» يمكنها أن تعطل عملهم. إن هذه المحاولات تثير السخط حقاً. ويقول ابراهام هوبس، ممثلهم فى العراق، إنه مذعور من هذا الإنزال للمبشرين..

«وبعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر، تميّز أسلوب مبشرى الحركة الإنجيلية من أمثال فرانكلين جراهام بنقدهم اللاذع ضد الإسلام والمسلمين. الأمر الذى يجعل من وجودهم، على حد قول هوبس، تأكيداً للحرب الصليبية ضد الإسلام».

وفيما بين ٣٠ مارس وأول أبريل ٢٠٠٣ أقيم المؤتمر السياسى الرابع والأربعين للإيباك (لجنة الشئون العامة الأمريكية الإسرائيلية) بحضور ألفين وخمسمائة عضو وأكثر من ألف مدعو من نخبة القادة السياسيين اليهود والأمريكان، لمناقشة حرب العراق وإعادة تشكيل الشرق الأوسط. والإيباك تعرّف نفسها بأنها «اللوبى الأمريكى الممالئ لإسرائيل». وقد بدأت المناقشات بكلمة من المبشر جارى بوير، المنافس السابق للرئيس بوش فى الانتخابات الأولية للحزب الجمهورى معلناً: «لقد أعطى الله أرض إسرائيل للشعب

اليهودى» وأنه «لا يمكن لأحد، لا هيئة الأمم المتحدة، ولا الاتحاد الأوربى، ولا روسيا، ولا أى رباعى أو ثلاثى إن كان يمكنه أن يقرر أى شىء حول هذه الأرض التى ليست ملكاً لهم»! ثم أنهى كلمته قائلاً: «إنه لأمر **فاحش** أن تطلب إدارة بوش من الشعب الإسرائيلى جهوداً إضافية من أجل السلام»!!

بينما علّق بنى إيلون، وزير السياحة الإسرائيلى قائلاً: «إن موقف الولايات الأمريكية معروف وليس بجديد، وإن مهمتنا هى أن نتأكد من أنه لن يتم إقامة دولة فلسطينية تمثل مخاطر متعددة لإسرائيل». وقد جاهد الحاضرون بإصرار وبكل ما أوتو به من جهد حتى لا تتضمن «خارطة الطريق» أية تواريخ ملزمة لإسرائيل. ولا أية إشارة إلى القدس أو إلى عودة اللاجئين ولا إلى ذلك السور المسمى «سور العار» الذى تبنيه إسرائيل. وقد وعدتهم كوندوليسا رايس بذلك وهى تؤكد قائلة: «قد تكون سوريا وإيران الأهداف القريبة لتحالفنا. بينما علق جون بولطن وكيل الوزارة قائلاً: «أعتقد أنه لا يوجد بيننا ساذج واحد يمكنه تصور أن درس العراق وحده سيكون كافياً»!!

وبانتقال الحديث إلى الدين ومعركة هرمجدون وأنه سيتعيّن على اليهود عندئذ الاعتراف بيسوع على أنه المسيح الذى ينتظرونه، بينما قال البعض الآخر «إن هذا الاختلاف لن يتضح إلا فى آخر الزمان، غير أن الأهم من هذا الخلط وذاك هو تكوين تحالف قوى ضد العالم الإسلامى».. ذلك هو موجز ما أورده توم سان بيير تحت عنوان «الأصوليون يؤيدون الحرب».

أما جريدة أومانيتيه الصادرة فى ٢١/ ٤/ ٢٠٠٣، فقد نشرت تحت عنوان: «حرب بوش ومشاريع التبشير للأصوليين الأمريكان»: «أن الأصوليين المسيحيين الذين يحومون حول جورج بوش يستعدون هم أيضاً لغزو السوق العراقية، وذلك لنشر الإنجيل. بينما يتم فى الغرب عملية توزيع الغنائم على هيئة عقود لإعادة البناء. فإن المسؤلين عن الجانب الدينى فى جمعية المعمدانيين فى الجنوب لا ينوون الوقوف مكتوفى الأيدى. وهم يمثلون إحدى

أهم القوى الصاعدة للحزب الجمهورى بزعامة وزير العدل جون اشكروفت، ويعملون فى تضافر مع المبشرين التليفزيونيين بات روبرتسون وجيرى فالويل وشارل ستانلى. وجميعهم يغلفون مواعظهم الدينية بالعلم الأمريكى ويؤيدون الحرب ضد العراق بلا حدود.

«ومن المعروف أن أحد القادة العسكريين الأمريكان قد أعلنوا أن العراق تمثل سوقا متفرداً استثنائياً لنشر الإنجيل، مبرراً بذلك طموحات المبشرين لليمين المسيحى الذين ينتظرون الفرصة السانحة. ومن الواضح أن عملية تبشير بلدان العالم الثالث ليست بجديدة إلا أن الطبيعة الزائدة الوطنية والعدوانية لخطب ستانلى يمكنها أن تفسد النسيج الاجتماعى العراقى، وتقلل من مصداقية الحملة الأمريكية فى نظر المسلمين. ذلك لأنه يصف المسلمين فى الشرق الأوسط «كأشخاص لم يسمعوا أبداً عن الإنجيل بلغتهم وأنهم فى أشد الحاجة الماسة إلى ذلك». الأمر الذى لا يمل عن تكراره في محطة تليفزيون الشرق الأوسط.

«ولابد من التنويه بأن الخطب التليفزيونية فى المنطقة لا تتميز «بالنبل المسيحى» على حد قول شارل كيمبال، الذى كان يعمل مع مجلس الكنائس بالشرق الأوسط بإسرائيل وفى لبنان عندما بدأ بات روبرتسون إذاعاته الإنجيلية أيام حرب لبنان... وكان جرى فالويل قد وصف النبى محمد بأنه إرهابى. الأمر الذى أدى إلى مصادمة دموية عنيفة بين المسلمين والهندوس فى أكتوبر ٢٠٠٢. بينما أعلن جاك جراهام عقب أحداث ١١ سبتمبر، «أن الإسلام دين منحرف وعنيف». إلا أن مثل هذه التعبيرات العنيفة المضمون والشديدة التعصب لم تمنع جورج بوش من دعوة جراهام لإقامة قداس الجمعة العظيمة فى البنتاجون».

ومع بداية العدوان على العراق، أدانه الفاتيكان على أنه «جريمة ضد السلام». وقال البيان «إن من يقرر إن كل الوسائل السلمية الممكنة بفضل

القانون الدولى قد استُنفدت يقترف خطأً جسيماً أمام الله، وأمام ضميره، وأمام التاريخ» وقبل ذلك بيومين انتقد البابا يوحنا بولس الثانى هذه المبادرة العسكرية الإنجلو أمريكية قائلاً: «حينما تتهدد الحرب مصير الإنسانية كما فى مثل هذه الأيام فى العراق، فمن الأمور العاجلة أن نعلن بصوت قوى حاسم أن السلام الذى يفرضه وحده يمثل الطريق لبناء مجتمع أكثر عدلاً وتضامناً».

وكان البابا يوحنا بولس الثانى قد دعى جورج بوش فى الأسبوع السابق «إلى إعادة التفكير فى واجباته». ولا يكف البابا عن إدانة هذه الحرب الوقائية التى يصفها على أنها «فعل إجرامى» وفى أحاديث أخرى بأنها «من وحى الشيطان»!

وفى ١٥ فبراير ٢٠٠٣ كان البابا قد أرسل الكاردينال إيتشيجارى إلى صدام حسين ليحثه على التعاون مع منظمة الأمم المتحدة، وبعد ذلك بأيام أرسل الكاردينال بيو لاغى فى مهمة رسمية إلى واشنطن. بل لقد قام بتحويل الفاتيكان إلى ملتقى دبلوماسى ليستقبل على التوالى كل من بوشكا فيشر وزير الخارجية الألمانى، وطارق عزيز نائب رئيس وزراء العراق، وكوفى عنان، وشقيق خاتمى الرئيس الإيرانى، وخوزيه ماريا أزنار رئيس الوزراء الإسبانى، وكذلك سيلفيو برلوسكونى، وقبلهم تونى بلير..

وفى العشرين من شهر مارس ٢٠٠٣، مع بداية العدوان، أعلن «راديو الفاتيكان» متهماً خطورة «الديمقراطية الإمبريالية» للولايات المتحدة التى «نصّبتْ نفسها حكماً على كل شىء» متهماً جورج بوش بأنه «لا يحق له ادعاء التصرف باسم المسيحيين أو باسم القيم الغربية أو حتى باسم الله»، ثم أدانه متهماً تلك «**الإدارة التى تعطى نفسها مهمة إنقاذ ذات طابع حرب صليبية**». بل لقد وصل اعتراض البابا على هذه الحرب قبل اندلاعها بإعلانه يوم ٥ مارس يوم صوم عام من أجل السلام!

ويتساءل جان ميشيل ديميتز، مراسل مجلة إكسبرس العدد الصادر فى (١٧/ ٥/ ٢٠٠٣) عن سر تحول البابا عن ذلك التضامن بينه وبين أمريكا والذى يرجع إلى أيام الرئيس ريجان وصراعهما المشترك ضد اليسار، وما الذى يدعو البابا إلى مثل هذا النشاط الذى لم يبذل مثله أيام حرب الخليج عام ١٩٩١ ولا أيام حرب كوسوفو عام ١٩٩٩؟! وأكثر ما يخشاه البابا هو أن تتفرد الولايات الأمريكية وحدها بالسلطة من خلال مفهوم النظام العالمى الجديد الذى يسمح لها باللجوء إلى القوة وحدها.

ويوضح جان ميشيل ديميتز فى مقاله هذا «إن حقيقة ما يخيف البابا من هذه الحرب هو أن تؤدى إلى رد فعل لدى الأصوليين الإسلاميين، وتزايد الأخطار على الأقليات المسيحية المحاطة أو المحاصرة فى الأراضى المسلمة»! أى أن نيافة البابا لا يعارض الحرب حبا فى الإنسانية ولكن دفاعاً عن الأقليات التابعة له والتى يستعين بها ويعتمد عليها فى عمليات التنصير التى يقودها.. ومن اللافت للنظر هنا أنه ما من أحد قد تحدث عن هذه الجزئية التى تمثل «حقيقة» ما يخيف البابا من هذه الحرب الكاسحة ضد العراق، وإن كانت كافة الأقلام راحت تتغنى بمهاجمته لها!. والغريب أنها جزء لا يتجزأ من حديثه فى ذلك المقال، بل ويمثل الخاتمة والخلاصة التى خرج بها كاتبه..

وفى الاجتماع السنوى للكنيسة الميتودية المتحدة، المنعقد فى ٤/ ٣/ ٢٠٠٣، قال السيناتور إدوارد كيندى، الذى كان قد صوت ضد حرب العراق، بعد أن شكر الكنيسة على كل ما تقوم به من جهود لمساندة السلام: «إن حرب العراق تضعنا أمام احتمال اشتعال الشرق الأوسط وإثارة موجة جديدة من العداء ضد أمريكا فى البلدان الأخرى، الأمر الذى يمكنه تدعيم مواقف الإرهابيين، خاصة إذا ما وقف العالم الإسلامى ضدنا... إن حرق العلم الأمريكى أصبح من الطقوس المعتادة فى عواصم العالم العربى، ووصف أى شخص بأنه «أمريكى» أصبحت سُبّة فى العديد من تلك البلدان... إن

استتباب الوضع فى العراق يتطلب وجود أكثر من مائتى ألف جندى، ولدينا سبع وثلاثون ألفا فى كوريا الجنوبية، وثمانية آلاف فى أفغانستان، وخمسة آلاف فى البلقان، وأكثر من ألف فى كل من الفلبين وفى كولومبيا. أليس هذا تناثرا شديدا لقواتنا؟.. لقد استدعينا إلى الخدمة مائة وسبع وستين ألفا من الاحتياطى ونعلم تكلفة ذلك ووقعه على العائلات وعلى القوى الإنتاجية والوظائف الشاغرة...».

وفى ١٢/ ٤/ ٢٠٠٣ طالبت سينتيا ماكينى، النائبة الديمقراطية عن الدائرة الرابعة فى ولاية جورجيا، أن تقوم الحكومة بتقديم البيانات عن تلك الحرب التى تحوم حولها الشبهات «خاصة وأن هناك صراعات مصالح كبرى تورط الرئيس وقائد القوات المسلحة ونائب الرئيس والعديد غيرهم فى تلك الإدارة، وقد تكشّف بعضها». وذلك فى تقرير بعنوان: «يتعيّن على الرئيس بوش أن يجيب على الأسئلة التى تثيرها أحداث ١١ سبتمبر، وهو التساؤل الذى بدأت به تقريرها الذى قالت فيه: «هناك العديد من التحقيقات الصحفية المنشورة فى جريدة شبيجل، وفى الأوبزرفر فى لندن، وفى لوس أنجلس تايمز وعلى شبكة MSNBC وعلى CNN وكلها تؤكد أن الإدارة قد تلقت تحذيرات قبل وقوع الأحداث، وأنها لم تعرها اهتماماً.. ونطالب بإجراء تحقيقات عاجلة خاصة وأنه أثناء أحداث سبتمبر هذه كان والد الرئيس دابليو بوش مرتبطاً فى أعمال تشييدية مع عائلة بن لادن عن طريق جماعة كارلايل والعديد غيرها»..

ولم نشر إلى هذا التقرير إلا لنوضح التعتيم المفروض على الحقائق التى تشير إلى تورط أمريكا فى تلك الأحداث التى تناولها عدد لا يستهان به من الباحثين ومنهم تييرى ميسان فى كتابين هما «الاحتيال الرهيب»[١]

---

(١) أهم الإصدارات التى تكشف خفايا ١١ سبتمبر وقد تم نشره بالعربية باسم الخديعة الرهيبة نشر دار الوليد - دمشق ٢٠٠٢ ترجمة رندة بعث.

و«البنتاجيت»[1]!

وفى ٢٩/ ٥/ ٢٠٠٣ نشرت جريدة لوموند الفرنسية تقريراً صادراً عن البنتاجون بعنوان «العتاد الحربى لقوى التحالف كان أكبر مما تم إعلانه». وقد جاء به «بدلاً من ١٢٠٠ طائرة معلنة، استخدم التحالف فى الواقع ١٨٠١ طائرة ألقت على العراق ٢٩١٩٩ قنبلة وقذيفة، منها ٩٢٥١ لم تكن موجهة بدقة. إن الوقود المستخدم يساوى ما قد تستخدمه طائرة بوينج ـ ٧٣٧ فى طيران متواصل ليل نهار لمدة عشرين عاماً على التوالى!

«من بين هذه الطائرات الـ ١٨٠١، كانت ١١٣ بريطانية، و ٢٢ أسترالية، و ٣ كندية. إضافة إلى ٢٥٠ مزوّدة وقود أثناء الطيران. وقد أحصى الجنرال مايكل كوزلى عدد ٣١١٥٩٧ قذيفة سعة ٣٣ مم و ١٦٩٠١ سعة ٢٠ مم تم إطلاقها من مدافع الطائرات ونصف الـ ٤١٤٠٤ طلعات جوية كانت لمساندة الفرق الأرضية.

«إن قوى التحالف ضد صدام حسين قد ألقت ٣١,٨ مليون منشور دعائى دينى وسياسى يدعو الشعب العراقى والجنود العراقيين إلى عدم طاعة النظام القائم. وكافة الطائرات، بما فى ذلك حاملات القنابل الثقيلة ب ـ ٥٢ قد كُرست لهذه المهمة. كما قامت القوات الأمريكية باستخدام ١٥ طائرة تجسس يو ٢ (وليس ثلاث طائرات فقط كما قيل سابقاً) و ١٦ طائرة موجهة عن بعد بلا طيار، منها سبعة مزودة بصواريخ جو أرض حارقة تم استخدامها ضد أهداف محددة.

«كما قامت ٨٠ طائرة تجسس من الحلفاء بجمع ٤٢٠٠٠ صورة فيديو وتسجيل ٢٤٠٠ ساعة تصنت الكترونى فوق العراق. وقد أعلن الجنرال رتشارد مايرز قائد القوات الأمريكية، استخدام أنظمة جديدة للقيادة

(١) فضيحة البنتاغون نشر دار الوليد دمشق ٢٠٠٢ ترجمة رندة بعث.

والاتصال. ومن المعروف أنه أثناء الحرب العالمية الثانية كان البث يتم بواقع ستين كلمة فى الدقيقة، وصلت إلى مائة فى حرب فيتنام. وفى حرب الخليج سنة ١٩٩١ وصل إيقاعها إلى ١٠٠٠٠٠ كلمة فى الدقيقة، أى ما يوازى قاموساً بأكمله كل دقيقة. وفى هذه المرة، فى عام ٢٠٠٣ فى حرب العراق، وصلت سرعة الرسائل مضروبة فى ثلاثين عما كانت عليه منذ اثنى عشر عاماً:

«ومن اللافت للنظر أن كلا من مايرز وموسلى لم يبديا أية تقديرات عن الخسائر العراقية لا فى المدنيين ولا فى العسكريين».

وفى اليوم التالى، وبعد نشر بيانات هذه الهجمة اللا إنسانية على العراق، أعلن بول وولفوينز: «إن وجود أسلحة دمار شامل بالعراق لم تكن إلا ذريعة»! وذلك ما نطالعه فى جريدة لوموند الصادرة فى ٣٠/ ٥/ ٢٠٠٣: «لقد اتفقنا على مسألة محددة، هى أسلحة الدمار الشامل، لأنها السبب الوحيد الذى لا يمكن لأحد أن يعترض عليه. كما أن هناك سببا آخر لم يلحظه أحد تقريباً وإن كان شديد الأهمية، وهو: إن إسقاط صدام حسين سيسمح للولايات المتحدة بسحب قواتها من المنطقة العربية (...)

ومن اللافت للنظر أن فرانسس فوكوايا أستاذ الاقتصاد السياسى الدولى ومؤلف «نهاية التاريخ»، كان قد كتب قبل ذلك بأسبوعين، أى فى ١٥/ ٤/ ٢٠٠٣، تحت عنوان: «إنه الوقت المناسب لكى تنسحب الولايات الأمريكية من السعودية»، قائلاً: «إن الولايات المتحدة قد استعرضت قواتها فى العراق ووصلت إلى ذروة قوتها. ويتعيّن عليها أن تنتهز فرصة هذا الموقف القوى المتفرد. فلا يجب أن تبدأ بمهاجمة عدو جديد ولا يجب عليها أن توسع إمبراطوريتنا كما يطالب البعض، بل على العكس، يجب أن ننسحب وننتهز فرصة النصر لسحب قواتنا المعسكرة فى الخليج منذ ١٩٩١، لمراقبة منطقة الطرد الجوى لجنوب العراق. إن هذه القواعد كانت دائماً تثير غضب الشعب وتمثل عدم استقرار دائم. لذلك كانت من الأهداف الأولى للمتشددين. إنها

اليوم غير ذات فائدة وانسحاب قواتنا سيوضح للعرب أن الولايات المتحدة لم تأت إلى المنطقة لتغزوها (...) إن البعض يتهمنا بالخبث والرياء (...) بينما نزعم أننا ندافع عن الديمقراطية. إن انسحاب قواتنا بعد ١١ سبتمبر كان سيبدو كانهزام، أما اليوم سيُنظر إليه كأنه كرم وشهامة من جانبنا.

«وفى رسالتى حول «نهاية التاريخ» أوضحت أن العالم قد ارتبط بسياق العولمة التى تؤدى إلى الديمقراطية الليبرالية واقتصاد السوق. أى أنه على المدى البعيد، فإن الإسلام لم يعد يمثل بديلا له مصداقيته لأنه لا يخاطب غير المسلمين، كما أنه لم يعد يفى بتطلعات المسلمين التابعين له».

وتم اجتياح العراق وفقا لما أعلنه جورج بوش قبل المدة المحددة لانسحاب صدام بيومين، وتم نهب ثرواته الحضارية.. فعلى مدى أسبوع تم نهب أكبر سبعة متاحف قومية بالعراق وحرق مكتبتها القومية.. أى تم انتزاع هوية واحدة من أقدم بلدان العالم من كنوزها الأثرية والفنية على مرأى ومسمع من قوى التحالف.. وبينما حاولت وكالات الأنباء الأمريكية تقديم عملية النهب التدميرية هذه على أنها «شىء طبيعى»، بدأ الحديث عن عمليات نهب «منظمة».. ويقول جريمى بلاك، أستاذ التاريخ القديم للعراق فى جامعة أوكسفورد، «إن البنتاجون قد استقبل بعض المتخصصين الأثريين قبل بداية العدوان، وقاموا بالتنبيه على الأماكن التى يتعيّن حمايتها، ومن الغريب ألا تؤخذ هذه التحذيرات فى الاعتبار». ويضيف دونى جورج، مدير الأبحاث والدراسات بالمتحف القومى العراقى ببغداد «إن اللصوص كانوا من المحترفين، إذ أنهم لم يمسوا القطع المقلدة. لقد كانت عملية سرقة مرتبة مسبقاً». وقد أوضحت جريدة الإندبندنت بهذا الصدد «أن أجهزة الناظم الآلى بالمتحف والتى تضم بيانات المجموعات الأثرية قد تم سرقتها وسرقة الإسطوانات التى تم تخزين المعلومات عليها، بحيث لا يمكن معرفة ما كان يتضمنه المتحف، وبذلك سيصعب تتبع أو تفقد عمليات تهريب أو بيع هذه

القطع فى الخارج».

أما جريدة الجارديان فقد أوضحت أن تسعة من رجال الآثار البارزين قد اتهموا ذلك التحالف الذى تم إنشاؤه عام ١٩٩٤ باسم «المجلس الأمريكى للسياسة الثقافية»، وأنه قد اتصل بجهاز الدولة وبجهاز الدفاع، قبل بداية العدوان، لتخفيف القوانين التى تحمى العراق وتمنع خروج تراثها الأثرى أو إتلافه، فقد كان الهدف من هذا المطلب إمكانية تسهيل عملية خروج الآثار من العراق، وهى تجارة ممنوعة منذ أيام الحماية البريطانية عام ١٩٢٤، وقد تم تشديد هذه القوانين سنة ١٩٧٥. وما يخشاه هؤلاء العلماء هو أن الولايات المتحدة تستغل حكومة الوصايا القائمة حالياً فى العراق لتسهيل عملية خروج أو تصدير هذه الآثار المنهوبة».

وكانت محطة يورو نيوز قد أذاعت فى ١٩/ ٤/ ٢٠٠٣، أى قبل ما تقدم بعشرة أيام أن بعض القطع المنهوبة من العراق بدأت تظهر فى بعض بلدان أوروبية.» فقد تم نهب آلاف القطع، من بينها أندر مجموعة ألواح فى العالم مكونة من ٨٠٠٠٠ رسالة حجرية مكتوبة بالخط المسمارى، ومخطوطات قديمة جداً من القرآن».

كما تم نهب مكتبة الأوقاف، وهى المكتبة الإسلامية الرئيسية فى العراق والقريبة من المكتبة الوطنية، وقد أضرمت النار فيها. وتحتوى هذه المكتبة على نسخ من المصاحف والمخطوطات الدينية التى لا تقدر بثمن. وقد جاء تخريب المكتبات الذى وقع يوم الاثنين الموافق ١٤/ ٤/ ٢٠٠٣، بعد ثلاثة أيام من أعمال النهب التى أفرغ فيها الناهبون المتحف الوطنى العراقى من كنوزة المكونة من الآثار القديمة البابلية والسومرية والأشورية ومجموعات من المقتنيات التى تؤرخ لدور المنطقة كمهد للحضارة قبل آلاف السنين..

وكان بالمكتبة نسخ لكافة الكتب التى نشرت بالعراق، إضافة إلى كتب قديمة نادرة عن بغداد وعن المنطقة، وكتب هامة فى تاريخ اللغة العربية

ومخطوطات من الحقبة العثمانية والعباسية.

كما قامت الولايات المتحدة بالاستيلاء على منابع البترول وموارد المياه وإسناد عملياتها إلى الشركات التى كانت قد ساندت جورج دابليو بوش فى حملته الانتخابية. الأمر الذى سيضع الولايات المتحدة، إضافة إلى ما تملكه من منابع فى البلدان الخليجية وأفريقيا، فى مكانة الصدارة، وهو ما سوف يساعد على إدارة عجلة الشركات الكبرى المنتجة للسلاح والتى سمحت بانتصار ذلك التحالف. كما سوف يتم التحكم فى الموارد المائية بإسناد إدارتها - وفقاً لما أعلنه بوش - إلى نخبة مختارة من العاملين بالمخابرات المركزية الأمريكية أو بالدرجات الوظيفية الكبرى بالبنتاجون.

وتم إسناد عمليات الإنشاء والبناء والإصلاح وإعادة التأهيل للعناصر الحيوية للبنية التحتية العراقية، بما فى ذلك مراكز الطاقة وأنظمة الرى ومواردها والمواصلات والمستشفيات والمدارس وغيرها إلى شركة بشتل الأمريكية الشديدة الصلة بإدارة بوش وعائلته..

ولم يمض شهر على وقف العدوان المسلح شكلا أو رسميا، حتى بدأ الحديث عن ذلك الانهيار غير المتوقع للعراق.. وبدأ الحديث عن الخيانة.. وعلى الرغم من أن هذه العبارة قد انطلقت فور ذلك السقوط المدبّر، فى جميع أنحاء العالم، إلا أن الأسماء التى ساهمت فيه، والمبالغ التى تم دفعها لم تكن قد لاحت بعد.. ويقول جاك إيسنار فى مقال بجريدة لوموند الصادرة فى ٢٨/ ٥/ ٢٠٠٣ «خيانة صدام حسين بجنود رشاهم الأمريكان»

وبدأ الكاتب مقاله بأن الأجهزة السرية الأمريكية كانت قد دفعت ٩٠ مليون دولار لرؤساء القبائل فى أفغانستان لشراء مساندتهم.. «وكذلك تمت رشوة قادة عسكريين عراقيين من جانب الأمريكان لكى لا تساهم قواتهم فى المعارك فى الأيام الأخيرة من الحرب وإن تكف عن مساندة صدام حسين». وكانت مجلة «دفنس نيوز» قد نشرت ذلك الخبر فى عددها الصادر فى ١٩

مايو ولم يصدر أى تعليق فى واشنطن. وقد اكتفى الجنرال تومى فرانكس، قائد العمليات فى أفغانستان وفى العراق، بأن أعلن يوم ٢٧/ ٥ بأنه فى حوزته خطابات من القادة العراقيين يؤكدون ولاءهم له. وكان وزير الدفاع قد أعلن عشية الحرب «أنه يساوم» مع المسئولين فى الحرس الجمهورى. بينما علّق قائد القوات الأمريكية، ريتشارد مايرز، ضرورة «تحييد أعمدة الحكم مباشرة»..

وتحدثت الجرائد عن الأسماء، وكلها تدور حول بعض كبار القادة المقربين لصدام ومن أفراد عائلته.. والغريب أن أحداً لم يتحدث عن الدور الذى لعبه طارق عزيز.. ولعل ذلك يرجع إلى تلك الحجة المائعة التى طال أو (باخ) تكرارها، وهى: لعدم إيقاظ الفتنة الطائفية!! إلا أن ما نطالعه فى كتاب كونستانس تشيزارى المعنون «البابا، وكم من فريق؟» يوضح حقائق أخرى.

والمقصود بالفِرَق فى ذلك الكتاب هم أولئك القادة الذين يستعين بهم البابا يوحنا بولس الثانى فى تنفيذ مخططاته الجغرافية السياسية، وعددهم ١٧ أسقفاً، « يقود بهم البابا حربة الباردة الجديدة».. والمعروف أن مصطلح «الحرب الباردة» كان يشير فيما مضى إلى الحرب التى شنتها الولايات الأمريكية لاقتلاع اليسار مع تضافر جهودها مع جهود الفاتيكان.

وفى الفصل السادس الذى يتناول مجازفات أو رهانات الشرق الأوسط، يعرض الكتاب لثلاثة أساقفة: جان لوى توران، الذى تم تعيينه فى لبنان، والأسقف ماريان أولس فى العراق، والأسقف جون جوزيف أوكنور فى القدس. وتبدأ الكاتبة بتحديد «أن الخطوط العريضة لسياسة الفاتيكان فى الشرق الأوسط تدور وفقاً للنموذج اللبنانى من خلال الحوار بين الأديان».. أى أن تقوم الأقلية المسيحية بتولى الرئاسة فى الدولة!

وترجع أهمية الأسقف أولس إلى أنه بولندى الأصل، ومن الذين عاونوا البابا فى جهوده المستميتة لاقتلاع اليسار. وتوضح الكاتبة أهمية اختيار العراق قائلة: «إن العراق يمثل برج مراقبة شديد الأهمية بالنسبة للأقليات

المسيحية المقيمة فى المنطقة. وبما أن المقر فى بغداد، فيمكن للكنيسة أن تنعم بأن تتخاطب مع وزير مسيحى هو طارق عزيز. وهذه الميزة لن يتأخر الدبلوماسى البولندى فى استغلالها لصالحه» (صفحة ١٦٢)!

ونطالع فى الصفحة التالية: «يعد الأسقف أولس هو أول من بدأ الصلة الحقيقية من العراق مع نظيره السوفييتى. وقد اعتمد الفاتيكان على ذلك الثنائى ليدير مناوراته أيام أواخر الحرب الباردة. وتحول مسكن الأسقف أولس فى شارع سعدون ببغداد إلى ما يشبه صندوق الخطابات، وتحول هو إلى مرسال لتوصيل الوثائق والخطابات بين البابا وميخائيل جورباتشوف».

وتوضح الكاتبة أن من المهام الملقاة على الأسقف ماريان أولس «تولى مهام الحوار الشديد الحيوية مع مسؤلى الكنائس المسيحية الأخرى، لا في العراق وحدها، وانما مع الأردن ولبنان وسوريا والقدس. وامتد نطاق عمله إلى قبرص حينما أوفده البابا ليمثل مجمع كنائس الخليج في مجلس الكنائس العالمى المنعقد سنة ١٩٩٢. لأنه فى نظر البابا يتعين الاهتمام بمختلف هذه الجماعات، سواء أكانت خلقيدونية أو مارونية أو ملكية أو قبطية أو سريانية أو أرثوذكسية، فكلها فى نهاية المطاف تخدم نفس الهدف» . والهدف المعلن بكل وضوح هو اقتلاع الإسلام وتنصير العالم.

أما جون جوزيف أوكونر فتقول عنه الكاتبة «أنه يمثل ذلك الجيل الذى يعتمد عليه البابا منذ الثمانينيات لدفع موجة التبشير الثانية التى يقودها... وأيا كان الأمر فهو كأمريكى يقوم بعملية التبشير محليّاً ويساهم فى نفس الوقت فى تحقيق أهداف الغاية العليا للحرب الصليبية للبابا التى بدأها فى مدينة شانت يقب (١٩٨٢) والتى عليها أن تتم فى الشرق الأوسط».

وتنهى الكاتبة بحثها قائلة: «إن الشرق الأوسط قد احتل مكان الجبهة الروسية كأولوية فى الجغرافية السياسية للفاتيكان، التى تعتمد على أسقف بولندى فى بغداد وآخر أمريكى فى القدس.. إن البابا وكل رجاله يتفننون فى

كيفية تجديد الأسس مع تلك العلاقة الواهنة مع الإسلام - الذى تعدى تعداد أتباعه حالياً عدد الكاثوليك، والصراع فى نفس الوقت ضد انبثاق الأصوليين الذين يوجدون بداخله... لذلك يعتمد البابا على الحوار المسيحى الإسلامى الذى لا يهدف إلا إلى حماية الأقليات المسيحية التى تعيش وسط أغلبية مسلمة» (صفحة ١٧٧).

وإذا ما كان طارق عزيز قد تعاون، لكى لا نقول قد تواطأ إلى ذلك الحد فى تسهيل مهمة الأسقف ماريان أولس فى الدور الذى قام به لاقتلاع اليسار، فمن المؤكد أنه قد قام بنفس ذلك الدور لهدم صدّام حسين والمساعدة على إدخال فرق التحالف وفرق المبشرين الذين كان نصف ما يحملونه من معدات عبارة عن أناجيل، كما أوضحت ذلك جريدة النيويورك تايمز فى العددين الصادرين فى ٥ و ٦ أبريل!

وفى ٢٥/ ٤/ ٢٠٠٣ أعلنت شبكة الـ بى بى سى: «تقول مصادر الجيش الأمريكى: أن طارق عزيز، نائب رئيس الوزراء فى حكومة صدام حسين يخضع لاستجواب يجريه معه مسؤلون أمريكيون بعد يوم من اعتقاله.. وقالت القيادة المركزية للقوات الأمريكية فى قاعدة السيلية فى قطر أن نائب رئيس الوزراء العراقى السابق محتجز لدى القوات الأمريكية. أما مراسل الـ بى بى سى فى وزارة الدفاع الأمريكية فيقول ربما يكون طارق عزيز أهم المسئولين العراقيين الذين ألقى القبض عليهم حتى الآن..

وقد قامت مجموعة من الصحفيين بسؤال جورج بوش عن نبأ اعتقال طارق عزيز، لكنه لم يرد واكتفى برفع إبهامه تعبيراً عن الاستحسان! وهذا الاستحسان من قبل بوش يعنى أن طارق عزيز من خيرة المتعاونين..

ومما يذكر أن طارق عزيز كان كثير السفر فى مهام رسمية لمحاولة حشد التأييد الدولى لبلاده، وقد التقى بالبابا يوحنا بولس الثانى بالفاتيكان قبيل بدء الحرب..

الأمر الذى يلقى بكثير من الظلال القاتمة حول ما قام به فى هذا اللقاء..

واللافت للنظر أن اسم طارق عزيز قد اختفى من الساحة مثله مثل أسماء العديد من الذين يبيعون دولتهم ويقبضون ثم ينزوون بعيداً ولا يذكرهم التاريخ إلا بخيانتهم..

وبدأت الحقائق تتكشف.. ففى العدد الصادر فى ٧/ ٦/ ٢٠٠٣ لجريدة ليبراسيون، كتب كريستوف بولتانسكى تحت عنوان «بوش وبلير متهمان بالتلاعب»، أن الصراع فى لندن بدأ يحتد ليتهم بلير صراحة بالكذب وأنه قد قام بتلفيق كافة المعطيات للحصول على موافقة الحكومة على العدوان على العراق. بينما الأمر فى الولايات المتحدة لم يتحول بعد إلى فضيحة رسمية لكن الاتهامات ضد إدارة بوش وتلاعبها بالحقائق بدأت تتزايد خاصة وإن هانز بليكس، رئيس خبراء الأمم المتحدة، مازال يؤكد عدم وجود أسلحة دمار شامل فى العراق. وإن كان كل من بوش وبلير مازالا يؤكدان أن تلك الأسلحة سوف تظهر إن عاجلاً أو آجلاً.. ورغمهما يقول دونالد رامسفيلد إن صدام حسين ربما قد أباد ترسانته من الأسلحة قبل بدء العدوان..

وفى مقال تحت عنوان «الأسلحة والمبالغات الجماعية» كتب بسكال ريش فى نفس العدد من الصحيفة: «على الرغم من مرور عدة أسابيع من البحث الدؤوب فى أكثر من ٢٣٠ موقعا مشكوكا فيها، فلم يتم العثور على أية أسلحة دمار... وكلمات من قبيل «مؤامرة» أو «أكاذيب تمت حياكتها بلباقة» لم تعد مستبعدة، ومن الواضح أن الحكومة الأمريكية والبريطانية لم تتحرجا فى «إعداد» الملف الخاص بتلك الحرب، فقد قام البنتاجون بالدور الرئيسى فى تكوين ذلك الملف الهزيل فى مصداقيته ـ إذ تم إنشاء إدارة جديدة للمعلومات بعد الحادى عشر من سبتمبر.. باسم «مكتب الخطط الخاصة» وكان عليه تقديم الأدلة علي وجود علاقة ما بين العراق وأحداث سبتمبر وقد تمت صياغة الخطبة التى كان على كولن باول أن يلقيها أمام الأمم المتحدة لتقديم

«البراهين» على تورط العراق. إلا أن جريدة اليونايتد ستيت نيوز أوردت أن كولن باول قد ألقى بالتقرير فى الهواء قائلاً: «لن أقرأ هذه الحماقات»! ومع ذلك فقد قرأها بينما وقف خلفه جورج تينت، رئيس المخابرات المركزية الأمريكية، بناء على أوامر من البيت الأبيض، ليضفى مزيداً من المصداقية على البيان!!

ويضيف كاتب المقال أن تونى بلير قد تلاعب هو أيضاً بالبيانات لإقناع الرأى العام ففى بيان أذاعه فى ٢٤ سبتمبر ٢٠٠٢ أفزع النواب بأن أكد لهم بناء على تقارير موثوق بها أن صدام حسين يمكنه استخدام الأسلحة البيولوجية والكيماوية فى غضون ٤٥ دقيقة.

أما فيما يتعلق بالأدلة، فيقول بوكتانسكى فى نفس العدد إن تبرير حرب العراق لم يعتمد على المبالغة فى تقرير البيانات الواردة من الوكالات المتخصصة فحسب، لكن فى كثير من الأحيان قد تم تحريف هذه البيانات وتزييفها. ويدخل فى هذه البيانات والمعلومات المزيفة حول لقاء محمد عطا مع أحمد خليل الآنى السكرتير الثانى بسفارة العراق، ذلك اللقاء الذى أيده وزير الداخلية التشيكى ثم عاد وأنكره؛ وكذلك أنابيب الألومنيوم التى زعم جورج بوش فى خطابه المذاع على الهواء يوم ٧ أكتوبر ٢٠٠٢ أن العراق قد اشتراها «لاستخدامها فى تغذية اليورانيوم للأسلحة النووية» إلا أن خبراء الوكالة الدولية للطاقة الذرية وكذلك خبراء إدارة الطاقة الأمريكية قد شككوا فى ذلك الأمر؛ ومن هذه الأدلة المزيفة أيضاً إعلان تونى بلير يوم ٢٤ سبتمبر ٢٠٠٢ أن صدام حسين قد اشترى كميات هائلة من اليورانيوم من النيجر. ثم عاد واستخدم نفس الزعم فى شهر يناير ٢٠٠٣. وقد أكد خبراء الوكالة الدولية للطاقة الذرية أن هذه المعلومة تستند على وثائق كاذبة خاصة وإن إحدى الوثائق المقدمة عليها توقيع أحد الوزراء فى النيجر، والذى لم يكن يتولى ذلك المنصب فى نفس هذا التاريخ!!

حتى الصور والمشاهد التى تم تصويرها أو إذاعتها على التليفزيونات كانت مزورة! فمن المعروف أن قوى التحالف قد حاولت كسب المعركة بالتلاعب فى الصور والمواقف. فأغلبية الصور المذاعة على الشاشات كانت مفبركة وملقوطة لصالح الغزاة. ويؤكد فابريس روسلو فى نفس الصحيفة الصادرة فى ٧/ ٦/ ٢٠٠٣، أن عملية إسقاط تمثال صدام حسين يوم ١٩ أبريل فى ميدان الفردوس كانت عبارة عن عملية إخراج تليفزيونى من القوات الأمريكية التى أسقطت التمثال تماماً وإن بعض العراقيين المتواجدين فى الساحة أحضرتهم القوات الأمريكية معها.

ويؤكد كاتب المقال أنه حتى عملية إنقاذ المجندة جسيكا لينش فى أول أبريل كانت مدبرة، وقد أورد كافة التفاصيل لمسرحية «إنقاذها» من مستشفى صدام بالناصرية. وذلك ما راحت تؤكده أيضاً محطة البى بى سى التى قامت باستجواب الشهود الذين أكدوا أنه لم يكن هناك أى عسكرى عراقى فى هذه الأثناء. بل لقد عرض الأطباء بالمستشفى على الجنود الأمريكيين أن يعطوهم مفاتيح المستشفى إلا أنهم أصروا على فتح الأبواب ركلا من باب «البطولة»!.. وإن كل ما زعموه من رصاصات أو جروح نتيجة لضربها بالسكاكين كانت عبارة عن أكاذيب من الأول إلى الآخر.

ويقول باتريك سباتييه فى افتتاحية ذلك العدد من جريدة ليبراسيون: «فى زمن الحرب، عادة ما تكون الحقيقة هى أول ضحية. وكل القادة فى كل زمان ومكان قد لجأوا للكذب لرفع الروح المعنوية لجنودهم ولخداع الخصم أو لاستبعاد مسائل محرجة. والسذّج وحدهم هم الذين يندهشون من أن الحقائق بدأت تلوح بعد شهرين من سقوط بغداد لتؤكد أن بوش وبلير قد لجآ إلى الأكاذيب والخداع لغزو العراق..

«إن كل ماقدماه من معلومات لم يكن يستند إلى الصحة، فالتهديد من جانب العراق لم يكن وشيكا ولا ملحاً، وإنما كلها أسانيد مختلقة بعد ١١

سبتمبر ٢٠٠١ فلقد تم اختيار الجانى ولم يكن باقيا إلا اختلاق إلصاق التهمة به.. إن الأكاذيب والأخطاء بل والمبالغات التى لجأ إليها كل من بوش وبلير، حتى وإن كانت ناجمة عن أحداث ١١ سبتمبر، إلا أنها لا تبرر شرعية ما أقدما عليه للهجوم على العراق. إلا أننا أصبحنا نتساءل حول شرعية هذه «الحروب الوقائية» وحول حق واشنطن ولندن فى التلاعب بالرأى العام لتبرير اختياراتهم الاستراتيجية. إن النتيجة الحتمية لما حدث هو تآكل رصيد الولايات المتحدة من المصداقية ويدين حربها ضد الإرهاب وصراعها ضد حيازة أسلحة دمار شامل».

وحول أساطير الغرف المحصّنة تحت الأرض كتب ديديه فرانسوا فى نفس عدد ٧/ ٦ إن طلعة القذائف التى أُلقيت فى ليل ٢٠ مارس الساعة ٢,٣٥ بتوقيت جرنيتش قد انطلقت قبل نهاية المهلة المعطاة لصدام حسين ليتنازل بثلاث دقائق. وكان المقصود من هذه الضربة الفجائية الأولى «قطع رأس» الإدارة العراقية المختفية فى غرف محصّنة إلا أن المخابرات المركزية الأمريكية قد تعرفت عليها!! ويا لها من رواية منسوجة رددتها العديد من وكالات الأنباء مع إضافة أن أحد أقارب صدام حسين قد وشى به. وفى الأيام التالية كان كبار الضباط الأمريكان أو البريطانيين يؤكدون فى الموقع أن صدام حسين قد قتل أو جرح جروحا بالغة أثناء هذا القصف المكثف.

وتم إنكار ظهور صدام حسين على شاشات التليفزيون العراقى والعالمى بينما كان يحث جنوده على الصمود أمام الغزاة.. وفى ٢٩ مايو كشفت محطة سى بى إس أن تلك الغرف المزعومة فى قرية دورا والتى تم قصفها بكثافة يوم ٧ أبريل غير موجودة فى الواقع، بل ولا أثر لها ولا لأية جثث. فقد قال الكولونيل تيم مادير «منذ وصولنا بحثنا عن أية غرف محصّنة تحت الأرض ولم نجد شيئاً.. لقد عثرنا على فجوات ضخمة بسبب القذائف لكننا لم نعثر على أية منشآت تحت الأرض ولا على أية جثة» ويظل صدام حسين لغزاً كبيراً لحرب بدأت بأكاذيب وانتهت بلغز واضح!

أما جان مرشيه فقد تناول «غضب الجواسيس» فى مقال أوضح فيه أن رجال المخابرات الأمريكية المركزية غاضبون مما حدث من تحريف بالمعطيات لتبرير الحرب على العراق الأمر الذى أدى إلى أزمة ثقة فيما يقدمونه من أعمال استخبارية.. وقد ذكرت الواشنطن بوست أن بعضهم قد اتهم نائب الرئيس، شينى، بمضاعفة زياراته لمقر المخابرات الأمريكية المركزية ليمارس ضغوطه حتى تأتى التقارير مؤيدة للحرب..

أما فى لندن، فقد أصر البرلمان على أن يتعهد تونى بلير بعدم ممارسة التلاعب بالتقارير مرة أخرى! ويا لصغر الموقف، لكن ذلك لا يهم أحداً منهم طالما كل الطرق تؤدى إلى المساس بالإسلام والمسلمين..

وكلها أكاذيب دولة.. أكاذيب ملفقة أشبه ما تكون بذلك اللص الذى يهرب صارخاً: «حرامى! حرامى»! فكل ما يتعلق بتبرير الحرب على العراق ثبت أنه مجرد أكاذيب.. بدءًا من التقرير الذى قدمه جورج دابليو بوش فى ١٢ سبتمبر ٢٠٠٢ أمام مجلس الأمن التابع لمنظمة الأمم المتحدة: «عقد من الأكاذيب والتحديات».. وقد كان هذا التقرير مليئاً بسلسلة من الأكاذيب ومنها أن العراق على صلة وطيدة بالإرهابيين فى القاعدة ويهدد الولايات المتحدة لأنه يمثل «أسلحة دمار شامل».. وكلها عبارات صاغها مستشارو بوش بكل جبروت..

فبعد انتصار القوات الأمريكية وأتباعها بثلاثة أشهر تأكدت حقيقة أن كل هذه «الأسانيد» كانت مجرد أكاذيب.. وكل يوم بعد يوم يزداد الأمر وضوحاً من أن الإدارة الأمريكية هى التى تلاعبت وزيفت واختلقت المعلومات المتعلقة بأسلحة الدمار الشامل. فالفريق المكون من ألف وأربعمائة مفتش، تحت إدارة الجنرال دايتون، لم يعثر حتى اليوم على أية بادرة دليل.. بل لقد بدأ الأمر يتكشف أنه فى اللحظة التى كان جورج بوش يعدد تلك الاتهامات ويعلنها كان قد تسلم تقارير من مخابراته تؤكد له أن كل ذلك مجرد أكاذيب

مختلقة، وذلك هو ما نطالعه فى الانترناشيونال هيرالد تريبيون الصادرة فى ١٤/ ٦/ ٢٠٠٣. ووفقاً للتعليق الذى قالته السيدة جين هارمان، الممثلة الديمقراطية لمقاطعة كاليفورنيا: «إننا أمام أكبر عملية تسميم وإفساد للنفوس فى التاريخ» (راجع جريدة ليبراسيون الصادرة فى ٢٨/ ٥/ ٢٠٠٣). ولأول مرة فى التاريخ يتساءل الأمريكان حول الأسباب الحقيقية للحرب بعد انتهائها.

وفى وسط هذه العملية الضخمة من التلاعب والتحريف، يلوح اسم مكتب سرّى فى قلب البنتاجون، هو: «مكتب الخطط الخاصة»، الذى لعب دوراً خبيثاً فى هذا الموضوع. ففى ٦/ ٥/ ٢٠٠٣ كشف سيمور هرش فى مقال بجريدة النيويوركر، أن ذلك المكتب قد تم إنشاؤه بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١، بريادة بول وولفويتز، الرجل الثانى فى وزارة الدفاع. وهذا المكتب، بقيادة أبرام شولسكى كل مهمته هى فرز البيانات التى قامت بجمعها مختلف إدارات الاستخبارات الأمريكية ويقوم بعمل تجميع شامل بينها ثم يرفعها للحكومة.. وقد اعتمد هذا المكتب على منفيين عراقيين على صلة بالمجلس القومى العراقى (وهى منظمة يمولها البنتاجون) ورئيسه، المشكوك فى ولائه، السيد أحمد شلبى، لتضخيم المعلومات الخاصة بأسلحة الدمار الشامل وصلة صدام حسين بتنظيم القاعدة.

وتعبيراً عن الغضب الناجم عن كل هذا التلاعب، قامت جماعة من الخبراء القدامى للمخابرات المركزية الأمريكية ومن إدارة الدولة بكتابة مذكرة فى التاسع والعشرين من مايو، تم رفعها للرئيس جورج بوش، ومما ورد بها: «لقد سبق وتم تزييف بعض المعلومات لأسباب سياسية، لكنه لم يحدث أبداً فى التاريخ ولا بمثل هذه الصورة الدؤوب بغية خداع المسئولين ليسمحوا بإعلان الحرب»، وقد أطلقوا على أنفسهم «جماعة المخابرات المحترفين القدامى لصحة العقل». أى إنه فريق عمل محنك، من داخل السى آى إيه..

وتدل الأخبار على أن كولن باول نفسه قد تم التلاعب به، وأنه يواجه حالياً مصيره السياسى الذى أصبح فى الميزان. ومن المعروف أنه قد حاول مقاومة ضغوط البيت الأبيض والبنتاجون لإذاعة أكثر البيانات تحريفاً. فقبل خطابه الشهير الذى أذاعه فى الخامس من شهر فبراير ٢٠٠٣ أمام مجلس الأمن، أصر كولن باول على قراءة مسودة البيان الذى أعده مدير مكتب ريتشارد تشينى، نائب الرئيس، وكان ذلك البيان يتضمن من المعلومات الخاطئة بحيث غضب كولن باول صائحاً وهو يقذف بالأوراق فى الهواء: «لن أقرأ هذه الحماقات،» إلا أنه اضطر إلى قراءة البيان ووقف خلفه جورج تينيت رئيس المخابرات المركزية الأمريكية لإضفاء مزيد من المصداقية وليتقاسم مسئولية ما يذاع رسمياً من فريات.. ولقد اعترف السيد وولفويتز بأكاذيب الدولة تلك فى حوار أجرته معه مجلة فانيتى فير الصادرة فى ٣٠/ ٥/ ٢٠٠٣، إذ أعلن أن السبب الذى من أجله تم وضع تهديد امتلاك العراق لأسلحة دمار شامل لتبرير تلك الحرب «الوقائية» قد تم «لأسباب بيروقراطية». ثم أضاف قائلاً: «لقد اتفقنا على نقطة أسلحة الدمار الشامل لأنها السبب الوحيد الذى كان يمكن للجميع قبوله دون اعتراض».

وذلك يعنى بكل وضوح أن السيد رئيس الولايات المتحدة قد كذب، وأنه قد بحث عن سبب للحرب يمكنه اجتياز أو تخطى هيئة الأمم واستقطاب بعض الممالئين له أو المتواطئين فى خطته، فإن الرئيس الأمريكى بوش «لم يتردد فى فبركة واحدة من أكبر أكاذيب الدولة» على حد وصف اجناسيو رامونيه فى جريدة الموند دبلوماتيك عدد يوليو ٢٠٠٣.

ولم يكن جورج بوش هو الوحيد الذى تم اتهامه بالكذب، ففى مجلس العموم البريطانى، كان تونى بلير قد وقف فى الرابع والعشرين من سبتمبر ٢٠٠٢ ليؤكد «أن العراق يمتلك أسلحة كيماوية وبيولوجية و... وأنه يمكنه شن هجومه خلال خمس وأربعين دقيقة». بينما كان كولن باول يعلن أمام مجلس

الأمن «أن صدام حسين قد شرع فى أبحاث حول عشرات العناصر البيولوجية المؤدية إلى أمراض من قبيل الغرغرينا الغازية، والطاعون، والتيفوس، والكوليرا، والجدرى والحمى النازفة» بينما أضاف تشينى، نائب الرئيس، فى مارس ٢٠٠٣ عشية الحرب قائلاً: «نعتقد أن صدام حسين يمتلك بالفعل أسلحة نووية»، وهو وارد فى مجلة التايمز الصادرة فى ٩/ ٦/ ٢٠٠٣.

ولم يتورع الرئيس جورج بوش من ترديد نفس البيانات والمعلومات، بل لقد وصلت به الاستهانة بالعقول وبالرأى العام إلى درجة الإعلان فى خطابه المذاع على الأمة وعلى العالم، فى ٨ فبراير ٢٠٠٣ إلى الإفصاح عن تفاصيل من قبيل: «أن العراق قد أرسل خبراء فى المتفجرات وفى تزييف الأوراق للعمل مع القاعدة، كما أتاح لأعضاء القاعدة أن يتدربوا على الأسلحة البيولوجية والكيماوية. وأن هناك عميلاً للقاعدة قد أرسل إلى العراق عدة مرات فى أواخر ١٩٩٠ لمساعدة بغداد فى الحصول على سموم وغازات».

ولقد تولت أجهزة الإعلام المعاونة التى تحولت إلى أجهزة دعاية حربية فجة، إلى تكرار وزيادة وتضخيم تلك البيانات إلى حد الإعياء فى شبكات الفوكس نيوز والسى ان إن، وغيرها إضافة إلى بثها فى المحطات الإذاعية، والمعروف أن الولايات المتحدة تمتلك ألفا ومائتين وخمسا وعشرين محطة. الأمر الذى يوضح إلى أى مدى يمكن السيطرة على المستمعين بل لقد امتلأت بعض الجرائد التى لها ثقلها واتزانها بنفس هذه الأكاذيب التى مثلت الركيزة الأساسية فى تلك الحرب، وقد تم ترديدها فى كافة البلدان الغربية وغيرها.

وقام كل الموالين للسياسة الأمريكية بترديد نفس الأكاذيب الملفقة، خاصة رئيس الحكومة الإسبانية خوزيه ماريا أزنار الذى راح يؤكد فى الخامس من فبراير ٢٠٠٣ قائلاً: «نحن نعلم جميعاً أن صدام حسين يمتلك أسلحة دمار شامل (...) ونعلم أيضاً أنه يمتلك أسلحة كيماوية» وقبلها بعدة أيام، فى الثلاثين من شهر يناير وبناء على طلب من جورج بوش كتب إزنار

لمساندة الولايات المتحدة ما عرف باسم «خطاب الثمانية» الذى يؤكدون فيه «أن النظام العراقى وأسلحة الدمار الشامل التى يمتلكها تمثل تهديداً للأمن العالمى»!! ويالها من أكاذيب، أكاذيب ظلت تتردد لمدة ستة أشهر لتبرير حرب لا الشعوب الأمريكية ولا شعوب العالم كانت تقرها.. ورغم ذلك ظلت آلة الحرب أو ذلك الجهاز المغرض المؤيد للحرب يقرع طبوله بتلك الأكاذيب بقحة وجبروت لم يعرفها أى نظام.

ولا غرابة فى ذلك فالولايات المتحدة لها سوابق عدة فى اختلاق الأكاذيب التى أصبحت تمثل سلسلة متواصلة لتاريخها السياسى. ولا نذكر على سبيل المثال سوى واقعة تدمير البارجة «مين» فى خليج هفانا عام ١٨٩٨ والتى تم اتخاذها ذريعة فى الولايات المتحدة للدخول فى حرب ضد إسبانيا وضم كوبا وبورتوريكو والفيلبين وجزر جرام إلى ممتلكاتها.. وأيام الحرب الباردة أطلق رجال المخابرات المركزية الأمريكية بعض «الوثائق السرية» تؤكد تفوق السوفييت فى سباق التسلح، وتناولت أجهزة الإعلام الخبر وبدأ الضغط لزيادة الميزانية الحربية، وأقر جون كيندى بليارات الدولارات واعدا بذلك فى حملة انتخاباته، وما إن تم انتخابه وتخصيص الميزانية حتى اكتشف كيندى أن التفوق الحربى الأمريكى يزيد بصورة ساحقة عما وصل إليه الاتحاد السوفيتى..

وقد رأينا كيف تضافرت الجهود السياسية والكنيسة فى تلك الحرب الباردة حتى أطاحوا بالكتلة الشرقية مستعينين بشتى الوسائل من أكاذيب ورشاو وإعلام عميل، حتى خلت الساحة الدولية من أى توازن يمكنه أن يحد من الشطحات الاستبدادية التى نراها..

وفى عام ١٩٦٤ ثم افتعال ضرب بارجتين أمريكيتين فى خليج تونكين لافتعال حرب فييتنام. وتذرع جونسون بهذه «الحادثة» ليبدأ هجومه على فيتنام الشمالية. وتورط الجيش الأمريكى وخرج منها بهزيمة عام ١٩٧٥ ومازال التعتيم يحيط بكثير من جوانبها. ونفس السيناريو تقرر مع رونالد

ريجان حينما أعلن التهديد القادم عليه من نيكاراجوا قائلاً: «أن نيكاراجوا على بعد يومين بالسيارة من هارلنجسن فى تكساس. ونحن فى خطر!» بينما أعلن جورج شولتس وزير الدولة «أن نيكاراجوا عبارة عن سرطان ينهش فى أراضينا، وتقوم بتطبيق النظام الفاشى وتهدد بالسيطرة على نصف الكرة الأرضية».. وأدت هذه الأكاذيب إلى مساعدة المرتزقة المعروفة باسم الكونترا والتى أدت بدورها إلى فضيحة «إيران جيت»!

أما الأكاذيب التى أدت إلى حرب الخليج عام ١٩٩١ فلا زالت تمثل نموذجاً معياريا فى كيفية حشو العقول بالأكاذيب والمعلومات المضللة.. وقد ازداد التلاعب بالعقول منذ انتخاب جورج بوش فى تلك الانتخابات المزورة عام ٢٠٠٠ بل لقد أصبح كيفية التلاعب بالرأى العام من النقاط الرئيسة فى حكومة جورج بوش إلى جانب ما يطلقون عليه «الحرب النفسية». وقد عاصرنا ما واكب الحرب ضد أفغانستان من فريات مفتعلة.

ففى ٢٠ فبراير ٢٠٠٢ كشفت النيويورك تايمز عن أكبر عملية تلاعب بالعقول فحشا. إذ كان البنتاجون قد أنشأ سرياً ذلك المكتب الغامض المعروف باسم «مكتب التأثير الاستراتيجى» كل مهمته نشر معلومات كاذبة تخدم أهداف الولايات المتحدة، وذلك بناء على أوامر من رامسفيلد ودوجلاس فيث، ووضعا المكتب تحت رئاسة الجنرال سيمون ووردن من السلاح الجوى. وكان من مهام هذا المكتب بث بيانات خاطئة خاصة لوسائل الإعلام الأجنبية. وكشفت الصحيفة أن ذلك المكتب كان قد وقع عقداً بمائة ألف دولار عام ١٩٩٠ مع أحد مكاتب راندن جروب الذى كان قد اختلق واقعة تلك «التومرجية» الكويتية التى أكدت أنها رأت الجنود العراقيين وهم ينهبون قسم الأطفال من مستشفى الكويت «وينزعون الأطفال من الحضَّانات ويلقونهم بعنف على الأرض بلا رحمة لقتلهم».. وكانت هذه الشهادة بالتحديد من الشهادات الحاسمة التى أدت بأعضاء الكونجرس بالتصويت لصالح الحرب..

وقد قام نفس ذلك المكتب بالعديد من العمليات فى الحرب الجديدة على العراق ومنها أكذوبة المجندة الأمريكية جسيكالينش فى مطلع أبريل ٢٠٠٣. وقد أعلن بوش نبأ تحريرها بنفسه عن البيت الأبيض، وبعد ثمانية أيام كان البنتاجون يضع بين أيدى وسائل الإعلام شريط فيديو لهذه العملية مليئا بمناظر جديرة بأحسن الأفلام الحربية! وكان هذا الشريط قد التقطه أحد مساعدى ريدلى سكوت أيام إخراج فيلم «سقوط النسر الأسود» عام ٢٠٠١. وقد تم إرسال هذا الشريط لعمل المونتاج اللازم فى الإدارة المركزية للجيش الأمريكى فى قطر، وبعد أن تم عرضه على البنتاجون تم توزيعه على العالم. وهو ما أكده روبرت شير فى لوس أنجلوس تايمز ٢٠/ ٥/ ٢٠٠٣.

لقد قام بوش ورفاقه بخداع المواطنين الأمريكيين وبخداع الرأى العام العالمى بأكاذيب فجة فاحشة.. فهى على حد قول الأستاذ بول كروجمان، «إنها تمثل أسوأ فضيحة فى التاريخ السياسى للولايات المتحدة.. إنها أسوأ من فضيحة ووتر جيت، وأسوأ من فضيحة إيران جيت»! لكن، هل من محاسب؟! فالأسوأ من كل هذه الفضائح بلا شك هو فضيحة التعتيم الإعلامى عليها، وخاصة فى بلدان العالم الإسلامى والعربى، ومهانة قبولها أو «ابتلاعها» وعدم المحاسبة عليها.



الفصل الثالث

مجامع، تواريخ، أحداث ومتناقضات

إن شكل انعقاد المجمع ونوعيته أو بنيته قد تغيّرت على مر التاريخ الكنسى. إلا أن سبب انعقاد تلك المجامع كان يتم دائماً لمواجهة الهجوم على تكوين وتغيير العقيدة وصياغتها أو ما تسببه من تناقضات، وفقاً لأغراض سياسية أو اجتماعية أو شخصية عقائدية أو تأديبية. وقد أدت المجامع، وخاصة الأربعة الأولى، إلى اضطهادات عنيفة وإلى إلقاء اللعنة والحرمان على بعض رجال الدين أو الدولة.. بل لقد وصل العنف إلى حرق الخارجين أو المنشقين أحياءً. واستمر نفس النسق طوال العصور الوسطى وحتى يومنا هذا بأشكال متفاوتة الحدة، حيث إن الممارسة المجمعية قد أثبتت أنها قادرة على حسم الصراعات وفقاً لأهوائها.. ولا غرابة فى ذلك بما أن الكنيسة، وفقا لما هو وارد بالأناجيل، لم تتلق من يسوع أى توجيه بذلك. وكل العقائد التى تكوّن المسيحية الحالية غير واردة بالعهد الجديد، وإنما قد تمت صياغتها عبر المجامع على مر السنين..

لذلك يحق القول بأن هذه النصوص المتداولة حالياً ليست إلهية ولا

منزَّلة كما تدعى الأيادى العابثة، وإنما هى من نسج الكيان الكنسى كمؤسسة لاهوتية بابوية. الأمر الذى دفع موريس بوكاى إلى كتابة عبارته الشهيرة قائلاً: «قليل من المسيحيين هم الذين يعرفون أن ديانتهم قد نسجت عبر المجامع، وقليل منهم لا يعرفون أن الأناجيل الحالية لم يكتبها الأشخاص التى هى معروفة بأسمائهم» («التوراة، والإنجيل، والقرآن والعلم»).

وتنقسم المجامع إجمالاً إلى مجامع محلية، خاصة بكل منطقة، أو مجامع عامة، ومجامع مسكونية، أى دولية، جامعة وملزمة لكافة الكنائس بانقساماتها.

ويتكون هذا الجزء من البحث إلى ثلاثة أقسام، الأول بعنوان «أهم المجامع وبعض القرارات الناجمة عنها»، والثانى بعنوان: «تواريخ وأحداث مسيحية» والثالث بعنوان: بعض المتناقضات. وقد تم جمع المادة أساساً من كتاب: «التواريخ الكبرى للمسيحية» الصادر عن دار نشر لاروس فى مجموعة إصدارات أساسية»، وموسوعة أونيفر ساليس الفرنسية طبعة ١٩٩٦، وكتاب «أسطورة يسوع» للإيطالى لويجى كاتشيولى، «وقاموس اللاهوت» و «القاموس التاريخى العام للبابوية» والإنجيل بعهديه.

ولم نتناول هذه الجزيئات التاريخية من المجامع والتواريخ المكونة للمسيحية الحالية، إلا لنوضح للقارئ حقيقة ما يقال من أن المسيحية الحالية قد تم نسجها عبر المجامع على مر التاريخ، وليست المسيحية التى أتى بها عيسى ﷺ؛ وإن الإنجيل الذى كان يبشر به وينص القرآن الكريم على أنه منزّل من عند الله قد تم إخفاؤه لفرض كل ما نطالعه من تحريف وتضارب، ولنكشف أن التعصب الكنسى الذى يقود الحرب الصليبية الحالية لا حق ولا دافع له سوى الأطماع الأنانية والرغبة المستميتة فى السيطرة على الثروات وعلى عقول البشر لكى لا ينفضح أمره.. ولا يسعنا إلا أن نسألهم: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ۝٧٠ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؟ (٧٠، ٧١آل عمران)

 أهم المجامع وبعض القرارات الناجمة عنها:

٤٨: يمثل المجمع المنعقد عام ٤٨م أول مجمع فى التاريخ الكنسي، وقد انعقد فى مدينة أورشليم، وكان يعقوب شقيق السيد المسيح هو رئيس الكهنة آنذاك. وتم الاتفاق على إسقاط فريضة الختان التى أرادها الرب أزلية، وإحلال بدعة التعميد لتسهيل اعتناق الوثنيين المسيحية. وهو أول انحراف تم فى تعاليم الرسالة.

٧٠ـ ٨٠: نشر الأناجيل المتواترة وأعمال الرسل، كما يقولون، إذ أن تاريخ صياغتها يخالف ذلك.

٩٥: نشر إنجيل يوحنا، وفقاً لما يقال.

٩٦: صياغة عقيدة «الحواريين الاثنى عشر»، والمعروف أن العدد والأسماء تختلف فى الأناجيل.

١٤٤: إدانة مرسيون وإدانة كتاباته المعادية لما تقوله الكنيسة.

١٥٤: خلاف فى روما حول تحديد عيد الفصح. واستمر الخلاف حتى ١٩٠ حينما طالب إيرينى، أسقف الكنيسة اليونانية من البابا فيكتور الأول أن يحسم هذه القضية المختلف فيها بين المسئولين.

٢٥٦: مجمع كارتاجنة حول تعميد «الهراطقة» - أى المنشقين على ما تقوم به الكنيسة.

٢٦٨: مجمع أنطاكيا وإدانة بولس الساموزاتى.

٢٧٥: الإمبراطور أورليوس يحاول إعادة عبادة الشمس. وتاريخ دخولها فى المدار الشتوى فى ٢٥ ديسمبر هو الذى سيتحول إلى عيد ميلاد السيد المسيح فيما بعد. وقد اعترف البابا يوحنا بولس الثانى بذلك التبديل!

٣١٣: مرسوم ميلانو أو السماح للمسيحيين بممارسة عقيدتهم.

٣١٤: مجمع آرل لإدانة الأسقف دونا وتحريم الدوناتية التى تدين المسيحيين الذين أنكروا عقيدتهم أيام ديوقليتس.

٣٢٣: مجمع الإسكندرية لإدانة أريوس الذى كان ينكر محاولات تأليه السيد المسيح ويرفضها.

٣٢٥: مجمع نيقية الأول لإدانة وحرمان الأسقف أريوس، وتثبيت «عقيدة الإيمان» التى تنص على أن السيد المسيح من نفس طبيعة الله، وتحديد عيد الفصح بيوم الأحد لتمييزه عن الاحتفال اليهودى به يوم السبت.

٣٨١: مجمع القسطنطينية الذى فرض تأليه الروح القدس وفرض بدعة الثالوث.

٤٠١: مجمع أفسوس وقيام أسقف القسطنطينية بحرمان ستة أساقفة سيمونيين لمتاجرتهم بالأشياء الروحية.

٤٣١: مجمع أفسوس أدان نستوريوس لرفضه عبارة «أم الله» أو إطلاقها على السيدة مريم. وفرض الإيمان بعذرية السيدة مريم.

٤٥١: مجمع خلقدونيا يدين أسقف الإسكندرية والمنادين بطبيعة واحدة للسيد المسيح. وقيام البابا القديس ليون بفرض أن للسيد المسيح طبيعتين: واحدة إلهية والأخرى بشرية. وقد رفضت كنائس الشرق هذه الازدواجية.

٥٢٠: أسقف هاليكرناس يفرض عقيدة عدم فساد جثمان السيد المسيح بما أنه إله!

٥٢٨: مرسوم بإلزام الوثنيين باعتناق المسيحية.

٥٥٣: مجمع القسطنطينية الثانى: انعقد لشطب اسم البابا فيجيل ولإدانة كتابات الأسقف نستوريوس.

٦٨٠: مجمع القسطنطينية الثالث لإدانة عقيدة الإرادة الواحدة للسيد المسيح. أى أن له إرادتين بما أنه له طبيعتان!

٦٩٢: تحديد التنظيم اللاهوتى للكنيسة البيزنطية، وترسيم الرجال المتزوجين رغم اعتراض روما، ومساواة مكانة القسطنطينية بامتيازات روما الدينية.

٧٧٩: الكنيسة تفرض الضريبة العشرية على ملكية الأراضى.

٧٨٧: مجمع نيقية الثانى، قام بتحريم الصور مع التفرقة بين العبادة والتبجيل.

٧٩٤: مجمع فرانكفورت انتقد الدور الذى أضفاه مجمع نيقية على الصور واعترض على ادعاء الكنيسة الشرقية فى رغبتها بالتوحد مع الكنيسة العالمية، وجعل يوم الراحة الأحد وفرض الالتزام به.

٧٩٦: مجمع فريول يدين اليونان لعدم اعترافهم بأن الروح القدس ينجم عن الأب وعن الابن ومساو لهما.

٨٠٧: فرض عقيدة أن الروح القدس ينجم عن الأب وعن الابن على الكنائس الشرقية.

٨٣١: فرض عقيدة أن السيد المسيح يوجد فعلاً وماديّاً فى المناولة أى أنه قد حوَّل الأتباع إلى أكلة لحوم بشر!!

٨٦٩: مجمع القسطنطينية الرابع إدانة فوسيوس الذى حاول جعل كنيسة القسطنطينية أعلى من روما وتبرأته فى العام التالى. والمعروف أن الأورثوذكس يرفضون هذين المجمعين. أتباع فوسيوس يقبلون عقيدة الإيمان إلا انبثاق الروح القدس عن السيد المسيح.

٩١٢: بطريارك القسطنطينية يقطع صلته بروما لأن الكنيسة هناك لم تقم بإدانة الزواج الرابع للإمبراطور واعتبرته بذلك شرعيّاً.

١٠٢٢: مجمع بافيا يفرض العزوبية على رجال الكنيسة.

١٠٩٥: البابا أوربان الثانى يعلن الحروب الصليبية باسم الرب يسوع المسيح ويطالب الجنود بأن يحيكوا علامة صليب بالنسيج على ثيابهم.

١٠٩٩: مجمع باري: الأساقفة اليونانيون بجنوب إيطاليا يقبلون عقيدة أن الروح القدس ينبثق أيضاً من السيد المسيح مثلما ينبثق من الله.

١١٢٣: مجمع لتران الأول وبداية معارك فصل الدين عن الدولة، ويحرم تجارة الأشياء المقدسة، ويمنح الجنود المساهمين فى الحروب الصليبية العديد من الامتيازات ويعفيهم فى الخطايا.

١١٣٩: مجمع لتران الثانى: يفرض معصومية البابا، ويمنع زواج رجال الكنيسة، ويمنع رجال الكنيسة من دراسة العلوم الدنيوية كالطب والقانون، ويحرم الذين يرفضون فكرة المناولة وإحلال المسيح فيها فعلاً ومن يرفضون تعميد الأطفال.

١١٦٣: مجمع مدينة تور يدين الربا الذى كان يمارسه بعض الرهبان.

١١٧٩: مجمع لتران الثالث: حارب بعض الانشقاقات، ويحرّم ويلعن الذين يبيعون الأسلحة للمسلمين، ويحرّم ويلعن الكاتار (سكان جنوب شرق فرنسا) الذين كانوا يتعاملون مع المسلمين أو يبيعون لهم الأسلحة أو يأوونهم. ويفرض ثلثى الأصوات لانتخاب البابا.

١٢٠٩: البابا اينوسنت الثالث يعلن الحرب الصليبية على الكاتار جنوب شرق فرنسا لاعتناقهم الأريوسية وهى العقيدة التى ترفض تأليه السيد المسيح.

١٢١٢: البابا انيوسنت الثالث يعلن الحرب الصليبية على المسلمين فى إسبانيا وقد انتصر التحالف المكون من ملوك فرنسا وإسبانيا على المسلمين فى موقعة نقاس دى تولوزا التى مهدت لحرب الاسترداد.

١٢١٥: مجمع لتران الرابع أرسل حملة صليبية جديدة ضد الكاتار فى جنوب شرق فرنسا، وأرسى إقامة محاكم التفتيش، وفرض الوجود الفعلى للسيد المسيح فى المناولة بصورة نهائية، وفرض الاعتراف والمناولة على الكاثوليك

كل سنة، وأكد عقيدة أن السيد المسيح شخص واحد بطبيعتين، أى أنه رجل حقيقى مكون من روح إلهى وجسد بشرى. وفرض عقيدة تجسد الله فى المسيح، وفرض ضرورة التعليم اللاهوتى ومجانيته، وفرض عقيدة عيد الفصح.

١٢٢٤ : البابا جريجوار التاسع يقر ويفرض عذاب القتل حرقاً للمنشقين.

١٢٢٦ : لويس الثامن يرسل حملة صليبية ضد الألبيجوا.

١٢٤٤ : البابا انيوسنت الرابع يقر استخدام التعذيب فى محاكم التفتيش للحصول على الاعترافات.

١٢٤٥ : المجمع المسكونى لمدينة ليون يدين الإمبراطور الألمانى فريدريك الثانى ويحرمه.

١٢٧٤ : مجمع ليون الثانى: يعيد الوحدة بين الكنائس الشرقية والغربية، ويفرض عقيدة المطهر، ويرسل حملة صليبية إلى الشرق.

١٢٨٠ : مجمع كولونيا يفرض عمل سر المريون، لتأكيد التعميد، فى سن السابعة.

١٢٨١ : انفصال كنائس روما والقسطنطينية.

١٣٠٢ : قرار بابوى يفرض سيادة السلطة الكنسية على السلطة المدنية.

١٣١١ : مجمع فيينا يفرض حملة صليبية جديدة ضد المسلمين، ويلغى جمعية المعبد ويعدم أتباعه حرقا، ويتدخل فى النزاع القائم مع الفرنسيسكان الذين ينتقدون البذخ الكنسى.

١٣٨٥ : البابا أوربان السادس يعدم خمسة كرادلة بزعم تآمرهم ضده.

١٣٩٦ : مجمع سالسبورج يقر بناء «بيت الجسد» أو «بيت القربان» فى كل كنيسة.

أواخر القرن الرابع عشر: فرض تعميم صلاة التبشير ودق جرس التبشير.

١٤١٤ـ١٤١٨: مجمع كونستانس: حاول وضع نهاية للانقسام الكبير بين الكنائس إلا أن قراراته لم يوافق عليها الباباوات ولا الكنيسة الأم. قرار حرق جون هاس حيا لمعارضته تعسف الكنيسة وبذخها ولانضمامه إلى جان فيكليف المعارض لتحول المناولة إلى دم ولحم المسيح حقيقة! كما رفض التراث الكنسى وحارب صكوك الغفران.

١٤٣٩: مجمع مدينة بال يقرر الاحتفال بعيد الحَمْل بلا دنس للسيدة مريم.

١٤٣٩ـ ١٤٤٥: مجمع فلورنسا يقر مصالحة جديدة مع الكنيسة اليونانية وعودة الأرض إلى رحاب الكاثوليك هم واليعاقبة.

١٥١٢ـ ١٥١٧: مجمع لاتران الخامس: أدان المجمع المنعقد فى مدينة بيزا (١٥١١ ـ ١٥١٢) وانقساماته وطالب بحملة إصلاح لرجال الكنيسة وتصدى للإفراط فى الإعفاءات الاستثنائية والضرائب، وفرض الرقابة على الكتب وعلى كافة المطبوعات، وفرض على الكرادلة الالتزام بنمط حياة مستقيمة وحذرهم من محاباة الأقارب.

١٥٤٢: إنشاء «لجنة عقيدة الإيمان» فى روما بدلاً من الاسم السابق وهو محاكم التفتيش!

١٥٤٥ـ ١٥٦٣: مجمع مدينة ترانت: أعلن أن نص الأناجيل التى تم اختيارها والمسماة «فولجات» هى نص منزّل من عند الله بلغتها اللاتينية! علما بأن المسيح كان لا يجيد سوى الأرمية! وصاغ عقيدة الخطيئة الأولى وأن كل إنسان يولد من الخطيئة. كما أدان المجمع كل من إراسم وبلاج ولوثر، وفرض قائمة الأسرار السبعة رغم إدانة لوثر لها، وفرض عقيدة المطهر وعبادة القديسين والسيدة مريم العذراء، وأدان الزواج السرّى.

١٥٦٢: بداية الحروب الدينية فى أوربا التى كان من نتيجتها إبادة آلاف

البروتستانت فى فرنسا.

١٥٦٦ : إصدار الكتاب الخاص بالتعليم الدينى لمجمع ترانت.

١٥٧٢ : مذبحة سانت برتلمى بفرنسا التى أبيد فيها آلاف البروتستانت فى ليلة واحدة.

١٦٣٣ : محاكم التفتيش تدين جاليليو.

١٧٩٥ : الثورة الفرنسية تعلن فصل الدين عن الدولة.

١٨٦٩ : مجمع الفاتيكان المسكونى الأول: إدانة الهجوم الذى قام به العلماء وانتقادهم لعقيدة الإيمان والنصوص الإنجيلية، وفرض معصومية البابا من الخطأ وسيادته المطلقة.

١٩٤٩ : لجنة عقيدة الايمان (محاكم التفتيش سابقاً) تحرم الكاثوليك الذين يؤيدون الشيوعية.

١٩٥٠ : فرض عقيدة صعود السيدة مريم العذراء ورفعها إلى السماء..

١٩٦٢ ـ ١٩٦٥ : مجمع الفاتيكان الثانى الذى صاغ ست عشرة وثيقة مجمعية وألغى الإدانات المتبادلة بين الكنائس المنشقة المختلفة تمهيداً لتوحيدها بزعامة كاثوليكية روما. وقد تناولناها على حدة.

(٢) تواريخ وأحداث مسيحية:

العام الأول: إنه التاريخ الرسمى الذى تم اختياره فى القرن السادس للتقويم المسيحى! وهو نفس التاريخ الذى قام القس دنيس لوبتى باختياره لمولد يسوع، وفقاً للوقا الذى يؤكد أن يسوع بلغ الثلاثين من عمره «فى العام الخامس عشر من إمارة تيبريوس». وإن كان ذلك يناقض متى الذى حدده بحكم

هيرودس (-٤) ولوقا الذى حدده بحكم كويرينوس (+ ٦).

٦ بعد الميلاد: كويرنيوس يتولى الحكم فى سوريا والمفترض أنه كان يحكم عند مولد يسوع وفقا للوقا (٢: ٢). ومازال هذا التضارب الواضح فى الأناجيل بلا حل..

٣٣ ـ التاريخ الرسمى لوفاة يسوع وفقا لما يقولونه. وإن كان دانييل روبس، من الأكاديمية الفرنسية يؤكد فى كتابه المعنون: «يسوع فى زمانه» أنه لا توجد أية وثيقة رسمية تدل على ذلك.

٥٥ ـ بدأ بولس كتابة مراسلاته، والمؤكد أنه لم يكتب كل الرسائل المعروفة باسمه. كما أنه لم يذهب أبداً إلى بيت لحم، ولا إلى الناصرة. ولم يذهب إلى القدس إلا فى أواخر عهده. وقد كان يقول إنه سوف يكون ولا يزال على قيد الحياة عند عودة يسوع من السماء (١ تيسالونيكى ٤: ١٥ ـ ١٧): «فإننا نقول لكم هذا بكلمة الرب إننا نحن الأحياء الباقين إلى مجئ الرب الأسبق الراقدين. لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس الملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء والأموات فى المسيح سيقومون أولاً. ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعاً معهم فى السحب لملاقاة الرب فى الهواء»!

٦٤ ـ الوفاة الرسمية للقديس بطرس/ سمعان. والمعروف أن له جمجمة مدفونة بكنيسة القديس بطرس بالفاتيكان، وجمجمة أخرى بكنيسة يوحنا فى بلدة لاتران!

٦٦ ـ ٧٠ ـ جنود الرومان يسحقون ثورة يهوذا ويهدمون المعبد. ويقول المسيحيون إن هذه الفترة تمثل بداية كتابة الأناجيل وإن كانت قد صيغت بعد ذلك بقرن تقريباً.

٩٠ ـ نهاية العالم وفقاً للقديس كليمانت. وبداية سلسلة طويلة من التنبؤات: يواكيم دى فلور حددها بعام ١٢٠٥، وشهود يهوه بسنوات ١٨٧٤ و١٩١٤

و١٩٢٥ و ١٩٤١ و ١٩٦٩ و ١٩٧٥، ثم كفوا عن التنبؤ.. بينما حددها نوستراداموس بعام ٢٠٠٠، ويقول القرآن الكريم إن علمها عند الله.

٩٥ ـ صياغة سفر نهاية العالم والذى يمثل نصّه تناقضاً واضحاً مع بقية الأناجيل.

١٦٥ ـ صياغة إنجيل متى، الذى صدر فى طبعته الأولى باسم ليفى، ثم فى القرن الثالث صدر باسم متى، وشجرة نسب يسوع التى يتضمنها تناقض تماماً الكشف الوارد فى لوقا.

ومن الأخطاء الواضحة فى صياغة هذا الإنجيل من الناحية التاريخية، أن المحكمة الرومانية لم يكن من سلطتها الحكم بالموت وأن المجلس الأعلى لليهود لم يكن بوسعه الانعقاد مساءً عشية عيد الفصح!

١٧٠ ـ صياغة إنجيل مرقس الذى يشير إلى موقعة باركوشيبا التى وقعت عام ١٣٥، الأمر الذى يؤكد أنه كتب بعد ذلك التاريخ.

١٧٠ ـ دنيس الكورنتى وايرينى الليونى يدينان «تجارة نصوص» العهد الجديد.

١٨٠ ـ صياغة إنجيل لوقا الذى يقال إنه كان تلميذاً لكل من بطرس وبولس. ونسب يسوع الوارد به يناقض ما ورد بإنجيل متى. لوقا لا يعرف مدينة الناصرة التى لم تكن موجودة آنذاك، لكنه يقول إنها مبنية فوق جبل. والمعروف تاريخيّاً أن الصليبيين هم الذين شيدوها فى القرن الثالث عشر فى نهاية أحد الأودية.

١٨٠ ـ صياغة إنجيل يوحنا الذى ستتم صياغته فى القرن الرابع. كما أن أسماء وعدد الحواريين الواردة به تخالف الأناجيل الأخرى.

● اسم السيدة مريم العذراء لم يظهر سوى مرة واحدة فى إنجيل لوقا، أما متى ومرقس وبولس فلم يسمعوا عنها! ومن الطريف أن قصتها ستتم صياغتها عام ٤٣١ (القديس سلستان الأول) وعقيدة «الحمل العذرى»

ستفرض سنة ١١٨٥٤!

القرن الثالث: صياغة بردية شستر بيتى التى تتضمن الأناجيل الأربعة وأعمال الرسل. لم يعد بوسع أى رجل لاهوت خبير فى العهد الجديد أن يدافع عن فكرة أن الذين كتبوا هذه الأناجيل هم الأشخاص التى هى معروفة بأسمائهم، أى أنهم ليسوا حواريى يسوع، الذين كانوا قد توفوا من زمن بعيد..

٣١٢: قامت الكنيسة بإلغاء الاحتفال بتعميد المسيح فى ٦ يناير، كما تم تحديد عيد الفصح بيوم أحد. وتم إقرار استخدام رمز الصليب المأخوذ عن علامة «عنخ» الفرعونية.

٣٢٠: قامت كنيسة روما بتحديد مولد يسوع فى ٢٥ ديسمبر فى نفس ميلاد الإله ميترا.

٣٢٥: تأليه السيد المسيح فى مجمع نيقية الأول.

٣٦٧: قيام الأسقف اثاناسيوس بعمل قائمة الأناجيل التى ستكوّن العهد الجديد واستبعاد قرابة سبعين إنجيلا. وقد صدّق مجمع هيبونا على هذه القائمة عام ٣٩٣، ثم مجمع كارتاجنه عام ٣٩٧. وبذلك وُلد الكتاب المعروف باسم العهد الجديد بعد اختيارات آدمية لها مغزاها..

٣٨١: تأليه الروح القدس فى مجمع القسطنطينية وتكوين بدعة الثالوث.

٣٨٥: تعيين تيوفيلوس أسقفا للإسكندرية والذى قام بالاتفاق مع الإمبراطور تيودوزس بهدم المعابد المصرية القديمة. وفى عام ٣٩١ قام بهدم معبد سيرابيس وحرق مكتبة الاسكندرية.

٤٠١: القديس أغسطين أدخل فكرة «الخطية الأولى».

٤١٥ : قيام جماعة من الرهبان بأمر من سيريل بطريارك الإسكندرية بقتل هيباثيا عالمة الرياضيات بمدرسة الاسكندرية وتقطيع جسدها . ويمثل مقتلها نقطة تحول هامة إذ غادر العديد من العلماء الإسكندرية بعد حرق مكتبتها والتنديد بهم.

٤٣١ : مجمع أفسوس الذى أقر عقيدة التجسد : الله جعل نفسه إنساناً وتجسد فى مريم «أم الله».

٤٥١ : مجمع خلقدونيا الذى أقر أن المسيح إله حقيقى وإنسان حقيقى وابن مريم وأن ذلك هو «سر الثالوث المقدس» الذى لا نقاش فيه!!

٥٢٩ : إغلاق أكاديمية أفلاطون التى كان آباء الكنيسة ينتقدونها .

٥٣٢ : الإمبراطور جوستينيان يأمر بإغلاق مدرسة الفلسفة بأثينا على أنها معقل الوثنية .

٥٩٠ : ما إن تم تعيين جريجوار الأول فى منصب البابوية حتى ابتدع أولى الحروب الصليبية ومنع تدريس الثقافة اليونانية الرومانية واللغات والعلوم والفلسفة وعلم الأساطير. وبذلك فرض الجهل على أتباع الكنيسة حماية لأكاذيبها .

٦٩٢ : مجمع إن ترولو الذى طالب بتمجيد الصليب وبأن يمثل المسيح عليه بشكله الآدمى ولو تأملنا التاريخ لأدركنا أن هذا الإصرار على تثبيت شكل الصليب وصلب السيد المسيح قد تم بعد بداية انتشار الاسلام.

● **من القرن السابع حتى الخامس عشر:** الكنيسة تحتكر الكتابة والإعلام إجمالاً . وترك الشعب عمدا فى حالة جهل، كما تم منعه من قراءة الإنجيل إلا للمتخصصين. كما ستقوم محاكم التفتيش منذ القرن الثالث عشر بمنع امتلاك أى نص من العهد القديم. وسوف تقوم الكنيسة بفرض وتعميم محاكم التفتيش وعزوبية الرهبان. وفى نفس هذه الفترة سيتم

ابتداع ما عرف بأنه «عادة مسيحية»، ألا وهى: حرق الناس أحياءً. وقد تم إحراق حوالى ألف «ساحرة» فى القرون الوسطى.

٨٠٤: الإمبراطور المسيحى شارلمان قام بتنصير العديد من السكسون بتخييرهم: اعتناق الكاثوليكية أو قطع الرقبة! وسقطت عشرات الآلاف من الرؤوس بمباركة الكنيسة.

١٠٠٠: اعتراف الكنيسة بأن المرأة لها روح! فقبل ذلك كانت تعتبر المرأة كنفاية من النفايات ويمكن ضربها وتعذيبها أو اغتصابها أو استعبادها لأن المرأة فى عرفها «لا روح لها»!

١٠٥٠: انقسام كنيسة الشرق بسبب صنع الخبز للمناولة بالخميرة أو بدون خميرة! بطريارك القسطنطينية يرى ضرورة الخميرة، وبطريارك روما يراه بدون خميرة. وتبادل البطرياركان اللعنة والحرمان!!

١٠٧٣: البابا جريجوار السابع يعيد فرض العزوبية على رجال الكنيسة.

١٠٩٠: قيام الصليبيين بالبحث عن مدينة الناصرة ولم يعثروا عليها. وقد قاموا بتشييدها فى القرن الثالث عشر.

١٠٩٥: البابا أوربان الثانى يعلن قيام الحرب الصليبية باسم الرب يسوع المسيح. وقد تم ذبح أكثر من سبعين ألفا من المدنيين سكان القدس، إذ يقول أحد قادة هذه الحملة: «لقد أتينا على كل ما يمكنه التنفس»!

١١٠٠: أثناء الاحتفال بتنصيب البابا اكتشفوا أنه امرأة حامل! فقادوا السيدة جان خارج روما ورجموها. وقد اعترف مجمع لتران بهذه الواقعة.

١١٨٢: معركة اللاتين بالقسطنطينية ضد الأورثوذكس وقتل فيها عدة آلاف من الأتباع.

١٢٠٨ ـ ١٢٤٤: الحرب الصليبية ضد الكاتار «الهراطقة» بأمر من البابا

انيوسنت الثالث، لاعتناقهم الأريوسية وهو المبدأ الرافض لتأليه السيد المسيح وكان فريق هذا الجيش مكون من ٢٠ أسقفا و ٦٠٠ فارس و ١٠٠٠ من رماة الأسهم. وكان تعداد مدينة مارماند خمسة آلاف نسمة تمت إبادتهم بالكامل. كما تم اجتياح منطقة تولوز بوحشية لا سابقة لها فى أوربا آنذاك منذ غزوات البرابرة.

١٢٣٤: مجمع آرل يفرض على اليهود وضع علامة مميزة للتعرف على هويتهم، وذلك قبل خمسمائة عام تقريباً على إدارة الجمارك السويدية والسويسرية التى كانت تضع حرف J على جوازات سفرهم بمعنى «جويش» أى يهود!.

١٢٣١: إنشاء محاكم التفاتيش رسمياً. فحتى ذلك التاريخ كانت مهمة كشف المنشقين تقع على الأساقفة. إلا أن البابا قد رأى إنشاء إدارة مستقلة لتتبع الخارجين عليها. وقد قامت هذه المحاكم بحرق أكثر من ألف شخص كان آخرهم عام ١٨٢٦.

ولم تتكر الكنيسة محاكم التفاتيش أبداً، بل ستضمن حسن سيرها حتى يومنا هذا مع تعديل اسمها. ففى عام ١٩٠٦ قام البابا بيوس العاشر بتحويل اسمها إلى «المكتب المقدس»، وفى عام ١٩٦٥، فى مجمع الفاتيكان الثانى أصبح اسمها: «لجنة عقيدة الإيمان»! وكان الفرانسسكان والدومنيكان أهم رجالها.

القرن الثالث عشر: قام القديس فرانسوا الأسيزى بتعميم فكرة «الحظيرة» التى وُلد فيها يسوع فرضا.

١٢٥١: البابا اينوسنت الرابع يسمح رسميا لمحاكم التفتيش باستخدام التعذيب للحصول على الاعترافات. الأمر الذى يسهّل الحصول على الإدانة المطلوبة، والتى بموجبها كان يحق لهذه المحكمة بالحكم

بالسجن حتى مدى الحياة وبمصادرة كافة الممتلكات إلا أنه لم يكن من حقها الحكم بالموت إلا إذا ما أقرّت ذلك السلطة القضائية بالبلد. الأمر الذى سمح للكنيسة بأن تقول إنها لم «تقتل» أحداً.

١٣٠٠: البابا بونيفاس الثالث أصدر صكوك الغفران، الأمر الذى أدى إلى زيادة دخل الكنيسة.

١٣٤٧ - ١٣٥٤: انتشار الطاعون فى أوربا. وقد أرجعه الكاثوليك إلى أن اليهود هم الذين قاموا بتلويث آبار المياه. وتمت إبادة ٣٥٠ جماعة يهودية عبر أوربا.

١٣٥٧: ظهور الكفن المقدس الذى كان يغلف جسمان يسوع وعليه طبعة من شكله! وقد أثار العديد من الخلافات إلى أن تم تحليله فى القرن العشرين بمعامل «الناز» وثبت تزويره!

١٣٧٨: انقسام العالم الكاثوليكى وأصبح لكل من إيطاليا وفرنسا بابا خاص بها. وقد تم خلع الاثنين فى مجمع بيزا الذى قام بتعيين إسكندر الخامس. وبذلك ظل العالم الكاثوليكى فى الغرب بثلاثة باباوات حتى عام ١٤١٧.

١٤٣١: حرق جان دارك التى أدى موتها إلى خلق طفرة وطنية وإلى مزيد من الكاثوليك المتطرفين.

١٤٥٢: جوتنبرج يقوم بطباعة الإنجيل باللاتينية.

١٤٨٣: توما دى توركميدا، كبير مفتشى محاكم التفتيش ضرب الرقم القياسى فى التعذيب والاستيلاء على الممتلكات فى إسبانيا. فأثناء رئاسته قام بحرق ٨٨٠٠ شخص حى وعذب وسجن ٩٦٥٤.

١٤٩٢: الملك والملكة «الشديدا الكاثوليكية» وهو لقب أضفاه عليهما بابا روما شخصياً، قاما بطرد أكثر من مائة وستين ألفا من اليهود من إسبانيا.

وقد حث البابا ملوك البلدان الأخرى على عمل نفس الشيء.

١٥١٢: مجمع لاتران الخامس الذى أقر سلطة المال فى الكنيسة.

١٥٢٠: خطاب البابا ليون العاشر الذى قال فيه: «إننا نعلم منذ زمن سحيق كم أفادتنا أسطورة يسوع المسيح، نحن وذوينا». الأمر الذى يكشف أن القيادة العليا للكنيسة لم تكن تؤمن بالأسطورة التى اختلقتها من أجل تنصير الشعوب والسيطرة عليها. ونص عبارته كما هو وارد فى «موسوعة الأساطير والأسرار» بقلم بريارة ووكر، صفحة ٤٧١، هو:

«Quantum nobis nostrisque que ea de christo fabula profuerit, satis est omnibus seculis notum.»

١٥٢١: قيام مارتن لوثر الراهب الألمانى بترجمة العهد الجديد وبداية الانقسام والمجازر بين المسيحيين لمدة قرون ممتدة.

١٥٢٧: مجزرة روما: قيام فريق من الجنود البروتستانت بقتل حوالى أربعين ألف مواطن ونهب المدينة بينما احتمى البابا وحرسه السويسرى فى قلعة سانتانجلو.

١٥٥٩: مع بداية انتشار الكتب وزيادة الاطلاع قامت الكنيسة بعمل «الإندكس» أى كشف الكتب التى تحرّم قراءتها. وبذلك تمت السيطرة على انتشار العلوم والمعرفة بين الناس. وآخر كشف بالكتب الممنوعة صادر عام ١٩٦١.

١٥٤٧ - ١٥٩٣: الحروب الدينية فى فرنسا والتى تخللتها عدة اتفاقيات سلام وقتية. وفى أثناء هذه المجازر تأتى الليلة المعروفة باسم «سانت بارتليمى» التى ذبح خلالها عشرون ألف بروتستانتى من الرجال والنساء والأطفال فى ليلة واحدة عام ١٥٧٢.

١٦٠٠: حرق جيوردانو برونو حيّاً فى روما بعد محاكمة ثمانية أعوام تخللها التعذيب لاقتلاع الاعترافات ومات بتهمة «الهرطقة المتعنتة الوقحة» لأنه تجرأ على القول بأن «الشمس نجم من النجوم وإن الكون متسع لا نهاية له واحتمال وجود أشكال من حياة خارج كوكب الأرض» الأمر الذى يناقض معلومات الأناجيل القائلة بأن الإنسان والأرض مركز الكون، وأن الأرض مسطحة.

١٦٠٠: الإسبان يغزون أمريكا الجنوبية وقد أدت أعمالهم الوحشية والعبودية التى فرضوها والأعمال القهرية إلى قتل ملايين الأشخاص. فمن خمس وعشرين مليونا عام ١٥٢٠ وصل تعداد هنود أمريكا إلى مليون ونصف حوالى عام ١٦٠٠.

١٦١٠: قام جاليليو بنشر كتابه «الرسول السماوى» الذى يصف فيه استكشافاته بفضل التليسكوب وقام بمراقبة ورسم مراحل ظهور القمر ودون فيه ملاحظاته حول الكواكب والنجوم، وذاع صيته فى أوربا.

١٦١٩: قامت محكمة التفتيش بحرق الفيلسوف الإيطالى لوتشيليو فانينى حيّاً لأنه قام بتقديم تفسير علمى طبيعى لبعض المعجزات!

١٦٣٣: الكنيسة الكاثوليكية تدين جاليليو لأنه قال إن الأرض تدور حول الشمس. فحتى عام ١٧٥٧ كانت الكنيسة تمنع صدور أى عمل يتناول دوران الأرض. وظلت كتب جاليليو فى كشف المراجع الممنوعة (الإندكس) حتى عام ١٨٣٥.

١٦١٨ ـ ١٦٤٨: حرب (الثلاثون عاماً) آل هابسبورج الكاثوليك فى ألمانيا فرضوا على أتباعهم البروتستانت بمقاطعة بوهيميا أن يتحولوا إلى الكاثوليكية واندلعت أعنف وأكبر حرب دينية عرفتها أوربا حتى ذلك الوقت. وانخفض تعداد سكان ألمانيا إلى النصف، وتمت هجرة العديد من المدن واندلعت الأوبئة فى كل أوربا الوسطى من لمبارديا إلى

بروسيا.

١٧٢٥: القس ميلييه يكتب «وصيته» الشهيرة التى كشف فيها كيف أن الدين فى يد رجال الكنيسة ليس إلا وسيلة للسيطرة على الشعوب.

١٧٧٤: هرمان صمويل ريماروس ينشر كتابه الذى يميّز فيه بين يسوع التاريخى ويسوع وفقا للأناجيل والذى يؤكد فيه أن يسوع لم يقم بأى معجزة وأنه لم يصحُ من الموت. وهى أول مرة يتم فيها اتهام العقيدة المسيحية بهذا الشكل. وقد تبعته سلسلة من الباحثين بعد ذلك منهم باردت، وشتراوس، ورينان، وشفيتسر، إلخ... ومعظمهم رجال كنسيون!

١٧٨٩: الثورة الفرنسية التى ستؤدى إلى إعلان الجمهورية وبداية تقلص الكاثوليكية وانطلاقة العلوم وتحسن ظروف المعيشة.

١٧٩٠: تم سجن الناشر الإنجليزى توماس پين الذى شكك فى صحة الأناجيل التاريخية.

١٨٢٦: حرق آخر متهم بالهرطقة حيّاً بقرار محكمة تفتيش إسبانية.

١٨٢٩: إعلان البيان الصادر عن البابا ليون الثالث عشر والذى ينص فيه على «أن أى شخص يلجأ للتطعيم يعتبر مرتدا وليس ابن الله: لأن مرض الجدرى عقاب من الله والتطعيم ضده يعتبر ضد الإرادة الالهية»!!

١٨٣٢: الخطاب الرسولى للبابا جويجوار السادس عشر الذى يدين بدعة «حرية العقيدة».

١٨٣٥: دافيد فريدريخ شتراوس ينشر كتابه عن «حياة يسوع» الذى يؤكد فيه أن معجزات يسوع قد تم تأليفها وإضافتها. فتم رفته وحرمانه من ممارسة مهنة التعليم فى أى مكان، «وكأن دراسة حياة يسوع وانتقاد أصول المسيحية يأتى على كيان الثقافة الأوربية برمتها»!

١٨٤٠: يرونو بوير ينشـر انتـقـاداته للكنيسـة والأناجـيل ويكشف تحـريف شخصية يسوع بها، وقد فُصل ومنع من التدريس.

١٨٤٨: شـعب رومـا يثـور ضـد الدكتـاتورية البـابوية وتم طرد بيـوس التـاسـع وإعـلان الجـمـهـورية وهدم أسـوار رومـا المحـيطة بهـا. إلا أن الجـيش الفرنسى قد أعاد البابا إلى الحكم عام ١٨٤٩ وقام بإعدام المعترضين رمياً بالرصاص. وعادت سلطة الحكم السلطوى مرة أخرى للبابا.

١٨٥٤: البابا بيوس التاسع يفرض عقيدة «الحَمْل العذرى» للسيدة مريم وقد سبق فرض مجرد الاحتفال به سنة ١٤٣٩.

١٨٦٤: البـابا بيوس التـاسع ينشـر «السيـلابوس» وهى الوثيقـة التى تتضـمن «أخطاء» الفكر الحديث. وفى عـام ١٨٧٠ سيـجعل مـجمع الفـاتيكان الأول يقر معصومية البابا من الخطأ بأثر رجعى للتـأكيد من أن أحداً لن يعترض على قراراته.

١٨٧٢: جـورج سـميث يكتشف الرسـائل الحـجـرية فى نينيف وبهـا «ملحـمـة جلجـاميش» التى ترجع إلى الألف الثانيـة قبل الميلاد. وبذلك أثبت أن الإنجيل ليس أقدم كتاب فى التاريخ كما يقولون وأوضح أن أهم قصص العهد القديم كالطوفان وسفر التكوين مأخوذة عن هذه الملحمة!

١٨٧٤: إنشـاء جمـاعة «شـهـود يهوه» أولاد عـمـومـة الأدفنتيسـت والذين أعلنوا عن نهـــاية العـــالم فى سنة ١٩١٤ ثم ١٩٥٢ ثم ١٩٤١ ثم ١٩٦٩ ثم ١٩٧٥.. ثم كفوا عن التنبؤ!

١٩٠٤: الأب لاجرانج يكتب «مقدمة لدراسة العهد الجديد» والتى يقول فيها إن الأناجيل غير كـافيـه كـوثائق تاريخيـة لكتابة تاريخ حـياة يسـوع المسيح.

١٩٠٥: قانون كومب فى فرنسا وإعلان فصل الكنيسة عن الدولة.

١٩١٨: بداية الحرب الأهلية فى أيرلندا بين الكاثوليك والبروتستانت ولا تزال مستمرة..

١٩٣٠: القس تورمل تم حرمانه عندما أثبت إحدى عمليات التحريف بالإنجيل طبعة القدس، وذلك بتبديل عبارة «سيدة شابة» فى أشعياء ٧: ١٤ وكتابة «العذراء» بدلاً منها. الأمر الذى يكشف أن إنجيل متى قد تمت صياغته فى وقت متأخر عما هو مفترض وشخص لم يكن فى متناول يده النصوص العبرية. واستبدال هذه العبارة تم لإضفاء مصداقية على ما تم من تحريف.

١٩٣٣: كفن منطقة كادوان، الذى جلبه أحد الصليبيين معه من انطاقيا عام ١١١٥ كان قد وُضع فى كنيسة صغيرة فى كادوان. وفى القرن الخامس عشر بدأت السلطات الدينية تحج إلى تلك الكنيسة وتبجل ذلك الكفن الذى أحاط برأس يسوع. وانساق الحجاج وتحدث القديس برنارد والقديس لويس و ١٤ بابا عن آلاف المعجزات التى عملها ذلك الكفن. وذات يوم فى عام ١٩٣٣ قام أحد الخبراء بفحص الزخارف التى على طرف الكفن واتضح أنها كتابة بالخط الكوفى عليها عبارة «لا إله إلا الله» مما يؤكد أنه من مطلع القرن الحادى عشر وليس من أيام يسوع!

١٩٤١: القس الكاثوليكى دراجانوفتش فى كرواتيا ساهم فى إبادة العديد من الأرثوذكس المنشقين، ثم قام بتنظيم مخرج لمجرمى الحرب إلى أمريكا الجنوبية عن طريق الفاتيكان.. ثم قام الأمريكان بتعيينه تحت اسم «دينامو» لبراعته فى محاربة الشيوعية (نوفيل أوبسرفاتور عدد ١١ يوليو ٢٠٠٢).

١٩٤٦: اكتشاف ثلاث عشرة بردية من القرن الرابع فى منطقة نجع حمادى

بمصر ولا يوجد بها أى أثر لحياة ووفاة أو بعث يسوع الناصرى.

١٩٤٧: اكتشاف مخطوطات البحر الميت فى قمران بداخل إحدى عشرة مغارة. وهذه المخطوطات معاصرة لفترة يسوع الناصرى وفقاً للإنجيل (من ٢٥٠ قبل الميلاد إلى ٦٨ بعد الميلاد). وتتناول هذه البرديات الدين والعدالة والمزامير وبعض القصص الحربية. وبها بعض فقرات من العهد القديم ولا يوجد بها أى أثر للأناجيل الخاصة بالعهد الجديد، ولا بالحواريين أو يسوع أو بعثه! وقد تأخرت الكنيسة فى الكشف عن هذه المخطوطات، التى نشرت فى ٣٩ مجلداً بعد ٥٤ سنة من العثور عليها. وبعض هذه المخطوطات يثير القلق وعلامات الاستفهام إذ أنها تكشف أن تاريخ حياة يسوع قد استوحوها من مسيح سابق له اسمه مناحم كان الفارسيون قد تنكروا له وأعدمه الرومان فى العام الرابع قبل الميلاد ثم اعتبره تلاميذه أنه قد بُعث بعد ذلك. وهو ما نطالعه فى كتاب «يسوع الآخر» لإسرائيل كنول..

ويقول إميل بويخ، مدير الأبحاث بالمركز القومى للأبحاث فى فرنسا: «علينا الاعتراف بأمانة أننا لا نمتلك بعد أى جزء كان من شاهد عيان ليسوع». والمعروف أنه فى عام ٥٨٦ ق. م. أن هدم مدينة القدس وحرق معبد سليمان قد أنهى عهد ملوك داوود. وابتداء من ذلك التاريخ فإن «ماشيا» تعنى عودة السلطة إلى سلالة داوود. لذلك قام كل من لوقا ومتى بجعل يسوع من سلالة داوود عبر يوسف. علماً بأن يسوع من الجليل فقد جعلوه من مواليد القدس. إذ أن لوقا ومتى قد أرادا أن يعطيا مزيداً من المصداقية لسلالة يسوع من داوود..

وعلى المدى البعيد، فإن مخطوطات قمران توضح أن قصة يسوع كما ترد بالأناجيل هى نتيجة تطور مدراشى طبيعى ويمكنها أن تصيب المسيحية فى مقتل. (عالم الإنجيل العدد رقم ١٠٧ نوفمبر/ ديسمبر ١٩٩٧).

١٩٤٨: أعلن البابا أن أى شخص سينتخب الحزب الشيوعى أو سيسهم فيه بأى صورة من الصور سوف يتم حرمانه أوتوماتيكيا.

١٩٥٥: أعلن البابا بيوس الثانى عشر فى مؤتمر دولى للمؤرخين انعقد فى روما قائلاً: «إن مسألة وجود يسوع ترجع إلى الإيمان وليس إلى العلم»!

١٩٦١: آخر طبعة لقائمة الكتب الممنوعة (الإندكس) وقد ظهر بها تحريم قراءة أعمال كل من سارتر والبرتو مورافيا، وأندريه جيد. وقد ألغى رسمياً بعد مجمع الفاتيكان الثانى.

١٩٦٨: البابا بولس السادس يستقبل فى لقاء خاص أحد زعماء المافيا من شيكاغو: سام جانكانا (المحرض المحتمل لمقتل آل كيندى)، والذى كان يستعين برهبان كاثوليك لتحويل أموال دولية لغسلها عن طريق بنك «كونتيننتال إيلينوى» و «فينى بانك»، لتزويد الفاتيكان بالسيولة النقدية! («رَجُلنا فى البيت الأبيض» بقلم صامويل وتشوك جانكانا).

١٩٧٤: وفاة الكاردينال دانيولو فى بيت عاهرة زنجية.

١٩٧٦١: نشر قائمة بأسماء أعضاء المحفل الماسونى ب ٢ (شديد الصلة بالفاتيكان، والمخابرات المركزية الأمريكية، واليمين المتطرف، والمافيا، عن طريق بنك امبروزيانو). وقد أدى مقتل القاضى الإيطالى فيتوريو أوكورسو إلى إيقاف التحقيق حول العلاقات بين حركة سياسية فاشية جديدة والمحفل الماسونى ب ٢. ومقتل أمير مقاطعة برولى المتورط فى جماعة أوبوس داى للتبشير والمافيا وبعض رجال السياسة الفرنسيين والإسبان. وفى عام ١٩٨١، مقتل القاضى ميشيل الذى كان يحقق فى هذا الموضوع.

١٩٧٨: اغتيال البابا يوحنا بولس الأول مسموماً ودفنه بدون تشريح

جسمانه. وقد قال الصحفى دافيد ياللوب إن المحفل الماسونى ب ٢ قد اغتال البابا لأنه كان قد طالب بالتحقيق فى موضوع البنك وطلب من الكاردينال فييو استبعاد كل الذين ينتمون لذلك المحفل من الفاتيكان. ودارت الشبهات حول الأسقف مارسينكوس رئيس الأمن الأسبق والسكرتير العام للبنك والمتخصص فى تهريب الأموال وغسلها. وقد خلفه البابا يوحنا بولس الثانى الذى كان يعمل فى شبابه بمصنع كيماويات «صولفى» فى منطقة بوريك فالتسكى، وهو مصنع كان يقوم بتصنيع مادة الزيكلون ب التى كان يستخدمها النازى لإبادة اليهود. (كتاب «باسم الرب» بقلم دافيد ياللوب. و «حياة يوحنا بولس الثانى» بقلم برنشتاين).

١٩٧٩: مقتل القاضى إميليو السندرينى بعد أن بدأ تحقيقاً عن بنك أمبروزيانو. ومقتل كارمين بكوريللى الصحفى وعضو المحفل الماسونى ب ٢ لثرثرته! الحكم على جوليو اندريوتى رئيس مافيا روما ورئيس الحكومة بالحزب الديمقراطى المسيحى، بالسجن أربع وعشرين عاما فى سنة ٢٠٠٢ لأنه أعطى الأوامر بتنفيذ هذا القتل. ومقتل جورجيو امبروزولى بسبب شهادته ضد سيندونا الذى كان يقوم بغسل أموال المافيا عبر بنك الفاتيكان بسويسرا. ثم مقتل الكولونيل أنطونيو فاريسكو الذى كان يحقق فى المحفل الماسونى ب ٢ (الموسوعة البريطانية، وجريدة الموند ١٨/ ١١/ ٢٠٠٢)

١٩٨٠: أدان البابا يوحنا بولس الثانى استخدام العازل الطبى كوسيلة ضد مرض الإيدز فى أفريقيا عائداً بذلك إلى التراث الكنسى أيام القرون الوسطى.. الأمر الذى أدى إلى عدد من الوفيات يصعب حصره. كما أنه يمارس سياسة تخريبية فيما يتعلق بوسائل منع الحمل فى العالم الثالث إذ أن هذه الوسائل تؤدى إلى نتائج سرطانية كاسحة..

١٩٨٢: انتحار روبرتو كالفى من بنك امبروزيانو، بنك الفاتيكان، شنقاً تحت كوبرى بلاكفيارفى لندن. وقبل ذلك بعدة ساعات كانت سكرتيرته جرازييلا كوروشيه قد انتحرت بقذفها من الدور الرابع من بنك امبروزيانو. ثم اغتيال روبرتو روسونى مدير ذلك البنك. ثم تبعه جوزيبى ديللاكا، المدير التنفيذى، بإلقاء نفسه من نافذة البنك فى فرع ميلانو. ثم تم تسميم ميشيل سيدونا، الممول المالى للمافيا الأمريكية والصقليّة منذ ١٩٥٧، بسم الستريكنين فى السجن قبل أن يمثل أمام القضاء بأيام. وتم تعيين الأسقف مارسينكوس، المدير المصرفى للفاتيكان، فى الولايات المتحدة الأمريكية لكى يفلت من العدالة رغم صدور أمر دولى بالقبض عليه. (كتاب «الفاتيكان، المال والسلطة» بقلم ف. هاكور).

١٩٨٩: المبشر التليفزيونى الأمريكى جيم بيكر والمتهم باختلاسات مالية والتورط فى قضايا أخلاقية تم الحكم عليه بالسجن خمسة وأربعين عاماً.

١٩٩٠: العقيدة المسيحية تقسم الصرب والكروات. فالصُّرب نصرتهم الكنيسة البيزنطية وهم أورثوذكس والكروات نصّرتهم روما وهم كاثوليك. وحينما لوح ميلو سفيتش الدكتاتور الصربى بفكرة صربيا الكبرى، أعلنت كرواتيا استقلالها، فسارع الفاتيكان بالاعتراف بكرواتيا الكاثوليكية كدولة مستقلة وتوالت صيحات البابا وصلواته لمساندة استقلال كرواتيا. إلا أن ذلك لم يمنع الصرب من القيام بأكبر مجزرة عرفتها أوربا فى العصر الحديث، وذلك بالاتفاق مع الحكومة الهولندية التى أعطت التعليمات لفرقتها التابعة للأمم المتحدة بالقضاء على المسلمين فى بلدة سريبرينيتسا والتى راح ضحيتها حوالى ثمانية آلاف مسلم فى مجزرة واحدة تحت أعين الخوذات الزرقاء أو بمعاونتها!.

١٩٩١: القس الكاثوليكى أوجين درويرمان تم إيقافه عن العمل وتدريس اللاهوت لأنه كتب فى أحد أبحاثه «أن مولد يسوع بالوضع الحالى المفروض من الكنيسة لا أساس له من الصحة التاريخية وأنه هو وعذرية مريم مجرد أساطير رمزية. وإذا ما أخذ سفر التكوين حرفيا فهناك العديد من التناقضات التى لا يمكن تخطيها».

١٩٩٢: الكاردينال موريس اتونجا أسقف نايروبى يقوم بحرق العوازل الطبية فى الميدان العام، مساهما بذلك فى موقف الكنيسة الرامى إلى زيادة عدد المصابين بالإيدز فى أفريقيا..

مايو ١٩٩٢: إضفاء صفة القداسة على الأسقف اسكريفردى بلاجير، مؤسس منظمة أوبوس داى التبشيرية والمتورطة فى العديد من القضايا المالية والسياسية والمافيا.

١٩٩٣: صدور الخطاب الرسولى المعنون «روعة الحقيقة» الذى ينص فيه البابا يوحنا بولس الثانى على ضرورة تنصير العالم، وعلى أن الحوار يتم لكسب الوقت إلى أن يتم التنصير، وأن كلمة الحوار عنده تعنى «فرض الارتداد والدخول فى سر المسيح، والحوار يرمى أساساً إلى حماية الأقليات المسيحية فى البلدان المسلمة».

٢٢/ ١٢/ ١٩٩٣: البابا يوحنا بولس الثانى يعترف بأن يوم ٢٥ ديسمبر أصله عيد وثنى قائلاً: «أيام الوثنية كان القدماء يحتفلون بعيد ميلاد الشمس التى لا تقهر فى ذلك اليوم حتى تتوافق مع مدار الشمس الحقيقية ألا وهى: يسوع المسيح»!؟

١٩٩٤: الكنيسة الكاثوليكية تفرض على رهبانها التبتل عند ترسيمهم. كما أنها تقيم أديرة للراهبات اللائى وهبن أنفسهن زوجات ليسوع.. وفى عام ١٩٩٤ قامت إحدى الراهبات وهى طبيبة، تدعى الأخت مورا اودونوهو

المسئولة عن تنسيق حملة ضد الإيدز، بكتابة تقرير رصدت فيه العديد من حالات الاعتداءات الجنسية والاغتصابات على الراهبات فى أكثر من ثلاثة وعشرين بلدا. وظل التقرير فى سرية تامة حتى مارس ٢٠٠١ عندما فضحته إحدى الجرائد الكاثوليكية الأمريكية.

١٩٩٤: ثبوت اشتراك القسس فى المجازر التى وقعت فى رواندا وراح ضحيتها حوالى ثمانمائة ألف قتيل. ولم تعرف هذه الحقيقة إلا عام ٢٠٠١ وإن الأخت جرترود والأخت كيزيتو قد قامتا بتسليم اللاجئين لديهم فى الدير، وقامتا بإحضار الوقود وأشعلا الهنجر الملئ باللاجئين. وتكررت نفس الحالة فى بلدان أخرى فى أوربا بمعاونة الكنيسة الكاثوليكية.

١٩٩٥: تورط الكاردينال ريكاردو ماريا جوردو، أسقف برشلونة فى عملية تهريب سلاح وأحجار كريمة وكوكايين عن طريق المافيا الإيطالية.

١٩٩٨: اعتراف الكنيسة الكاثوليكية بأنها كانت دوما تساند الديكتاتور بينوشيه.

٢٠٠١: الحكم على الراهبتين جرترود وكيزيتو الأولى بخمسة عشر عاماً والأخرى باثنى عشر عاماً لاشتراكهما فى قتل ألف وستمائة روانديا وحرقهم أحياء فى الهنجر.

٣١/ ١/ ٢٠٠٢: فى خطاب عنيف اللهجة راح البابا يوحنا بولس الثانى يحث القضاة والمحامين على رفض تطبيق القانون فيما يتعلق بالطلاق. وهى من المرات النادرة التى يحصد فيها البابا اعتراضات جماعية حتى من داخل الكنيسة. ولعل ذلك يرجع إلى أن السيد المسيح، وفقاً للعقيدة المسيحية، متزوج من الكنيسة، وأنه لا انفصال ولا طلاق فى هذا الارتباط. وإقرار مبدأ الطلاق قد يرمز إلى إمكانية طلاق

السيد المسيح من الكنيسة!! (جريدة لوموند ٣١/ ١/ ٢٠٠٢).

مارس ٢٠٠٢: اهتزت الكنيسة الكاثوليكية الأمريكية بالعديد من قضايا الاعتداءات الجنسية على الأطفال، وقد حاولت كتم هذه الفضائح عن طريق دفع مئات الملايين من الدولارات. ذلك لأن ١٠٪ من الخمسة وعشرين ألف قس متورطون فى هذه الفضائح. والمعروف أن هذه النسبة أكثر ارتفاعاً بين قساوسة أيرلندا. وقد تأسف البابا لصورة الكنيسة وللقساوسة المتورطين، لكنه لم يقل شيئاً عن الضحايا.. (جريدة لوموند ١٤/ ٣/ ٢٠٠٢).

أكتوبر ٢٠٠٢: الفاتيكان يقر كتاباً عن الأكاذيب الواردة بالكتاب المقدس ومنها: «يسوع لم يولد فى ٢٥ ديسمبر، وأنه كان قصير القامة، وحواء لم تأكل التفاحة، والوصايا العشر لم يمليها الله على موسى؟!. ذلك ما يؤكده صحفيان كاثوليكيان فى كتاب طبع فى إيطاليا وقدم له الأسقف جيانفرانكو رافازى، عضو اللجنة البابوية للممتلكات الثقافية للكنيسة ووزير ثقافة الفاتيكان!!

وبعد هذا السرد التاريخى المرير لبعض أهم تواريخ وأحداث المسيحية الحالية ولصراعات الكنيسة بعامة، وخاصة مع بنى جلدتها، لا نجد ما نطلق به على هذا الجزء المؤسف سوى عبارة المؤرخ اللاتينى مرسلين أميان (حوالى ٣٣٠ ـ ٤٠٠) الذى رافق الإمبراطور جوليان فى حروبه المسيحية، حين قال: «لا يوجد حيوان وحشى أكثر شراسة وعداوة للإنسانية من المسيحيين فى كراهيتهم المميتة التى يواجهون بها أبناء دينهم». (وارد فى كتاب رتشارد روبنشتاين: «اليوم الذى أصبح فيه يسوع الله» صـ ٢٢٦، نقلا عن فريند:

«بزوغ المسيحية» صـ ٦٠١).. ولو أن المؤرخ أميان قد عاش فى زمننا هذا لأضاف الكثير إلى وصفه، خاصة فيما يتعلق بموقف ذلك التعصب ضد الإسلام والمسلمين...»

٣ بعض المتناقضات فى الإنجيل بعهديه

التكوين ١ : ٣ ـ ٥ فى اليوم الأول الله خلق النور ثم فصل النور عن الظلمة.

التكوين ١ : ١٤ ـ ١٩ تم ذلك فى اليوم الرابع.

التكوين ١ : ٢٤ ـ ٢٧ تم خلق الحيوانات قبل الإنسان.

التكوين ٢ : ٧ و١٩ تم خلق الإنسان قبل الحيوانات.

التكوين ١ : ١١ ـ ١٢ و ٢٦ ـ ٢٧ تم خلق الأشجار قبل الإنسان.

التكوين ٢ : ٤ ـ ٩ تم خلق الإنسان قبل الأشجار.

التكوين ١ : ٢٠ ـ ٢١ و ٢٦ ـ ٢٧ تم خلق الطيور قبل الإنسان.

التكوين ٢ : ٧، ١٩ تم خلق الإنسان قبل الطيور.

التكوين ١ : ٣١ أُعجب الله بما خلق.

التكوين ٦ : ٥ ـ ٦ لم يعجب الله بما خلق وحزن وتأسف..

التكوين ٢ : ١٧ كتب على آدم أن يموت يوم يأكل من شجرة المعرفة، وقد أكل..

التكوين ٥: ٥ آدم عاش ٩٣٠ سنة!

التكوين ١٠: ٥، ٢٠، ٣١ كل قبيلة لها لغتها ولسانها.

التكوين ١١: ١ كانت الأرض كلها لسانا واحداً ولغة واحدة.

التكوين ١٦: ١٥، ٢١: ١ ـ ٣ إبراهيم له ولدان إسماعيل وإسحاق.

العبرانيين ١١: ١٧ إبراهيم له ولد واحد وحيده إسحاق (وتم استبعاد إسماعيل)!

التكوين ١٧: ٧، ١٠ ـ ١١ الرب يقول عهد الختان عهداً أبدياً.

غلاطية ٦: ١٥ بولس يقول ليس الختان ينفع شيئاً وبذلك تعلو كلمة بولس على كلمة الرب!..

التكوين ٢٠: ١١ ـ ١٢ إبراهيم تزوج من سارة أخته ابنة أبيه.

اللاويين ٢٠: ١٧ «إذا أخذ رجل أخته بنت أبيه أو بنت أمه ورأى عورته ورأت عورته فذلك عار يقطعان أمام أعين بنى شعبهما. قد كشف عورة أخته. يحمل ذنبه»! (وفى طبعة ١٨٣١ نقرأ كلمة «إذا تزوج» بدلاً من «إذا أخذ» ونقرأ «يقتلان» بدلاً من «يقطعان»)..

خروج ١٢: ١٣ كان على اليهود أن يعلّموا بيوتهم بالدم حتى يتعرف عليها الرب ولا يهلكهم..

أمثال ١٥: ٣ عينا الرب فى كل مكان ولا يخفى عليه شىء!

خروج ٢٠: ١ ـ ١٧ الرب أعطى الوصايا العشر لموسى مباشرة بلا وسيط.

غلاطية ٣: ١٩ أعطاها الرب مرتبة بملائكة فى يد وسيط.

خروج ٢٠: ٤ الرب يمنع صنع التماثيل والمنحوتات.

خروج ٢٥: ١٨ الرب يأمر بصنع كروبين من الذهب لوضعهما على طرفى غطاء التابوت.

خروج ٣٤: ٧ الأبناء يدفعون ثمن إثم الآباء حتى الجيل الثالث والرابع.

تثنية: ٢٤: ١٦ لا يقتل الأبناء لإثم الآباء.

لاويين ٢٤: ٢٠ العين بالعين والسن بالسن.

متى ٥: ٣٨ ـ ٤٤ من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضاً... أحبوا أعداءكم!

لاويين ٢٥: ٣٧ تحريم الربا.

متى ٢٥: ٢٧ إباحة الربا.

العدد ٣٠: ٢ الالتزام بالنذر والقسم.

متى ٥: ٣٣ - ٣٧ عدم القسم.

التثنية ٢٤: ١ - ٥ الرب قال يمكن للرجل أن يطلق زوجته ويمكن لكل منهما أن يتزوج ثانية.

مرقس: ١٠: ٢ - ١٢ وقال يسوع من طلق امرأته وتزوج بأخرى يزنى عليها والزوجة كذلك! فهل يسوع يناقض الرب أم يناقض نفسه؟!

صموئيل الأول ٣١: ٤ - ٦ شاول يقتل نفسه بالسيف.

صموئيل الثانى ٢١: ١٢ الفلسطينيون هم الذين قتلوه فى حلبوع.

أخبار الأيام الأول ١٠: ١٣ - ١٤ الرب هو الذى أماته.

صموئيل الثانى ٢٤: ٢٤ اشترى داود البيدر والبقر بخمسين شاقلا.

٢١: ٢٥ ودفع داود ذهبا وزنه ستمائة شاقل.

الملوك الأول ٤: ٢٦ كان لسليمان أربعون ألف مذود لخيل.

أخبار الأيام الثانى ٩: ٢٥ كان لسليمان أربعة آلاف مذود خيل.

الملوك الثانى ٢: ١١ فصعد إيليا فى العاصفة إلى السماء.

يوحنا ٣: ١٣ لم يصعد أحد إلى السماء إلا ابن الانسان (يسوع).

العبرانيين ١١: ٥ الله نقل أخنوخ إلى السماء.

مزامير ١٠: ١ الرب لا يوجد عند الحاجة، ولا يستجيب.

مزامير ١٤٥: ١٨ الرب قريب لكل الذين يدعونه.

مزامير ٧٨: ٧٩ الرب قد أسس الأرض إلى الأبد.

مزامير ١٠٢: ٢٥ ـ ٢٦ الأرض تباد وتبلى كالثياب.

متى ٢٤: ٢٥ السماء والأرض تزولان لكن كلامى (يسوع) لا يزول.

إشعياء ٤٤: ٢٤ أنا الرب صانع كل شىء ناشئ السموات وحدى.

يوحنا ١: ١ ـ ٣ يسوع (الكلمة) ساهم مع الرب فى كل شىء فهو الله.

متى ١: ٦ ـ ٧ نسب يسوع عن طريق سليمان بن داود.

لوقا ٣: ٢٣ ـ ٣١ نسب يسوع عن طريق ناثان بن داود.

متى ١: ١٦ يعقوب والد يوسف.

لوقا ٣: ٢٣ هالى والد يوسف.

متى ١: ١٧ جميع الأجيال من داود إلى المسيح ثمانية وعشرون (٢٨).

لوقا ٣: ٢٣ ـ ٢٨ عدد الأجيال أربع وثلاثون (٣٤).

متى ١: ١٨ ـ ٢١ ملاك الرب ظهر ليوسف بعد أن حملت مريم.

لوقا ١: ٢٦: ٣١ ملاك الرب ظهر قبل الحمل.

متى ١: ٢٠ الملاك تحدث إلى يوسف.

لوقا ١: ٢٨ الملاك تحدث إلى مريم.

متى ٢: ١٣ ـ ١٦ يوسف أخذ الصبى (يسوع) وأمه وهربوا إلى مصر.

لوقا ٢: ٢٢ ـ ٤٠ عقب ميلاد يسوع، يوسف ومريم ظلا فى أورشليم ثم عادوا إلى الناصرة ولم يذهبوا إلى مصر بالمرة، ولا يرد ذكر ذبح الأطفال!

متى ٥: ١، ٧: ٢٩ يسوع يقول موعظته على الجبل.

لوقا ٦: ١٧ ـ ٤٩ يسوع يقول موعظته فى موضع سهل أى على الأرض وليس على جبل.

متى ٥: ١٧ ـ ١٩ لم يأت لينقض الناموس.

أفسوس ٢: ١٣ ـ ١٥ يسوع قد أبطل الناموس بجسده.

متى ٩: ١٨ ابنة الرئيس كانت قد ماتت قبل أن يذهب إليها يسوع

لوقا: كانت تحتضر عندما ذهب إليها.

متى ١٠: ٢ ومرقس ٣: ١٦ ـ ١٩ ولوقا ٦: ١٣ ـ ١٦ وأعمال الرسل ١: ١٣ تختلف بينها أسماء وأعداد الحواريين.

متى ١٠: ٣٤ جاء يسوع ليلقى سيفاً وليس سلاماً.

لوقا ١٢: ٤٩ ـ ٥٣ جاء يسوع ليلقى ناراً وانقساماً.

يوحنا ١٦: ٣٣ جاء يسوع ليلقى سلاماً.

متى ١٦: ١٨ يسوع يقول: أنت بطرس وعلى هذه الصخرة ابنِ كنيستى... وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات.

متى ١٦: ٢٣ فالتفت يسوع وقال لبطرس اذهب عنى يا شيطان أنت معثرة لى...

متى ٢١: ١٢ ـ ١٣ أطاح يسوع بالباعة من المعبد فى أواخر أيامه متهمهم بأنهم جعلوه بيت لصوص.

يوحنا ٢: ١٣ ـ ١٦ أطاح يسوع بالباعة من المعبد فى بداية حياته متهمهم بأنهم جعلوه بيت تجارة.

متى ٢٣: ٣٥ يسوع يقول إن زكريا بن براخيا.

أخبار الأيام الثانى ٢٤: ٢٠ تقول إن زكريا كان ابن يهويا (مع ملاحظة أن اسم براخيا غير وارد فى العهد القديم).

مرقس ١٤: ٣ المرأة تسكب الطيب على رأس يسوع.

لوقا ٧: ٣٨ المرأة تسكب الطيب على قدميه.

مرقس ١٤: ١٠ ـ ١١ يهوذا يساوم على تسليم يسوع قبل الأكل.

يوحنا ١٣: ٢١ ـ ٣٠ المساومة تتم بعد الأكل.

مرقس ١٤: ٤٤ ـ ٤٦ علامة خيانة يهوذا ليسوع أن يقبله.

لوقا ٢٢: ٤٧ ـ ٤٨ يهوذا دنا من يسوع ليقبله.

يوحنا ١٨: ٢ ـ ٩ يسوع خرج وسلم نفسه ولا ذكر لقبلة يهوذا الشهيرة.

مرقس ١٤: ٥٣ بعد القبض على يسوع ذهبوا به إلى قيافا.

يوحنا ١٨: ١٣ ـ ٢٤ بعد القبض على يسوع ذهبوا به إلى حنّان أولاً.

متى ٢٦: ٥٩ ـ ٦٦ تمت محاكمة يسوع أمام رؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع كله.

لوقا ٢٢: ٦٦ ـ ٧١ تمت المحاكمة أمام رؤساء الكهنة والكتبة.

يوحنا ١٨: ١٣ ـ ٢٤ تمت المحاكمة أمام قيافا وحنّان الذى كان قد أرسل له يسوع موثقاً.

لوقا ٢٢: ٧٠ عندما سألوا يسوع إن كان ابن الله قال لهم أنتم تقولون.

مرقس: ١٤: ٦٢ عندما سألوا يسوع قال لهم أنا هو!

متى ٢٧ : ٥ يهوذا طرح النقود أرضاً وانصرف.

أعمال الرسل ١ : ١٨ يهوذا يقتنى حقلاً بأجرة خيانته.

متى ٢٧ : ٥ يهوذا خنق نفسه.

أعمال الرسل ١ : ١٨ يهوذا يسقط على وجهه وانشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها!

متى ٢٧ : ٢٨ ألبسوا يسوع رداءً قرمزيّاً (علامة على الإهانة).

مرقس ١٥ : ١٧ ألبسوه رداءً أرجوانيا (علامة على المَلَكيَّة).

متى ٢٧ : ٣٢ سمعان القيروانى سخّر لحمل صليب يسوع.

يوحنا ١٩ : ١٧ خرج يسوع حاملاً صليبه.

متى ٢٧ : ٤٦ ـ ٥٠ كانت آخر كلمات يسوع «إيلى إيلى لما شبقتنى أى إلهى إلهى لماذا تركتنى».

لوقا ٢٣ : ٤٦ كانت آخر كلمات يسوع «يا أبتاه فى يديك أستودع روحى».

يوحنا ١٩ : ٣٠ كانت آخر كلماته بعد أن أخذ الخل: «قد أكمل» ونكس رأسه وأسلم الروح!

متى ٢٨: ١ وبعد السبت عند الفجر جاءت مريم المجدلية ومعها مريم أخرى (أى اثنتين).

مرقس ١٦: ١ وبعد ما مضى السبت جاءت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة (أى ثلاث).

لوقا ٢٣: ٥٥ جاءت مريم المجدلية ويونا ومريم أم يعقوب والباقيات (أى على الأقل خمس).

يوحنا ٢٠: ١ وفى أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكراً. (أى واحدة فقط).

متى ٢٨: ٢ وإذا زلزلة عظيمة حدثت لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه..

لوقا ٢٤: ٢ (عندما حضرت النسوة) وجدن الحجر مدحرجاً عن القبر.

مرقس ١٥: ٢٥ كانت الساعة الثالثة فصلبوه.

يوحنا ١٩: ١٤ ـ ١٥ وكان استعداد الفصح ونحو الساعة السادسة فقال لليهود هوذا ملككم.

يوحنا ١: ١ الكلمة (يسوع) هى الله.

يوحنا ١٠: ٣٠ يسوع والأب واحد.

يوحنا ١٤: ٢٨ يسوع يقول: أبى أعظم منى.

أعمال الرسل ٢: ٢٢ يسوع الناصرى رجل قد تبرهن لكم من قِبَل الله.

لوقا ٢٣ : ٤٣ فقال يسوع للص المصلوب بجواره: الحق أقول لك إنك اليوم تكون معى فى الفردوس.

أعمال الرسل ٢ : ٣١ تقول الآية إنه ظل فى الجحيم حتى بعث (فى طبعة ١٨٣١) وفى طبعة ١٩٦٦ تم تغيير عبارة «الجحيم» وكتب «الهاوية»!

ولا يسع المجال هنا لحصر المائة والخمسين ألف تناقض التى تتحدث عنها الموسوعة البريطانية لكننا أوردنا بعض النماذج العشوائية لنوضح أن هذه الأناجيل ليست منّزلة من عند الله كما يجادلون فى ذلك، وإنما قد صيغت وفقا للمناسبات والأغراض، وأنه لا يحق لأى «إنسان» أن يحاول فرضها على المسلمين فلا يوجد مسلم يمكنه التخلى عن إيمانه ليقبل مثل هذه الصياغات التى لا تستقيم مع أى منطق أو عقل. ليؤمن بها من شاء. وليكفر بها من شاء، لكن فرضها على العالم، وخاصة على العالم الإسلامى أمر مرفوض بكل المقاييس.



الفصل الرابع

أصداء هذه الحرب الصليبية وانعكاساتها..

من أهم أصداء هذه الحرب الصليبية وانعكاساتها ذلك المؤتمر الذى انعقد فى الأيام الأولى الثلاثة من شهر يوليو ٢٠٠٣، تحت عنوان: «نحو خطاب ثقافى جديد: من تحديات الحاضر إلى آفاق المستقبل». والمؤتمر لم يخطط له مسبقا ولم يكن مدرجا ضمن أنشطة المجلس الأعلى للثقافة. ولعل الذين علقوا على هذه العجالة، التى تم جمع المثقفين من مختلف الأقطار الإسلامية والعربية، قد فاتهم الربط بين هذا المؤتمر وذلك الذى أقيم قبله بشهر، بمقر السفارة الأمريكية بالقاهرة تحت رعاية السفير الأمريكى، وكان موضوعه عن التعليم فى مصر وكيفية تطويره..

أما ذلك المؤتمر الذى انعقد فى أوائل شهر يوليو، فقد انعقدت خلاله ١٣ جلسة و٦ موائد نقاشية وتم مناقشة ١٤٦ بحثاً وورقة عمل ومداخلة.. ولا ندرى بأى منهج علمى أو ثقافى تم الاستماع إلى هذا الكم من الأبحاث، فى مثل هذا الوقت الضيق، ومتابعتها ومناقشتها للبت فيها وإصدار القرارات المبنية عليها ـ إلا إن كان المقصود من هذا المحفل الثقافى العربى مجرد

إضفاء الشرعية، بنفس العجالة التى انعقد بها، لا لتمرير القرارات التسعة التى تمخض عنها المؤتمر فحسب، وإنما لإحاطتنا علما بما تم الاتفاق عليه فعلا لتنفيذه..

فعلى الرغم من أن العنوان المعلن للمؤتمر هو: «نحو خطاب ثقافى جديد»، إلا أنه قد ناقش محورين أساسيين هما: نقد الخطاب الثقافى السائد، وتجديد الفكر الدينى. وإذا ما أخذنا فى الاعتبار أهم وأغرب ما تم طرحه من مقترحات، لأدركنا أن المغزى الحقيقى لهذا الحشد الثقافى هو طرح كيفية اقتلاع الإسلام - تمشيا مع مآرب هذه الحرب الصليبية ولمواكبة الحضارة الأمريكية والغربية فى انفلاتها الجامح.. ولا أدل على ذلك من أن تتولى جماعة من العلمانيين الموالين للغرب مناقشة الخطاب الدينى وتحديد آفاق مستقبله!

فلقد تراوحت الجلسات، منذ الجلسة الافتتاحية حتى الجلسة الختامية، بين منطق التكفير وآفاق التفكير ومحاولات التفكيك التى طالت كل الثوابت الإسلامية والتاريخية المراد مراجعتها بدءاً من الدين نفسه، ومختلف أنساق القيم الاجتماعية، انتهاءً بالخطاب الثقافى والإعلامى والدينى.. الأمر الذى يضع عدة علامات استفهام حول المخططات الأمريكية التى لاحت فى المؤتمر وحول أولئك المسلمين الذين تباروا فى مطالب جد غريبة فمنهم من طالب بحذف آيات وكلمات من القرآن الكريم، وعدم الاعتراف بالسلف الصالح، ونبذ التراث والمساس بالفقهاء القدامى، ومنهم من طالب بعمل لاهوت إسلامى جديد، وانتقاد ثبات النص القرآنى، والمطالبة بالانطلاق نحو الحياة والمتعة بدلا من القيم والأخلاق البالية، وبتطبيق قيم فلسفة عصر التنوير، والاستفادة من مدرسة الحداثة، ومنهم من طالب الغرب المسيحى رسميا بالتدخل لإصلاح الشأن الدينى فى البلدان الإسلامية، بما أنه صاحب المصلحة الأولى فى هذا التخريب.. ومنهم من طالب بتغيير المناهج الدراسية

العربية وفقا لوقاحة السياسة الأمريكية ومطالبها، ومنع تدريس القرآن الكريم فى المدارس، وإنتاج خطاب دينى متطور يواكب العصر فى انفلاته الأخلاقى، ومنهم من طالب بحقوق المرأة فى كل شىء - الأمر الذى يستوجب عدة علامات استفهام وتعجب.. وتحرير الوعى الإسلامى من قاعدة الحلال والحرام، ومنهم من طالب بتفكيك المؤسسات الدينية، ومنهم من طالب باعتبار القرآن الكريم غير صالح لكل زمان ومكان، وحصره فى النطاق التاريخى والمكانى فحسب، ومنهم من اعتبر الفتح الإسلامى غزوا نهب مقدرات مصر، بل هناك من طالب بإعادة النظر فى الدين برمته، وبفصل الدين عن الدولة، وتحويل العالم الإسلامى إلى العلمانية، ومنهم من طالب باستبعاد عبارة «الشريعة الإسلامية» كمصدر لتشريع قوانين الدولة - وبالتالى استبعاد أن الإسلام دين الدولة من الدستور المصرى، إلخ..

وكان من الممكن اختصار هذا العرض المقتضب لمطالب المؤتمر وقول إنها لم تخرج عن مطالب المستشرقين المتعصبين الذين لم يكفوا عن تكرار هذه المطالب بصورة أو بأخرى، وأنها امتثال واضح لمقولة المستشرق زويمر، الذى قال فى مطلع القرن الماضى إنه «لن يقتلع الإسلام إلا أيد مسلمة، من داخل أمة الإسلام»..

وياله من عار..

وقبل أن نتناول ذلك البيان الختامى وبنوده التسعة، لابد من توضيح معانى بعض العبارات التى تم استخدامها فى هذه المطالب، حتى تكون الصورة واضحة أمام القارئ - ولن نقول هنا شيئا عن المساس بالقرآن الكريم أو عن التلاعب به وبتعاليمه.. ومن هذه العبارات أو المصطلحات:

- **التنوير:** لقد قام عصر التنوير فى أوروبا وخاصة فى فرنسا، فى القرن الثامن عشر، ضد عصور الظلمات والقهر التى فرضتها الكنيسة الرومية كمؤسسة تسلطية تمنع الحريات وتحارب العلماء والتقدم وتقيم المحارق

للكتب والأفراد، وخاصة للمعترضين أو المنشقين على ما تقوم به من تلاعب بالنصوص، والتصدى لكل من يخالف هذا التعتيم.. وهى قرون ممتدة فرضت فيها صكوك الغفران، ومحاكم التفتيش، والحروب الصليبية التى أعلنها البابوات باسم الرب يسوع المسيح، لا ضد المسلمين وحدهم، ولكن ضد كل المنشقين عليها، وقتل الأبرياء، ومنهم البروتستانت والأورثوذكس، والكاتار - فى جنوب شرق فرنسا، الذين أبيدو كلية لاعتناقهم الأريوسية، نسبة إلى الأسقف السكندرى أريوس الذى كان يعارض تأليه السيد المسيح فى مطلع القرن الرابع. وهى أقرب المذاهب إلى الإسلام فى توحيدها بالله عز وجل. فهل عرف الإسلام والمسلمون مثل هذه العصور المخزية لكى يطالب البعض بالاسترشاد بعصر التنوير؟

- **الحداثة والأصولية:** هى ثانى أكبر أزمة فكرية تتعرض لها المؤسسة الكنسية الرومية بعد أزمة التنوير، وقد طالب علماء الحداثة، وكثيرون منهم كانوا من رجال الكنيسة، بتنقية النصوص الإنجيلية والكنسية مما بها من تناقض وتحريف ولا معقول لم يعد يتمشى مع الواقع، لكى يتوقف ما أطلقوا عليه «النزيف الصامت للكنيسة»، ويقصد به أولئك الذين يتسللون بعيدا عن ذلك الدين الذى يتم فرضه قهرا وبلا مناقشة.. وهاج أصحاب النفوذ والتعصب الكنسى قائلين بإصرار أصم إن النصوص (الثابت تحريفها) أصلية مقدسة منزّلة! وبالتالى أصبحت كلمة «الحداثة» فى الخطاب الغربى: تعنى: تنقية النصوص الدينية المسيحية مما بها من تحريف، وكلمة «الأصولية» تعنى فى الخطاب الغربى التمسك بكل ما تم فى العقيدة من تحريف عبر المجامع على مر العصور..

ومن هنا، فإن استخدام هذين اللفظين للخطاب الإسلامى يكشف عن جهل مروع وعن محاكاة ممجوجة للغرب، بلا فهم. فالأصول الإسلامية منزّلة لم ينلها أى تحريف، والمطالبة بتحديثها يعنى تخريبها والتلاعب بها. وهو أمر

مرفوض بكل المقاييس.

- **لاهوت تحرير إسلامى:** أولا، إن علم اللاهوت علم يبحث فى وجود الله وذاته وصفاته، ويقوم عند المسيحيين مقام علم الكلام عند المسلمين. وقد جرى العرف على استخدامه كمصطلح كنسى مرتبط بالسيد المسيح وكل المشكلات التى ترتبت على تأليهه. ومنها كلمات الناسوت والكهنوت وما إلى ذلك.. والمطالبة بلاهوت تحرير إسلامى محاكاة ممجوجة أخرى، فلاهوت التحرير نشأ فى شعوب أمريكا اللاتينية فى الستينيات من القرن العشرين، بعد أن انتابها اليأس من التنمية والتقدم المزعوم وفقا للنظام الأمريكى واقتصاديات السوق التى فُرضت عليها - مثلما فُرضت علينا.. الأمر الذى نجم عنه هناك تدهور الاقتصاد بصورة غير مسبوقة. والمقصود بالتحرر فى هذا السياق الذى نشأ فيه «لاهوت التحرر» هو: التحرر من العبودية التى يفرضها النفوذ الكنسى والأمريكى ومحاربة الظلم الاجتماعى الناجم عن ممارساتها واللجوء إلى نوع من العلمانية هربا من القمع الذى يمارس عليهم، ومحاربة الرأسمالية التى تساندها الكنيسة الرومية بضراوة. وقد قام البعض بربط الحركة التحررية بالشيوعية وبالصراع الطبقى، لذلك تمت محاصرتها، وفشلت تجربة نيكارجوا عام ١٩٨٤.. فقد قام البابا يوحنا بولس الثانى بمحاربة لاهوت التحرر وخاصة كتاب الأسقف ليوناردو بوف (١٩٨٢) الذى كان يطالب بإصلاح كنسى وبإعادة النظر فى السيادة المطلقة للبابا، متهما كيان المؤسسة الكنسية بأنه قد أصبح كيانا شيطانيا!

فهل مارس الإسلام على شعوبه مثل هذا التسلط والقهر الاجتماعى والاقتصادى؟! من المسلم به أنه لو تم تطبيق نظام الزكاة بأمانة لما كان هناك فقر فى أمة الإسلام.. وعدالة التشريع الاقتصادى فى الإسلام لا تزال تبهر العاملين على اقتلاعه، فبأى ضمير نجارى الغرب فى مطالبه؟!

- **حقوق المرأة:** طالب نفر من المشاركين فى هذا المحفل بحقوق المرأة «فى كل شىء»، وهذه العبارة فى مثل هذا المؤتمر الهادم لجذورنا وأساسنا يعود بنا إلى مؤتمرات المرأة، ومؤتمر السكان، وبدعة الجندر التى اختلقوها للمساواة بين الرجل والمرأة فى كل شىء: فى الجنس والانفلات، وإلى ما حاولوا فرضه من إباحيات وعلاقات جنسية خارج نطاق الزواج الشرعى الكامل الأركان، وإباحة العلاقات المثلية بين النساء، ومحاولة إدراجها ضمن حقوق الإنسان، باعتبارها من الحريات الشخصية.. وهنا لابد من طرح سؤال على ذلك النفر المطالب بهذا الانفلات الهمجى: ترى هل يقبل على نفسه أن تتجرف والدته أو زوجته أو شقيقته أو ابنته فى أحد هذه التيارات المنحطة التى تعنيها عبارة «كل شىء»؟!

لقد نالت المرأة المسلمة من الحقوق ما لم تنله المرأة الغربية حتى عصر قريب، ويكفيها فخراً حق أخذ رأيها فى شريك حياتها، وتكريمها فى الميراث، وحريتها فى إدارة أموالها وممتلكاتها، وحقها فى الاستقلالية التامة حتى فى الاحتفاظ باسمها، ومشاركتها فى المجتمع، وحقها فى التعليم، بل وحقها فى الحياة.. والقرآن الكريم يخاطب المؤمنين والمؤمنات بعامة، ولم يستثن المرأة إلا فى نقطتين: بعض حالات الميراث، والشهادة، وكلاهما له مبرراته الشرعية الواضحة. وقد دأب المستشرقون على بتر الحقائق وتقديم جزئيات مغلوطة الشكل للهجوم على الإسلام والمسلمين، فما من مستشرق أوضح مثلا أن المرأة ترث مثل الرجل وأحيانا أكثر منه فى أكثر من ثلاثين حالة! لكن الذى يرددونه فحسب هو أنها ترث نصف الرجل.. وعندما يقوم نفر من المسلمين بترديد مثل هذه الفريات فذلك لا ينال إلا من كرامته وكبريائه.

- **الحلال والحرام:** إن المطالبة بتحرير الوعى الإسلامى من قاعدة الحلال والحرام بمثابة معول هدم جارف لكل المقاييس المعيارية ودعوة صريحة للانحلال، ترمى إلى اقتلاع الضمير الحى للإنسان، واجتثاث القيم

الأخلاقية والمعنوية من حياته. وبذلك يفقد القدرة على التمييز ويتساوى عنده كل شيء..

والمطلب فى حد ذاته صيغة ملتوية أخرى لاقتلاع الإسلام من ممارساته فى الحياة اليومية - وهو الهدف الواضح من كل هذه المطالب التى لا تشين إلا المطالبين بها، وإن كان الفريق الأكثر استفادة من هذا المطلب هم قوم لوط ومثيلاتهم.. فيا ليت المتقدمين بمثل هذه المقترحات أن يتشحوا بشىء من الحياء ويدرأوا مثل هذه الفواحش بدلا من إشاعتها..

● **الفتح الإسلامى:** أما عن سيادة نغمة وصف الفتح الإسلامى لمصر بالغزو البدوى الذى نهب مقدرات مصر، فهى بكل أسف نغمة ترددت عدة مرات فى كتاب الأنبا يوحنا قولتا المعنون: «المسيحية والألف الثالثة»، ولا يسع المجال هنا للرد على كل ما بذلك الكتاب من فريات وتحريف وتزييف للحقائق والتاريخ، ويكفى أن نقول إنه لولا هؤلاء «الجياع والعطشى الذين غزوا أرض مصر» لما تم إنقاذ أقباطها من مذابح الرومان، لكن ما تجدر الإشارة إليه هى تلك الازدواجية الغربية فى المواقف بين ما يُكتب وما يقال فى الأحاديث السيارة.. فعلى عكس ما كتبه فى ذلك الكتاب التبشيرى، وقف الأنبا يوحنا قولتا فى المؤتمر ليدافع عن الإسلام، بينما كان المسلمون يتفننون فى المساس به!

أما القرارات التسعة، وعلى الرغم من كتابتها بصياغة ملتوية مضغمة، قد يفلت مغزاها من كثير من القراء، فلا بد من تناولها بشىء من التفصيل. ففى البند الأول يتم التركيز على دور المثقفين العرب ودفاعهم عن مصالح الأمة، الأمر الذى أدى إلى الوحدة الثقافية، وهذه الوحدة الثقافية تظل أساسا لابد منه من أجل تجديد المشروع الحضارى العربى.. ولعله كان من الأوقع أو الأوضح لو قيل «دور المثقفين المسيحيين أو الأقباط» والأدوار الوطنية التى لعبها البعض منهم، الأمر الذى قام بتدعيم الوحدة الوطنية.. وفى مثل هذه

الظروف الحالية التى يطالبون فيها باقتلاع الإسلام، علينا اعتبار الوحدة الوطنية فى كل بلد إسلامى أو عربى أساسا لابد منه، ولا شك فى هذا، شريطة ألا ينجرف المسيحيون فى أحابيل الغرب وتسهيل مهمة المبشرين..

وتؤكد التوصية الثانية على أن إنجاز الاستقلال الوطنى والقومى لكل الأقطار العربية هو إنجاز ينبغى الحفاظ عليه والدفاع عنه».. ويا لغرابة هذا البند الذى يصف القواعد العسكرية فى العالم الإسلامى والعربى «إنجازا واستقلالا وطنيا وقوميا ينبغى الحفاظ عليه» ـ ولا نقول شيئا عن الاحتلال الوقح للعراق ولا عن استباحة الشعب الفلسطينى وغيرها من القضايا الاستقلالية الحقة! ترى هل يجهل كاتب هذا البند سيادة السياسة الأمريكية فى المنطقة وعدم أمانة معاييرها المزدوجة؟

أما عن الجزء الثانى من هذا البند الثانى، فمن العار علينا وأى عار، بعد أن تم وأد القضية الفلسطينية بصمت الكافة، أن نتشدق قائلين «إنه من حق الشعب الفلسطينى تحرير أرضه المحتلة وإقامة دولته المستقلة»؟! فهذه الدولة المزعومة التى وعدوا الشعب الفلسطينى بها لا تمتلك بالفعل من مقومات الدولة إلا اسما على ورق.. وكلنا نعرف من وكيف ومتى ولمَ تم إنشاء هذا الكيان الصهيونى فى أرض فلسطين المغتصبة، وكان الأجدى بهذا المحفل أن يطالب بوحدة الصف الإسلامى والعربى لتحرير هذه الأرض بصورة فعالة ويطالب الغرب الذى اختلق هذا الكيان الصهيونى وعاونه على الاستيطان، ولا يزال يسانده، أن يتراجع عن فعلته ـ ولدينا ما يسمح لنا بمثل هذا الموقف الجاد وليس مجرد التغنى بالاعتراض، أو عدم الموافقة الشفاهية، أو حتى بأنه من حق ذلك الشعب تحرير أرضه.. ومجرد التنديد أيضا بالاحتلال المسكرى للعراق ووضع اليد على مقدراته وثرواته بمنطق رعاة البقر، فلا يقل نفاقا وخزيا، فالثابت أن ذلك الاحتلال لم يكن من الممكن أن يتم إلا باشتراك الكافة ومنح التسهيلات سرّاً وعلانية اعتمادا على التعتيم على

الشعوب وعلى الأكاذيب التى بدأت تشرأب وتفوح..

وتأتى التوصية الثالثة كتقرير واقع شكلا، فالأمة العربية بها من «المقومات ما يدفع عنها اليأس وما يدرأ التفريط والتهاون فى المسائل القومية».. فالأمة الإسلامية والعربية قادرة بالفعل على النهوض وتجاوز العقبات والنكسات شريطة أن تنزع عنها القيود الأجنبية وحروبها الصليبية المتنوعة، والقيود المحلية المؤيدة لها، وأن تترك وشأنها بلا تدخل وبلا حراسة مدججة بالسلاح من أحد..

وتطالب الوصية الرابعة، وهى من أكثر التوصيات ليّاً للمسميات، بإلغاء «الأوضاع العرفية» التى تحاصر الحريات، ومنها حرية الرأى والفكر والمعتقد والإبداع الأدبى والفنى.. ومن الواضح أن التورية فى عبارة «الأوضاع العرفية» ليس المقصود بها مجرد «الأحكام العرفية» التى تمسك بزمام مختلف الدول والحريات، ولكنها تكملة لمطلب التخلى عن قيود الحلال والحرام من جهة، وفتح الباب على مصراعيه لفرق المبشرين وللانفلات الأخلاقى.. فعبارة من قبيل «حرية المعتقد» لا تخفى إلا مطلب إلغاء حد الردة الذى طالما طالب المستشرقون بإلغائه لأنه يعوق عمليات التنصير، فهل وصل حد المهانة والاستهتار بديننا إلى درجة أن نساعد ونحمى من يقتلعوننا منه؟! أما حرية الإبداع الأدبى والفنى التى يطالب بها هذا البند فلا يبدو فيها إلا السماح لأعمال من قبيل «وليمة لأعشاب البحر» أن تحتل الصدارة فى إنتاجنا.. وأغرب ما يطالب به هذا البند هو حرية الاجتهاد الفكرى باعتباره «اجتهادا وطنيا وقوميا» وهو، فى مثل هذا الإطار، لا يعنى إلا فتح الباب لتحريف العقيدة الإسلامية وفقا لعقيدة الآخر وقبول عقيدة التثليث وعقيدة أكل لحم الإله وشرب دمه وابتلاع بقية الأسرار الكهنوتية لتسهيل عملية التنصير فى منطقة الشرق الأوسط حاليا، فكل ما يرمى إليه الغرب المسيحى المتعصب هو فرض نظام سياسى واقتصادى واحد، ونظام دينى واحد حتى تسهل قيادة

العالم وفقا لهواهم وأطماعهم وأحلامهم المتعنتة. أما عن باب الاجتهاد فى الإسلام فهو لم يغلق وله شروطه وقوانينه الشرعية التى يجب أن يدور فى حدودها التى تحميه من المخربين..

وتواصل التوصية الخامسة نفس النسق.. فتحت ذلك المطلب البرىء لتطوير التعليم العام والجامعى وإصلاح الجهاز المدرسى ومحو الأمية يأتى مطلب غير أمين هو: «مشاريع تعليمية تكوّن الوجدان الوطنى وتحفظ الوحدة الوطنية تعترف بالفئات غير العربية وثقافاتها ودورها فى كل قطر ويطور المشترك القومى بين الأفكار العربية» فمصطلح «الوحدة الوطنية» أصبح يعنى الحد الفاصل لحماية الأقليات التى لا تكل ولا تكف عن اختلاق المواقف التى تساعد الغرب المتعصب على تنفيذ مآربه.. فكل ما يدور من محاولات لتخريب الإسلام يتم اعتمادا على هذه الحجة، وهى الذريعة التى تعلن كلما مسسنا تلك الحقائق الممنوع الاقتراب منها، وخاصة ذلك الخلاف الجذرى الذى يفصل بين المسلمين والنصارى وهو: تأليه السيد المسيح فى القرن الرابع والشرك بالله عز وجل واختلاق بدعة الثالوث التى تخلت عنها بعض البلدان المسيحية مثل هولندا، لعدم تمشيها مع المنطق، وألغتها من كتاب التعليم الدينى الجديد الذى أصدرته وحذفت منه العديد من تلك العقائد حفاظا على بقاء أتباعها.. ونحن لا ننتقد أو نهاجم المسيحية، فليؤمن بها من شاء وليكفر بها من شاء، لكنه ليس من حق أحد أن يفرضها على المسلمين. والمشاريع المزمع عملها لتكوين الوجدان الوطنى ترمى إلى تكرار ورش العمل التى تمت فى أحد الفنادق بين بعض الأئمة المسلمين وبين بعض القساوسة لتدارس كيفية تقبل المسلمين لعقيدة الشرك بالله. «وتطوير المشترك بيننا» يعنى السكوت على الشرك بالله وقبوله - وهو ما يمثل كفراً فى حد ذاته بالنسبة لعقيدة التوحيد الإسلامية، ويعنى تطبيق مطالب المحاورين النصارى الذين يشترطون عدم المساس بالخلافات ومناقشة المشترك فحسب، الذى لا

يخرج عن بعض التعاليم الأخلاقية أو عن المقبول - من جانبهم - فيما يتعلق ببعض المعطيات التاريخية.. ويا لها من تنازلات مخزية..

أما «الاعتراف بالفئات غير العربية»، فتشير إلى الأقليات المسيحية واليهودية التى تعيش فى البلدان الإسلامية، وهم ليسوا بحاجة إلى وصاية أو توصيات لأنهم يعيشون فى بلدانهم كجزء لا يتجزأ من أمة الإسلام، ولهم دينهم ولنا ديننا، لكن السعى إلى فرض قبول فرق المبشرين الذين يغزون العالم الإسلامى فهو مطلب غير أمين، مثله مثل تلك البدعة الأخرى المسماة: «قبول الآخر»، التى يتغنى بها نفر قليل من متعصبى القبط والنصارى، واستقاها منهم واضعو هذه الوثيقة.. إنها عبارة جد مقلوبة الأوضاع والحقائق، فمن ذا الذى فى واقع الأمر لا يقبل الآخر؟!

لقد دأب التعصب الكنسى على اضطهاد الإسلام والمسلمين منذ بداية انتشاره وحتى يومنا هذا بالسلاح والقتل والحرق والحروب الصليبية ومحاكم التفتيش التى أحرقت من المسلمين أكثر مما أصابت من المسيحيين المنشقين على كنيسة روما، فمن ذا الذى لا يقبل الآخر؟! من ذا الذى صار فاقد البصر والبصيرة ويصرّ إصرارًا أكمه على تنصير العالم؟! ليتنا نكف عن استخدام العبارات المضغمة فى مثل هذه المسائل المصيرية حتى تفهم شعوبنا المغيّبة ما يحاك لها فى غياهب السياسة الأمريكية، فما يتم حالياً من محاولات لاقتلاع الإسلام، يتم بصورة مواكبة له لاقتلاع كافة المذاهب المنشقة فى المسيحية لتوحيدها تحت لواء كاثوليكية روما. وقد خصّت الأيادى العابثة هذا العقد الذى نحن فيه للانتهاء من المهمتين.

وتضم التوصية السادسة من قلب الأوضاع والتلاعب بالألفاظ ما يجعل الاشمئزاز كلمة كالحة.. إذ تطالب «بضرورة الوصول إلى الشروط الاجتماعية والثقافية التى تنتج خطابا دينيا متطوراً منفتحا على العصر يتجاوز الخطابات الدينية الركودية والمتزمتة». وأنه يتعين على الدول العربية

أن تأخذ موقفاً محايداً فى صراع الأفكار»! فالمطالبة بخطاب دينى منفتح على العصر يعنى توظيف الدين أو ما سوف يتبقى منه لفرض الانحلال والانحراف إلى جانب تيسير عمليات التبشير والتنصير التى تتم بإيقاع محموم لا سابقة له فى هذه الحرب الصليبية التى يقودها بوش وطاقمه.. ولا أدل على ذلك من آلاف المبشرين الذين أمطروهم على بلدان العالم الإسلامى والعربى، والذين فضحتهم الصحافة الغربية قبل أن تشير إليهم بعض الصحف المحلية.. وكلها فرق تعتمد أساساً - مثلها مثل السياسة الأمريكية - على الكذب والغش والخداع ونظام التسلل حتى التمكن، أو نظام «السحلبة» بلغة أهل الإسكندرية.. وما نطالعه فى مجلة «تايم» الأمريكية وغيرها عن استعداد هؤلاء المبشرين إلى بناء «مساجد لسيدنا عيسى ابن مريم» كما يقولون، أو عن استعداد من يقمن بالتبشير إلى ارتداء الحجاب أو الخمار للوصول إلى مآربهن، كما هو وارد بالعدد الصادر فى ٢٠٠٣/٦/٣٠ من مجلة «تايم» الأمريكية لدليل على مدى تدنى ضمائرهم وعلى مدى عدم إيمانهم بعقيدتهم وبما يقومون به حقّاً، فلو كان ما يبيعونه من عقائد أو ما يفرضونه سليماً خالصاً لما احتاجوا إلى كل هذا الغش والخداع والكذب لفرضه على المسلمين.. والأدهى من ذلك أن تُطالَب الدول الإسلامية بعدم التدخل فى عمل هؤلاء المبشرين أو هذا الزحف الصليبى، وإنما عليها على الأقل أن تقف «موقفاً محايداً»، مكتوفة الأيدى، مسلوبة الإرادة، معمية الضمير، وتتركهم يعملون فى صمت حتى لا يتعرضوا إلى أى رد فعل من جانب المسلمين - كما يقول نيافة البابا! لقد باتت كلمات من قبيل «عيب» أو «عار» أو «خزى» جد قاحلة جرداء وحيال مثل هذه التنازلات المهينة..

وتصل المغالطة والقحة إلى قمتها بالتوصية السابعة، فهى من ناحية تغالط فى تقديم عبارة «الحوار الثقافى»، فالحوار المقصود بها هو «الحوار الدينى»، وكل اللجان العاملة فى هذا المجال تعمل تحت إشراف لجنة التبشير

والتنصير التى شكلها يوحنا بولس الثانى لتنصير العالم. وكلها حوارات تدور لفرض مزيد من التنازلات من جانب المسلمين، لأن الحوار فى مفهوم البابا ووفقاً لما هو وارد فى كل خطبه الرسولية التى تتناول هذا الموضوع تنص صراحة على «أن الحوار يعنى فرض الارتداد والدخول فى سر المسيح».. وكل ما يرجوه هو أن يتم ذلك التنصير دون أن تتعرض الأقليات المسيحية إلى أى رد فعل من جانب المسلمين الإرهابيين الذين ستأخذهم الحمية للدفاع عن دينهم ومعتقداتهم ومقدساتهم» أما أن يعلن أصحاب هذا المحفل أنهم «يرفضون دعوات الانعزال عن العالم ومناصبته العداء». فمن الواضح أنهم لا يعلمون، ولا يقرأون، ولا يتابعون الأحداث، ولا يعرفون شيئاً عن التعصب الكنسى الذى لايزال يتصدى للإسلام منذ بداية انتشاره حتى يومنا هذا، بل ولم يسمعوا شيئاً عن هؤلاء الجنود الأمريكيين المنتشرين فى أكثر من ستين دولة، أو عن تلك القواعد العسكرية ولا عن احتلال العراق ونهبه وقتل المدنيين، ولا عن تلك المساندة للكيان الصهيونى المغتصب لأرض فلسطين.. فمن ذا الذى يناصب الآخر العداء؟!

وبدعة قبول الآخر التى ضجت بها العديد من الأبحاث والمداخلات، والتى يتشدق بها بعض المتعصبين من إخواننا النصارى وجعلوها عنواناً لعدد من الكتب والمقالات، ليست إلا قلباً آخر للأوضاع، فالتعصب الأكمه هو الذى لا يقبل الإسلام، لأنه الدليل الثابت فى الوثائق الكنسية والتاريخية والاجتماعية والحضارية برفضه وإدانته لما تم من تحريف فى عقيدة التوحيد وتأليه السيد المسيح والشرك بالله..

وتأتى التوصية التاسعة كقمة أخرى للسخرية والمغالطة فى عرض الحقائق، إذ يطالب المشاركون فى هذا الزخم الثقافى «جميع المثقفين العرب إلى الخروج عن الصمت، والانتظار، والارتياب، لتحدى القمع والتهميش، وإعادة طرح القضايا والأسئلة باتجاه مد الجسور بين المجتمع المدنى

والدولة»! ولا يملك قارئ هذه التوصية التاسعة والأخيرة إلا أن يتساءل عما إذا كان كاتبو هذه التوصيات من أهل هذا البلد أم من كوكب آخر؟! فالقمع والتهميش من ذا الذى يفرضه أو يمارسه؟ ومعنى مد الجسور بين المجتمع المدنى والدولة فى الفترة التى يحاولون فيها اقتلاع الإسلام، فإن مد اليد بالمفاهيم المطروحة به يعنى قبول ما يتم فرضه والتعاون على تنفيذ المآرب.. فإعادة طرح القضايا والأسئلة فى هذا السياق لا يعنى إلا فتح الأبواب لتلك الحرب الصليبية وجنودها المدججين بالأناجيل..

وقبل أن ننهى التعليق على ذلك البيان، نود أن نسأل أولئك الذين كتبوه: هل عز عليكم كتابة كلمة «الإسلام» أو «المسلمين» فى هذا المسمى بإعلان القاهرة الثقافى؟! أم لعلكم اعتبرتموه قد انتهى أمره ولم تعد هناك أهمية ولو لذكر اسمه؟! فلقد أتت كافة بنود هذا البيان العقيم خالية تماماً من هذا الاسم الكريم.. لقد تم تكرار عبارة «الثقافة العربية» و «الشعوب العربية»، و«المثقفون العرب»، و «الأمة العربية». وكأن الشرق الأوسط بأسره لم يعد به إلا «عرب» وانعدم فيه الإسلام والمسلمون..

لقد جرى العرف، بحكم الواقع، على قول الثقافة الإسلامية والعربية، والشعوب الإسلامية والعربية، والأمة الإسلامية والعربية، لأن سكان هذه المنطقة مسلمون أساساً وعرب، والمسيحيون يمثلون أقلية يبلغ عددهم حوالى اثنى عشر مليوناً فى الشرق الأوسط، وفقاً لإحصائية الفاتيكان أو كما هو وارد فى كتاب «الجغرافيا السياسية للبابا يوحنا بولس الثانى». ولنفترض أن عدد هذه الأقليات بكل مذاهبها قد وصل إلى حوالى خمسة عشر مليوناً، فالمعروف أن الشرق الأوسط يضم ٢٤ بلداً بما فيها إيران وتركيا وفلسطين المحتلة، وتعدادها حوالى أربعمائة مليون. فهل من العقل أو المنطق أن نزيح من الوجود أربعمائة مليون من المسلمين من أجل مراضاة أو مجاملة أو حتى حماية خمسة عشر مليونا؟!

إن البابا يوحنا بولس الثانى قد ثار واختلف مع بوش بكل هيلمانه، وتوترت العلاقات بينهما، بعد أن تلاحمت سياسات الدولتين لاقتلاع اليسار، بسبب تصريح بوش فى هذه الحرب على العراق.. وقد عارضه البابا بكل إمكانيته، لا حبّاً فى السلام كما تشدق البعض، ولكن كما قالها هو ونشرت فى الجرائد والمجلات الغربية: «حماية للأقليات المسيحية التى تعيش وسط بحر من المسلمين» و «خشية من أن يدفعوا هم ثمن هذه الحرب» إذا ما وقع أى رد فعل لما يدور من عدوان وتبشير.. فهل من المعقول أو حتى من باب اللياقة الأدبية أن نلغى وجود المسلمين من الشرق الأوسط بهذه البساطة؟! ولا نخاله بأمر خفى على هؤلاء الصياغ أن كل عربى ليس بالضرورة أن يكون مسلماً.

أما قضية تجديد الخطاب الدينى فقد تم تناولها وفقاً لمحاور خمسة، هى: فقه الأولويات، والتيسيز، والانفتاح على الآخر، وإبراز الوجه الإنسانى والحضارى للإسلام، وتوضيح أن التضامن الإسلامى لا يعنى معاداة الآخرين».. كما تم طرح بعض الاقتراحات الأخرى من قبيل إعادة النظر فى مصطلحات الفقهاء حول «دار الحرب ودار السلام» وغيرها من المفاهيم..

وقضية تجديد الخطاب الدينى، التى احتلت مكانة متألقة منذ فترة، وخاصة بعد الاحتلال الأمريكى للعراق، هى الصيغة المضفمة التى يحاولون من خلالها التلاعب بالإسلام وثوابته وأصوله وقواعده.. فإذا ما نظرنا إلى هذه المحاور الخمسة فى إطار الوضع الراهن وبرنامج السياسة الأمريكية وتصريحاتها المعلنة مراراً وتكراراً عن احتلال الشرق الأوسط وتغيير معالمه وفرض نظام العلمنة مثلما حدث فى تركيا «لاقتلاع ذلك الدين الذى يتمخض عنه الإرهاب»، وهو ما أعلنه بوش شخصيّاً قبل اندلاع الحرب بيومين، وذلك فى سياق إعلانه عن عزمه الذى لا رجعة فيه على احتلال العراق سواء تنحى صدام حسين أم لا، إذا ما وضعنا هذا الإطار فى الاعتبار لأدركنا أن تلك المحاور الخمسة تأخذ معانى أخرى غير تلك التى توصى بها للوهلة الأولى، إذ

أن فقه الأولويات سيتحول إلى الفقه الذى يقوم بتسهيل المآرب من تبشير وتنصير، بما أن تنصير العالم هو المطلب الأساسى فى هذا العقد ويأخذ مكان الصدارة فى أولويات البرنامج الأمريكى.. والتيسير سيصبح معناه تيسير عمليات المبشرين وتسهيلها.. كما سبق وتم ترتيب لقاءات بين الأئمة والقساوسة فى أحد الفنادق الكبرى لتدارس كيفية تقبل المسلمين لبدعة الثالوث.. والانفتاح على الآخر لن يكون معناه إلا تقديم المزيد من التنازلات ووضع خاتم «حلال» على بضاعة المبشرين ـ بدلاً من تحريمها أو التصدى لها..

لقد دخلت قضية تجديد الخطاب الدينى بكل معانيها المضغمة حيّز التنفيذ فعلاً، ومنذ فترة، وذلك فى مجال التعليم واستبعاد مادة الدين، وفى مجال الإعلام بكل ما يفرض علينا من إباحيات لا صلة لها بقيمنا وأخلاقنا ـ لكنه الانفتاح على الآخر! وفى مجال اللغة العربية حيث لم تعد لغة القرآن هى الأساس وإنما لغة وسائل الإعلام وبرامجها التى تحاكى الغرب بفجاجة، من قبيل: مغامرة كليب، وفيديو كليب، وتوب تن، وويك إند، وضحكة سكوب، ونيوز كليب، وخليك دايما كول.. وهى على سبيل المثال لا الحصر.. والمضحك المبكى أن ذلك الآخر قد ملّ من الانفلات والانحلال الذى هو غارق فيه وبدأ يعود للقيم والأخلاق والروابط الأسرية..

ولقد تغلغلت قضية تجديد الخطاب الدينى حتى تم تحجيم خطباء المساجد، بل ها هى الجرائد تعلن عن بحث مشروع توحيد خطبة الجمعة وتوزيعها على الأئمة.. كما تحدثت الصحافة عن موافقة مجلس الشعب على إنشاء «مجلس أعلى للخطاب الدينى» يكون هو المرجعية الرئيسية.. ومريرة هى الكلمات.. ففى الوقت الذى أدخل فيه البابا يوحنا بولس الثانى مادة الدين بصورة إجبارية فى كافة مدارس الكتلة الشرقية، بعد أن ساهم بكل ثقله على اقتلاع اليسار منها، وأعاد صلاة الصباح القصيرة قبل بداية اليوم الدراسى إجبارية.. بل حتى جورج دبليو بوش وطاقمه أصبحوا يمارسونها فى

بداية يوم العمل بالبيت الأبيض. وقد أعاد البابا منذ زمن قليل مادة الدين فى كافة المراحل التعليمية حتى الثانوية العامة فى إسبانيا، بعد أن كان قد تم إلغاؤها بعد رحيل فرانكو.. وها هو يسعى حثيثاً لإعادة مادة الدين فى البلدان التى أعلنت العلمانية وفصلها الدين عن الدولة، بل ويحاول فرض عبارة «المسيحية» و «التراث المسيحى» على دستور الاتحاد الأوربى، لمزيد من المحاصرة للأقليات المسلمة فى أوروبا والبالغ عددها سبعة وثلاثين مليونا كما يعلنون.. بل لقد رأينا كيف بدأ تحجيم الدراسات الإسلامية فى البلدان الإسلامية والعربية، وها هو إمام مسجد «أبو حنيفة» فى بغداد قد أعلن فى أول شهر أغسطس ٢٠٠٣ أن أحد أعضاء مجلس الحكم المؤقت العراقى قد طالب بإلغاء مادة التربية الإسلامية والاستعاضة عنها بمادة تسمى «التربية الأخلاقية»، وأنها مادة غير ملزمة للطلاب كمادة نجاح وسقوط.. وهو ما يوضح إلى أى مدى يتم تنفيذ تعليمات السياسة الأمريكية بكل قحتها..

ألم يكن أولى بنا بدلاً من الانجراف فى مواكبة هذه المطالب المغلوطة المرفوضة، أن نقوم بتناول حقيقة ذلك الخلاف وذلك العداء الذى يكنه التعصب الغربى للإسلام والمسلمين؟ فمن المؤكد - كما يؤكده العديد من الباحثين والمؤرخين الأمناء فى الغرب - أن معظم المسيحيين لا يعرفون أن دينهم قد تم نسجه عبر المجامع على مر التاريخ، ولا يعرفون أن أناجيلهم لم تكتبها تلك الأسماء التى هى معروفة بها، وأن كل ذلك الكيان الكنسى المتعصب قائم على أكبر كذبة تمت فى التاريخ، ألا وهى: تأليه السيد المسيح فى مجمع نيقية الأول سنة ٣٢٥، وتأليه الروح القدس فى مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١.. ومن الواضح والمؤكد أن معظم المسيحيين لا يدركون حقيقة معنى الآيات التى تقول: «لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم» أو «لقد كفر الذين قالوا أن الله ثالث ثلاثة» ولا يعرفون سبب نزولهما - وغيرهما كثير..

والأدهى من هذا وذاك، أن يتشدق البعض بكل ثقة واستكبار ليقول إنه لا توجد مؤامرة على الإسلام والمسلمين..

وقبل أن ننهى هذا الجزء من انعكاسات هذه الحرب الصليبية، نود الإشارة إلى افتضاح سياسة الرئيس بوش وتابعه بلير، واتهامهما علنا بالكذب على شعبيهما وعلى العالم أجمع، بتقديم براهين وأدلة مزيفة تبرر لهم ضرب العراق واحتلاله لسلب موارده.. ونود الإشارة خاصة إلى افتضاح الكذب فى تلك الواقعة الرسمية الخاصة بادعاء شراء العراق مادة اليورانيوم من نيجيريا وتقديم مستندات عليها توقيعات مزورة لشخصيات وهمية، إذ أن تلك الشخصيات كانت قد غادرت مناصبها منذ أكثر من عشر سنوات قبل التواريخ الواردة على تلك الوثائق والمستندات!

ويتساءل فيليب كوست فى مقال بعنوان «أمريكة جورج دابليو بوش»، معلقاً على هذه الواقعة قائلاً: «بقى أن نعرف بالتفصيل كيف وبأى تسلسل من الإهمال والغفلة البيروقراطية، والجُبْن، والاندفاع البدئ أمكن لمثل هذه المعلومة الرسمية أن تتسلل إلى رئيس القوى العظمى عشية بداية الحرب على العراق»؟! (مجلة إكسبرس ٢٤/ ٧/ ٢٠٠٣).

ولا شك فى أن الردود الرسمية تنم عن تخبط واضح: فحتى شهر مارس الماضى كان كل من رامسفيلد وكوندوليسا رايس وديك تشينى يلوّحون بخطورة أسلحة الدمار الشامل، التى تحولت الآن مسمياتها فى الصحافة الغربية ومن باب السخرية إلى «أسلحة الاختفاء الشامل»، والتى يحاولون إلقاء تبعية أكاذيبها على المخابرات المركزية الأمريكية وعلى رئيسها جورج تينت، لكى لا تتحول رسميّاً هى الأخرى إلى «أكاذيب دولة» - على حد قول فيليب كوست كاتب المقال. علماً بأن تينت نفسه، فى أكتوبر ٢٠٠٢، كان يتشكك فى وجود أسلحة دمار شامل، ويتشكك فى المعلومات البريطانية التى تم تقديمها لدرجة أنه نصح كوندوليسا رايس بعدم إدراجها فى خطاب جورج

بوش فى تشيتشيناتى وأن تضيف عبارة «مشكوك فى أمرها». إلا أن بوش قد استخدمها بكل جبروت وصلف..

وقد أصبحت هذه الأكاذيب تثير شكوك العديد من المحللين السياسيين، ومنهم زبيجنييف بجيزينسكى، المستشار الأسبق لجيمى كارتر والذى يشغل حالياً منصب رئيس مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية فى واشنطن. ومن الواضح أن الصدق كان أول ضحية لذلك الجمع فى إدارة بوش، الذى وصل به الأمر إلى خلق جهاز جديد منافس للمخابرات المركزية الأمريكية، يطلقون عليه فيما بينهم «جهاز المتآمرين»، وجميع العاملين به يتبعون بول وولفويتز، مساعد رامسفيلد.

ومن الواضح أيضاً ـ فى مجال الكذب ـ أن كثيراً من المتقدمين لمنصب الرئاسة فى الانتخابات القادمة يدخرون الذخائر أو الوثائق التى تكشف عن المزيد من الأكاذيب لحملتهم الانتخابية على رئاسة الولايات المتحدة، أو على رئاسة «دولة الأكاذيب» كما يجب أن يطلق عليها.

أما فى بريطانية تونى بلير، فلقد وضعه انتحار العالم دافيد كيلى فى مأزق واضح، كما يضع علامات استفهام حول ذلك الفريق الذى كونه بلير، أو ذلك الجهاز الخاص بالاتصالات الذى أحاط به نفسه من أجل السيطرة على الرأى العام..

وتطلق الصحافة البريطانية على هذا الفريق من المميَّزين: «دكاترة اختلاق الكذب» وقد تضاعف عددهم منذ عام ١٩٩٧، من ستة أشخاص إلى سبعة وعشرين حالياً، وهم فى حدود الأربعين من العمر، ويتقاضون رواتب أعلى من كبار موظفى الدولة البريطانية. وهؤلاء المتخصصون فى اختلاق الأكاذيب وصياغتها، على حد وصف ديمتز، عليهم حماية تونى بلير من الهجوم، وتسريب الموضوعات إلى الجرائد ونشرات الأخبار المصورة، وتحييد الأزمات والفضائح، وهدم المعارضة.. ويترأسهم ألستير كامبل، الصحفى

السابق بالديلى ميرور، وهو واحد من الذين يدين لهم بلير بنجاحه..

ويقول ديمتز فى ذلك المقال الصادر بنفس عدد مجلة اكسبرس (٢٠٠٣/٧/٢٤)، إن كامبل قد مَثُل أمام اللجنة الخاصة بالشئون الخارجية فى البرلمان البريطانى، ليجيب على سؤالين: «أنه قد جعل تقرير خدمات المعلومات التى قدمها عن تهديد أسلحة الدمار الشامل «أكثر جاذبية» (more sexy)، وذلك على عكس رأى الخبراء، مؤكداً أن العراق يمكنه استخدام أسلحته الفتاكة فى أقل من خمس وأربعين دقيقة». الأمر الذى بدأ ينفيه حالياً! أى أنه ينفى الكذب بأكاذيب جديدة..

والسؤال الثانى: «اتهامه بأنه قد اختلق ملفاً مليئاً بالاتهامات ضد العراق وضد نظام صدام حسين استقاه من هنا وهناك، وخاصة من رسالة دكتوراه قديمة، هى نفسها منتحلة»! أما أخطر ما يوجه إليه من اتهامات اليوم فهو أنه قد سرّب اسم العالم دافيد كيلى لزعزعة مصداقية شهادته، وخاصة ليزيح الأنظار بعيداً عن التساؤل حول شرعية حرب العراق.. والأرجح أنه قد تم «استبعاد» دافيد كيلى لكى لا يفضح المزيد من الأكاذيب الدامغة..

وإذا ما أضفنا إلى هذه الأكاذيب المعلنة، والتى تخص الجانب السياسى فى القضية، تلك الأكاذيب التى دارت وتدور فى المجال التبشيرى، وخاصة ما ورد بمقالة مجلة التايم الأمريكية العدد الصادر فى ٢٠٠٣/٦/٣٠: «أن الإسلام هو الإرهابى والمسلمون ضحاياه»، و «أن المبشرين يصلّون من أجل أن يفتك الرب بسلاح الدمار الشامل الذى هو الإسلام»، و «أن هناك من يدعو عند سماعه أصوات المؤذنين عند الفجرمتمنياً «أن يزيح الرب كليةً ذلك الجو الدينى الخانق الطغيان»، و «أن قوات المبشرين قد دخلت أرض المعركة العراقية التى لاتزال مشتعلة مزمعين إعادة تشكيل مستقبل شعبه، اعتماداً على وجود الجيش الأمريكى» ـ أى أن التبشير يتم تحت حماية السلاح

الأمريكى.. و «أن عدد المبشرين قد تضاعف فى البلدان الإسلامية فيما بين ١٩٨٢ و ٢٠٠١، (أى فى ذلك العقد الذى كان مخصصاً لاقتلاع الإسلام وفقاً لفاتيكان ٢)، من أكثر من خمسة عشر ألفا إلى سبعة وعشرين ألفا، نصفهم تقريباً من الأمريكان، وثلثهم تقريباً من الإنجيليين، وما يقوله جورج براسويل الابن، وهو أحد أساتذة التبشير بالمعهد اللاهوتى لمعمدانيى الجنوب الشرقى بأمريكا: «لدينا الآن جماعات أكثر من أى وقت مضى يذهبون إلى أناس كالمسلمين».. وهنا يعلق دافيد ڤان بييما كاتب المقال قائلاً ما له مغزاه: «من الواضح أن ١١ سبتمبر لم يكن إلا سبباً لإشعال ذلك الحماس التبشيرى»؟!

والغريب أن الإعلام فى كل مكان يكتفى بوجهة النظر أو بالكذبة الأمريكية ولا ينظر إلى الحقائق الدامغة التى يتم التعتيم عليها، وأقلها ذلك «الانهيار تحت السيطرة» الذى أطاح بالأبنية الثلاثة وسقطت مكانها.. و «أن هؤلاء المبشرين قد وظفوا ملايين الدولارات لاستغلالها فى مشاريع «خيرية» تعاونهم فى مخططاتهم التبشيرية». الأمر الذى يكشف عن مدى الكذب والتحايل فى شخصيات ونوايا هؤلاء المتعصبين.. ويضيف مقال التايم الواردة صورة غلافة بملزمة الصور بآخر الكتاب، «إنهم يستخدمون مسميات وظيفية مدنية كنوع من التخفى لأن عشرات البلدان الإسلامية ترفض منح تأشيرات الدخول باسم «عمال دينيين»، و «أن هناك من المبشرين من يقومون بالتمويه على هويتهم باتخاذ مذهب المتصوفة شكلاً للتقرب إلى المسلمين لتنصيرهم».. ويصف كاتب المقال هذا الوضع بأنه «وضع يدمج الوقاحة الدينية بالوقاحة السياسية»..

ويا له من موقف جد حقير.. حقير فى المجالين: فى المجال السياسى وفى المجال التبشيرى.. فالغرب المسيحى الذى يبيح بكل صلف وتعالٍ للمواطن لديه أن يفعل ما يحلو له من الانحلال والانحراف والفسوق والفجر والرذائل على أنها من قبيل الحرية الشخصية، والذى يهيج ويتغطرس ويثور

لأى كذبة، ويعتبر الكذب كبرى الكبائر، وانهياراً فى القيم الإنسانية ما بعده انهيار.. فالكذب فى نظر الحضارة الأمريكية والغربية يمثل ما لا يمكن أن يغتفر.. ها هم قادته فى كلا المجالين، السياسى والتبشيرى، والذين يزعمون قيادة العالم، يوصمون بالأكاذيب رسمياً..

ولن نسأل عما سيكون مصيرهم أمام شعوبهم.. لكننا نسأل أصحاب القرار أينما كانوا فى العالم الإسلامى والعربى، والذين ينساق بعضهم مهرولا فى الانصياع لذلك الغرب المتعصب، وفى التعاون معه على تنفيذ حربه الصليبية وعلى تنفيذ مآربه السياسية الظالمة، وفى التعتيم على ما يدور فى العالم الإسلامى من تبشير، وفى إقامة المؤتمرات لإضفاء الشرعيات.. هل مثل هذه الحفنة من الكذابين، الذين يلجأون إلى الكذب بكل قحة وإصرار، هل يستحقون منا أن نقبل الاقتلاع من ديننا ومن هويتنا من أجل أكاذيبهم؟!

حسبنا الله ونعم الوكيل..



خاتمـــة

رأينا مما تقدم أن عبارة «حرب صليبية» جزء لا يتجزأ من التاريخ الكنسى المعاش، وأنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بفكرها، وتمثل أحد الموضوعات الرئيسية فى السياسة البابوية، حتى قبل أن يعلنها البابا أوربان الثانى عام ١٠٩٥ بكثير، وأنه قد تم إعلانها باسم الرب يسوع المسيح، وأن البابا أوربان الثانى قد طالب المشاركين فيها أن يحيكو صليباً ضخماً من النسيج على صدر ثيابهم.. وهو ما نراه فى كافة اللوحات الفنية والوثائقية التى تتناول تاريخ وأحداث الحروب الصليبية، فهى تمثل جزءا من التراث التسجيلى الغربى، بما أن اللوحات الفنية - إضافة إلى الوثائق المكتوبة، كانت وسيلة أساسية من وسائل التسجيل قبل اكتشاف آلة التصوير والإعلان عنها فى الثلث الأول من القرن التاسع عشر.. أى أن محاولة طمس معالم هذه المعلومة وهذه الحقائق عن ارتباط الحروب الصليبية بالكنيسة ومحاولة الزج بعبارة «حرب الفرنجة» بدلاً عنها يعد تزييفا وتحريفا للتاريخ.

كما طالعنا التفاصيل المتعلقة بالمجمع الفاتيكانى الثانى الذى يعد بمثابة الخطة التنفيذية للحرب الصليبية الدائرة حالياً، أو لتلك الحرب العالمية الرابعة كما يطلق عليها البعض، والتى تتضافر فيها جهود التعصب الكنسى التليد، والتعصب الأمريكى بقحته المتعجرفة، وتعصب الغرب المسيحى بدرجات متفاوتة العلانية.. وكيف أن التحرك الحربى يواكبه تحرك كنسى

قائم على فرق المبشرين ووسائل الإعلام وبدعة الحوار.. وإن ذلك الحوار المسيحى الإسلامى المزعوم لا يهدف إلا إلى اجتثاث الإسلام بالتدريج، تفادياً لأية مصادمات، «حماية للأقليات المسيحية التى تعيش وسط أغلبية مسلمة» على حد قول البابا يوحنا بولس الثانى، وكيف أن الكذب يلعب دوراً أساسيّاً فى هذه اللعبة..

وتابعنا كيف أن هذه الحرب الصليبية أو الحرب العالمية الرابعة، ترمى إلى اقتلاع الإسلام وإلى إعادة احتلال أراضيه بالاستعمار وبالسيطرة على ثراوتها الطبيعية والبشرية. وهو ما نطالعه فى بحث جورجيو بومباسى المعنون: «إمبراطورية الغرب تعيد تشكيل الشرق الأوسط»، المنشور فى أواخر عام ٢٠٠٢، إذ يوضح هذا المخطط قائلاً إنه «يرمى إلى السيطرة والتحكم فيها، وفرض نفس النظام «الديمقراطى» عليها على بلدان المنطقة وذلك عن طريق تجزئتها حتى تسهل السيطرة عليها وإجبار كل هذه البلدان والتقسيمات الجديدة لها على تكوين منظمة تعاونيات تحت إدارة وسيطرة إسرائيل الكبرى والسيطرة على سوق البترول ومنابعه ومصادر المياه والمخدرات، ووضع فرق عسكرية تابعة للإمبراطورية الأمريكية فى كل هذه البلدان فى الشرق الأوسط الجديد لمواجهة حرب عظمى فى جنوب شرق آسيا بعد ذلك»!! إضافة إلى استعادة مكانة الدولار حيث إن صدام حسين كان أول من حوّل رصيد الدولة إلى اليورو، وقد تبعته عدة دول أخرى.

واللافت للنظر هنا هو عبارة «المخدرات» والسيطرة عليها! إلا أن جلسة ١٧/ ٦/ ٢٠٠٣ فى مجلس الأمن توضح من المداخلات التى دارت أن زراعة نبات الخشخاش كانت قد كادت أن تختفى حوالى سنة ٢٠٠٠ من أفغانستان، وبعد الغزو الأمريكى لها أصبح إنتاجها يمثل ثلاثة أرباع الإنتاج العالمى، إذ وصل إلى ثلاثة آلاف وخمسمائة طن سنويّاً. وهذا الارتفاع الخطير لإنتاج الأفيون فى أفغانستان بعد احتلالها يؤكد أن الأمل فى إعادة بناء هذه الدولة

جد ضعيف. وقد أوضح خالد مسعود، ممثل باكستان، أن أثر هذا الإنتاج الضخم قد انعكس على البلدان المجاورة. فبينما كان المدمنون قلة فى باكستان أصبح عددهم اليوم أكثر من ثلاثة ملايين.

وإذا ما ربطنا بين معلومة «المخدرات» التى أشار إليها البحث : بين ما أشار إليه فى نهاية هذه الجزئية من استعداد أمريكا لمواجهة حرب عظمى فى جنوب شرق آسيا بعد أن يستتب لها الأمر فى إعادة تشكيل الشرق الأوسط لوجب علينا أن نتساءل إن لم نكن مقبلين على «حرب أفيون» جديدة تفرضها دول ذلك التحالف الشيطانى على البلدان المسلمة، مثلما سبق وفعلوا ذلك فى حربهم مع الصين، وخاصة ضد أندونسيا التى تمثل أكبر دولة مسلمة من حيث التعداد؟!

كما عاصرنا كيف بدأت هذه الحرب الحالية بمحاصرة الإسلام فى البوسنة ثم فى أفغانستان ثم فى تيمور الشرقية ثم فى العراق، والمخطط يستهدف باقى الدول الإسلامية لا فى الشرق الأوسط وحده ولكن فى العالم أجمع.. ورأينا كيف تم استخدام عتاد حربى أكبر وأقوى مما تم الإفصاح عنه، وكيف تم التعتيم على حقيقة عدد الضحايا والخراب الذى فرض قهرا وتواطؤا على بلد تم استنزافه لمدة أحد عشر عاماً قبلها، وكيف تم تحريف الحقائق وتزييف التواريخ لتبرير الحرب مع استخدام ترسانة إعلامية رهيبة للتمويه على الرأى العام لصالح الغزاة.. وكيف اتضح أن إسقاط نظام صدام حسين والاستيلاء على أسلحة الدمار الشامل والأسلحة البيولوجية لم تكن إلا ذريعة رخيصة فأقل معلومة بدائية عن هذه الأسلحة تقول - وفقاً للخبراء ولرئيس لجنة التفتيش - أن عمرها الافتراضى خمس سنوات، أى أنها بحكم المدة والواقع: لا وجود لها، إضافة إلى استنفادها بلجان التفتيش بعد «عاصفة الصحراء» التى قام خلالها الأمريكان بدك العراق «لإعادته إلى العصور الحجرية» كما أعلنوها آنذاك.

كما شاهدنا كيف تم استخدام الأكاذيب والمبررات غير الحقيقية لسحب القوات الأمريكية من قواعدها من المنطقة العربية لتهدأة غضب الثائرين هناك، وتم ذلك بعد استتبابها فى مناطق أخرى أكثر قربا وأكثر فائدة لتنفيذ مآربها، وكيف تمت عمليات نهب التراث العراقى وتدميره - الأمر الذى يؤكد أن الإعداد لتلك الهجمة الشرسة ولهذه السرقات قد تم قبل الإعلان عنها بكثير، وأنه كانت هناك دراسات تمهيدية للمسئولين الأمريكان عن المتاحف والمكتبات العراقية، وأن إنشاء «المجلس الأمريكى للسياسة الثقافية» واتصالاته بالمسئولين لتغيير القوانين فى العراق بغية تسهيل عملية تهريب الآثار عبارة عن جزء من لعبة ترمى إلى الإجهاض الحضارى للعراق وإلى الإثراء غير المشروع لبلد بلا حضارة أو جذور، ترجع جيناته إلى خريجى سجون وحانات ومباغى أوروبا - كما تصفهم كل كتب التاريخ الغربى..

وإذا ما استرجعنا الجانب الدينى لرأينا ذلك الإصرار الرهيب على تنصير العالم، والمحاولات المستميتة لضم بلدان أوروبا الشرقية إلى السوق الأوروبية المشتركة لكى لا «تنجرف» وتعتنق الإسلام - على حد قول البابا، وهى نفس المحاولة التى يتوجهون بها إلى بلاد البلقان وبلدان حوض البحر الأبيض المتوسط، مثلما أوضحه وولفجانج شوسل، رئيس وزراء النمسا، فى مداخلته التى ألقاها فى المؤتمر التمهيدى الذى انعقد فى فيينا من ٢٣ مايو إلى أول يونيو ٢٠٠٣، حتى وإن كانت تخالف عبارة فرانسيس فوكوياما حين قال: «إن الإسلام لم يعد يمثل بديلا له مصداقيته لأنه لا يخاطب غير المسلمين، كما أنه لم يعد يفى بتطلعات المسلمين التابعين له»! فإن كانت مثل هذه المقولة صحيحة لما خصصوا كل تلك الترسانات الحربية والتنصيرية والإعلامية لاقتلاعه.. فالتعبير عن رفض الإسلام والهلع من وجوده فى أوربا أو فى ذلك النصف الشمالى المتعصب تكاد لا تخلو منه صحيفة أو خبر.. ألم يعلن جون ميجور أيام حرب البوسنة أنه لن يُسمح بوجود كيان إسلامى فى

أوربا، وقال كلود شوسون لعلى عزت بيجوفيتش: «أنت رجل أصولى، ولن نسمح بوجود دولة أصولية فى أوروبا»؟.

وإذا ما أضفنا إلى ذلك الضغط الذى يمارس من القوى السياسية الخارجية ومن كافة أصحاب القرار وكل ما يدور من محاولات لتهميش مادة الدين فى بعض البلدان الإسلامية وفى بعض المعاهد والكليات الدينية، بل وتزايد الضغوط الأمريكية بقحة منفردة لإلغاء مادة الدين من المناهج التعليمية فى المدارس، فى الوقت الذى أعادها البابا يوحنا بولس الثانى إلى مدارس بلدان الكتلة الشرقية بعد أن كان من المعاول الأساسية فى اقتلاع اليسار منها.. ونطالع فى جريدة الموند الفرنسية الصادرة فى ٢٤/ ٦/ ٢٠٠٣ أن الكنيسة الكاثوليكية قد ضاعفت الجهود لفرض تعليم الدين الكاثوليكى فى كافة المدارس الإسبانية ومراحلها حتى المرحلة الثانوية أو الباكالوريا كما يطلقون عليها. وتم اعتبارها مادة نجاح ورسوب. وذلك بعد إلغائها عند وفاة فرانكو. فكيف يقتلعون الدين عندنا ويفرضونه عندهم؟! وخاصة ما يتم فرضه من خلال اتفاقيات الحوار الملتوية لتغيير النصوص الإسلامية «وفقاً لعقيدة الآخر»، وبالذات إذا ما أضفنا البرنامج الذى فرضته السياسة الأمريكية فيما يتعلق برجال الدين الاسلامى، والدعاة بصفة خاصة، وما أصدرته من تعليمات بعدم المساس بالسياسة الأمريكية وعدم المطالبة بمقاطعة بضائعها، أو عدم التحدث إلا عن الجهاد النفسى فقط وإسقاط الجهاد الاستشهادى، وما يتم من تغيير فى لغة الخطابة وابتعادها عن القضايا والأحداث المصيرية، والإصرار على «تجديد الخطاب الدينى» بمعنى جعله يتمشى ويتفق مع مطالب السياسة الأمريكية الرامية إلى اقتلاع الهوية الإسلامية من جذورها بلا أية مصادمات - حرصاً على الأقليات المسيحية، كما يقول البابا، وإقامة ورش عمل بين الأئمة والقساوسة بهدف كسر «الحاجز الدينى» وتغيير المفاهيم الإسلامية عن الآخر، الذى يعنى هنا: قبول

التى طرأت على المجتمع فى السنوات الأخيرة. والتجارب التى تمت فى الآونة الأخيرة توضح أن زماننا هذا متعطش إلى تبشير جديد. فنظرا للحاجة الماسة التى نعيشها رأينا أن نقوم فى عواصم بلداننا الكبرى بتوضيح تبادل التجارب والآراء، للإعلان عن الإنجيل فى كل لقاء من هذه اللقاءات. وكل لقاء سوف يكون له طابعه وموضوعه»..

فالمؤتمر المقام فى فيينا كان موضوعه الرئيسى: «افتحوا الأبواب للمسيح». والمؤتمر القادم سوف ينعقد فى باريس عام ٢٠٠٤ ثم فى لشبونة عام ٢٠٠٥ ثم فى بروكسل عام ٢٠٠٦. ومن أهم الموضوعات التى تتم مناقشتها «التبشير فى المدن الكبرى، السياسة والمجتمع، الشباب، الفن والثقافة» وذلك بغية التعريف بالكاثوليكية الرومية أو الفاتيكانية.

وفى الخامس من يونيو ٢٠٠٣، اجتمع المسؤلون عن الكنائس الفرنسية لمناقشة ما بعد حرب العراق، وقال جان أرنولد دى كليرمون، رئيس الاتحاد البروتستانتى فى فرنسا، إنه قد أمكن إعداد هذا اللقاء بفضل التقارير التى تم جمعها من مختلف اللجان التابعة للكنائس الأرثوذكسية والرومية الكاثوليكية والمعمدانية والانجليكانية واللوثرية وغيرها وهى فى مجملها عشرون لجنة تمثل عشرين كنيسة مختلفة لكنها تتعاون جميعها فى حملة التبشير والتنصير.. وقد قال بيتر ويدرود مدير المجلس المسكونى للكنائس: «إن هذا اللقاء سيسمح لنا بمواصلة بحث كيفية ما يمكننا تقديمه ككنائس لتقوية دور الأمم المتحدة، واحترام القانون الدولى، وكيفية نشر القيم والأفكار والمبادئ التى تمثل القاعدة الأساسية للتعددية».. والتعددية أصبحت تعنى قبول المبشرين حتى يتم التنصير..

أما فى نشرة الكنيسة الإنجيلية الميتودية الصادرة فى التاسع من يونيو ٢٠٠٣، والخاصة بالاجتماع الذى انعقد فى العراق بين القادة الدينيين فى لبنان والعراق والمجلس القومى للكنائس الأمريكية، قال القس أنطونيولى

كيريوبولس، رئيس الشؤون الدولية فى المجلس القومى: «**إن سكان منطقة الشرق الأوسط سواء المسيحيين أو المسلمين يرون أن جهود التبشير التى يقوم بها المسيحيون الأمريكان فى المنطقة بأسرها أكثر زعزعة للاستقرار من الحرب نفسها. إذ أن ذلك سيؤدى حتماً إلى صراع بين الحضارات وإلى حرب صليبية أو إلى أى شىء من هذا القبيل**»..

ويا له من تعصب فاقد البصر والبصيرة!. فلو كان كل ما قامت به الأيادى العابثة فى الكنيسة صحيحاً أو حقّاً، كيف يمكن تفسير ما نجم عنها من مجتمع وحضارة وثقافة أبعد ما تكون عن قيم وتعاليم المحبة الباقية من كلمات يسوع؟! وهنا يقول جاك إيلول فى كتابه عن «تخريب المسيحية» (الصادر عام ٢٠٠١):

«إن الهجوم اللاذع الذى قام به كل من فولتير وهولباخ وفيورباخ وماركس وباكونين وشاربونو ضد الكنيسة كان هجوماً محقّاً للغاية... إن الهجوم الذى يقوم به المعارضون للمسيحية هجوم مشروع تماماً ويجب أن ننصت له كشهادة ضد الفرق الشاسع بين التعاليم والممارسة الفعلية للمسيحية... ولابد لنا من الاعتراف بأن هناك مسافة لا يمكن قياسها بين ما نطالعه من تسامح فى الإنجيل وبين الممارسة التى تقوم بها الكنيسة والمسيحيين، لدرجة أنه يمكن الإشارة إلى التحريف والتخريب»! ثم يضيف قائلاً: «إن الفكر اليهودى المسيحى هو السبب وهو أصل الشر الموجود فى العصر الحديث وفى استبداد الدولة وفى الانحراف الرأسمالى والكذب واللؤم بصفة عامة، وفى عقدة أوديب والخطيئة، وتهميش المرأة، واستعباد العالم الثالث، وتشويه الطبيعة والبيئة. إن كنيسة العصور الوسطى هى محاكم التفتيش، والعبودية، والحروب الصليبية، واستبداد رجال الدين، والبناء القهرى للكاتدرائيات على حساب شعب مستعبد ومرعوب قهراً. ثم تأتى بعد ذلك قضية جاليليو والتصدى للعلم، وسيطرة الرأسمالية وغزو

العالم بأسره ومحاولة تنميطه، وهدم الثقافات الأصلية والمحلية، وسحق الشعوب تحت وطأة العقيدة والأخلاق المسيحية... بل لن نكف عن تكرار أن الممارسة المسيحية كانت دائماً تحريفاً لحقيقة يسوع»!

وينهى جاك إيلول، أستاذ القانون وعضو المجلس القومى للكنائس البروتستانتية فى فرنسا ذلك الفصل الخاص بالتناقضات متسائلاً: «**عندما قام المسيحيون بصنع المسيحية، فعلوا ذلك بمنتهى الوعى والإدراك، واختاروا طواعية ذلك الطريق، وابتعدوا بإرادتهم عن التعاليم المنزّلة من ربهم واختاروا عبوديات جديدة... لذلك يطرح هذا السؤال الإنسانى نفسه: لماذا قام المسيحيون بعمل عكس التعاليم؟! وما هى القوى أو الآليات والمجازفات والاستراتيجيات والبنيات التى أدت بهم إلى كل ذلك التخريب؟!.. لماذا قامت الكنيسة بتحريف الكلمة أو الرسالة التى أسندت إليها؟**»..

وللرد على مثل هذا السؤال المركب أو المتعدد التساؤلات، والذى يلخص فى نفس الوقت مجمل ما قام به كيان المؤسسة الكنسية عبر التاريخ، لابد لنا من العودة إلى أصل الحكاية وإلى حقيقة ما حدث.. ونبدأ بفكرة التوحيد بالله التى هى أساس الرسالات الثلاث التى بُلّغت من خلالها، باختصار شديد وبوضوح حتى يمكن للقارئ أن يعى ما حدث وما سبب كل ذلك العداء من الجانب الكنسى، وخاصة أن يفهم أولئك الأتباع الذين قال عنهم موريس بوكاى فى كتابه عن «التوراة والإنجيل والقرآن والعلم»: «إن كثيرا منهم لا يعرفون أن المسيحية التى يتبعونها قد تم تحريفها عبر المجامع على مر التاريخ، وكثير منهم لا يعرفون أن الأسماء التى تعرف بها الأناجيل ليست هى التى كتبتها»!!

تقوم فكرة رسالة التوحيد بالله على أن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شىء، هو فى جانب وكافة المخلوقات والعوالم فى جانب آخر، وإن كل شىء خاضع له ولأمره. وقد خلق الإنسان لعمارة الأرض وليس لتدميرها أو

للاستحواذ عليها. وقد بُلّغت رسالة التوحيد إلى موسى عليه السلام فى الوصايا العشر. ثم حاد اليهود عنها وعادوا لعبادة العجل وقتل الأنبياء.. ثم أتى عيسى عليه السلام، الذى لم يأت - كما يقول «إلا من أجل خراف بيت إسرائيل الضالة» (متى ١٥ : ٢٤)، أى أن رسالته محدودة منحصرة فى نطاق تلك «الخراف الضالة» وليس لتنصير العالم وفقاً لمزاعم التعصب الكنسى. فقد رأينا كيف ومتى تم تكوين بدعة الثالوث وبدعة الشرك بالله فى مطلع القرن الرابع، وأن وجود عبارة «اذهبوا وكرزوا كل الأمم باسم الأب والابن والروح القدس» التى ينتهى بها إنجيل متى قد وضعتها تلك الأيادى العابثة وتمت بفعل فاعل يقينا.

فبعد رفع السيد المسيح كما يقول القرآن، أو بعد صلبه كما يقولون، أشركوا بالله عز وجل وتم تأليه السيد المسيح فى مجمع نيقية الأول عام ٣٢٥ م. ثم تم تأليه الروح القدس عام ٣٨١ فى مجمع القسطنطينية، وتمت بدعة الثالوث بالمساواة بين الله وعيسى ابن مريم والروح القدس، كما رأينا بالتفصيل سالفاً.

وبعد هذا الشرك الصارخ بالله والمخالف لرسالة التوحيد شكلاً وموضوعاً، والذى أدى إلى انشقاق الكنيسة وإلى خلافات عقائدية لا يمكن تخطيها بأى قلفطة، إلا بالتنازل عنها أو إنكارها والاعتراف بخطئها للانشقاق الآخر بُلّغت الرسالة لثالث وآخر مرة. فأتى سيدنا محمد ﷺ مصوباً وخاتماً لرسالة التوحيد وللنبيين. فبدأت الكنيسة تتصدى له على أنه يمثل «هرطقة» من الهرطقات التى اعترضت على تأليه السيد المسيح مثل أولئك الذين اعترضوا، وما أكثرهم (راجع كتاب فيليب سيناك: «صورة الآخر»).

فبدأت الحروب الصليبية بصور شتى يذخر بها التاريخ والمراجع، منذ بداية انتشار الإسلام حتى يومنا هذا، لأن الإسلام يمثل فى حقيقة الأمر الدليل الإلهى والثابت تاريخيّاً ضد أكبر جريمة غش واحتيال تمت فى

التـاريـخ، وإدانتـه لكل أو لمخـتلف أنواع التـحـريف التى قـام بهـا العـابثـون بالرسالة.. فما أكثر الآيات التى تدين أفعالهم، ومنها:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ الآية (٧٣/ المائدة)، و ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ الآية (١٧/ المائدة)، و ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ الآية (١٣/ المائدة)، و﴿يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ الآية (٧٥ البقرة).. ولا نقـول شيئـاً عن العـديد من الايات التى تتنبـأ وتحـذّر مما يدور الآن، وذلك من قبيل: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ الآية (٨٢/ المائدة)، أو ﴿وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ الآية (٢١٧/ البقرة).

والمعـروف علمـيّاً أن أول مـا يهـتم به صـاحب أى جـريمـة هو إخفـاء أو طمس مـعـالم الأدلة التى تكشف عنهـا أو تؤدى إلى إدانتـه.. فـما بالنا بأكبـر جريمة وأكبـر كذبة تمت فـى التاريخ؟! والإسـلام هنا هو الدليل الحى، الدائم، الشـاهـد علـى هذه الجـريمـة وعلى أنه لا إله إلا الله. أن هذه الحـقـيـقـة بكل بسـاطتـهـا وبكل مـرارتهـا هـى السـبب الدفـين لذلك العـداء المسـتـحكم ضـد الإسـلام والمسلمين، وسبب ذلك الغل الراسخ الذى لم يترك مجالاً إلا واستغله لتشويه صـورة الإسـلام والمسلمين، وسبب تلك الكراهية الدامغة لتلك الحروب الصليبية وخاصة هذه الحرب الضروس التى حددوا لها هذا العقد الأول من الألفيـة الثالثة لاقتـلاع الإسـلام والمسلمين، ولاقتـلاع بقية «الهرطقـات» الأخرى المخـالفـة لكاثوليكية رومـا من أورثوذكسـيـة وبروتسـتـانتـيـة وميـتودية وإنجيلية والعديد غيرهـا.. أى كل ما نجم من انقسـامـات نتيجة لعمليات التحـريف التى لا حصـر لهـا..

ولم يعد يخفى على أحد الآن ذلك التيار الجارف الذى يتهدد التعصب

الكنسى وذلك الكم من الكتابات والمراجع التى تدين الفضائح التى تكشفت لهم بصورة قاطعة.. وما أكثر الذين أصبحوا يكتبون عن «أسطورة يسوع» أو «يسوع الآخر» أو «حقيقة الأناجيل» إلخ.. وأغلبهم من الكنسيين برتب متفاوتة.. بل لقد قام الإيطالى لويجى كاتشيولى بالإعداد لرفع قضية على الكنيسة مستنداً إلى البند رقم ٦٦١ من قانون العقوبات الإيطالى «للإفراط فى سوء استخدام سذاجة الشعب»، وإلى البند رقم ٤٩٤ من نفس قانون العقوبات لاستبدال شخصية بشخصية أخرى» والمقصود بها أن الشخصية التى نسجتها الكنيسة ليست هى شخصية يسوع الحقيقى.

ولم نحاول شرح هذه الحقائق إلا أملاً فى وقف تيار التعصب الكنسى السياسى الذى سبق له وأطاح بالملايين من الأبرياء منذ محاولة استيلائه على السلطة فى مطلع الألفية الأولى وحتى يومنا هذا. فمن أشهر هذه الملايين على سبيل المثال لا الحصر: أكثر من مليونين راحوا ضحية الحروب الدينية الصليبية ضد المسيحيين، وأكثر من مليونين من المسلمين فى معارك الحروب الصليبية المعروفة، وقرابة نصف مليون أعدمتهم أو أحرقتهم محاكم التفتيش، وإبادة أكثر من عشرين مليونا من سكان الأمريكتين الأصليين واستراليا، وأربعمائة ألف يابانى عند غزو اليابان لتنصيرها.. إلخ.

وإذا ما أضفنا إلى هذه الملايين من البشر الذين راحوا ضحية ذلك التعصب الفاقد للبصر والبصيرة، وكل ما تم من تحريف وأكاذيب فُرضت قهراً، وقد أوردنا جزءاً منها على سبيل المثال لا الحصر، وكلها مستقاة من المراجع الغربية، إضافة إلى تلك الترسانة الحالية المشاركة فى عملية التبشير والتنصير لأدركنا أننا حيال حرب صليبية بكل المقاييس.. حرب لم يعرف لها التاريخ مثالاً من قبل من حيث اتساعها وتعدد جوانبها..

إن انكشاف حقائق عصور الظلمات والتعتيم ومحاربة العلم والعلماء، بمختلف آليات القهر والتعذيب، بغية الاستحواذ على السلطة والسيطرة على

العقول والثروات، قد أدى إلى الإلحاد، والعلمانية، والانفلات الخلقى القائم على المتعة والفساد والإفساد، وإلى ما يطلقون عليه فى فرنسا «النزيف الصامت للكنيسة» إذ أن الأمناء من رجالها أصبحوا يتسللون بعيداً عنها فى صمت..

فبدلاً من الاستمرار فى ذلك التشبث الرهيب بكل ما تم من تحريف وفريات، وبدلاً من محاولة فرضها بكل تلك الآليات التى طالعناها واعتماداً على الخيانات والتواطؤ والكذب والتسلل البطئ، لقد آن لهذا التعصب الأكمه التليد أن يكفّ عن حروبه، وخاصة عن هذه الحرب الصليبية الجديدة، وليتقى الله فى أتباعه أينما كانوا، وليتقى الله فى جميع خلقه وعباده من كافة الديانات والعبادات.. فالإسلام لا يفرض نفسه على أحد لأن القرآن الكريم ينص بوضوح شديد: لا إكراه فى الدين.. فليؤمن من شاء وليكفر من شاء.

ولا يسعنا إلا أن نختتم بالآيات الكريمة: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٤٧/ المائدة)، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٤٤/ المائدة)، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٤٥/ المائدة).

فإلى أولئك الكافرين بنعمة ربهم، إلى أولئك الفاسقين الظالمين فى كل مكان نقدم هذه الصفحات علّهم يرجعون عمّا هم منساقون فيه، ويرجعون عن تلك الحرب الصليبية التى حددوا لها العقد الحالى لتنصير العالم! فالحرب صليبية بكل المقاييس، والأساليب التى يعتمدون على فرضها قائمة على التحايل، والغش، والأكاذيب، والتواطؤ... والتنازلات التى تتم بناء عليها أكثر فداحة، لأنها تنازلات مفروضة بالغش وبالسلاح - وإن كان ذلك لا يعفى الراضخين من ذنبهم أمام الله، وأمام شعوبهم، وأمام التاريخ..

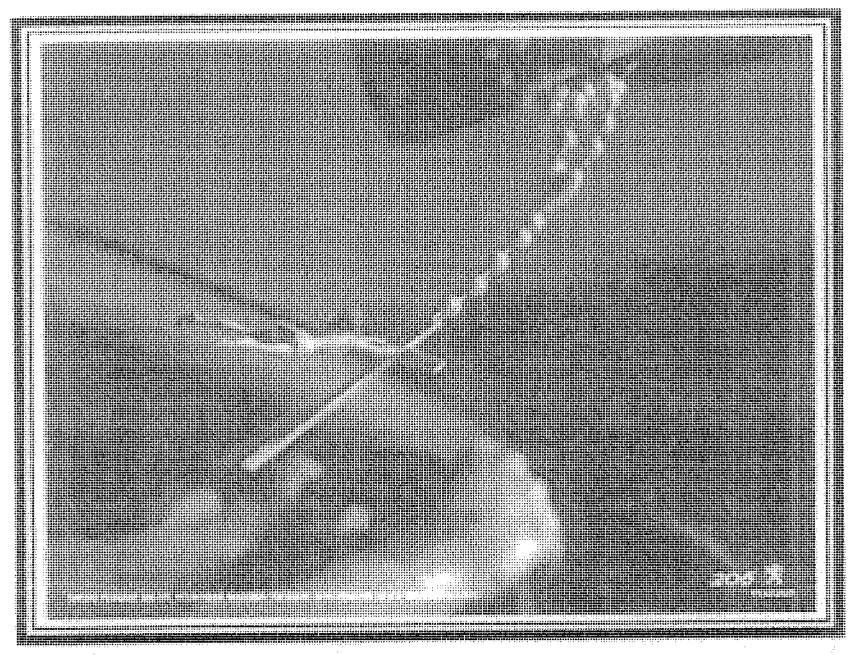


إلى اللذين ينكرون وجود
الحروب الصليبية، وينكرون
إرتباطها بالكنيسة وبالصليب..

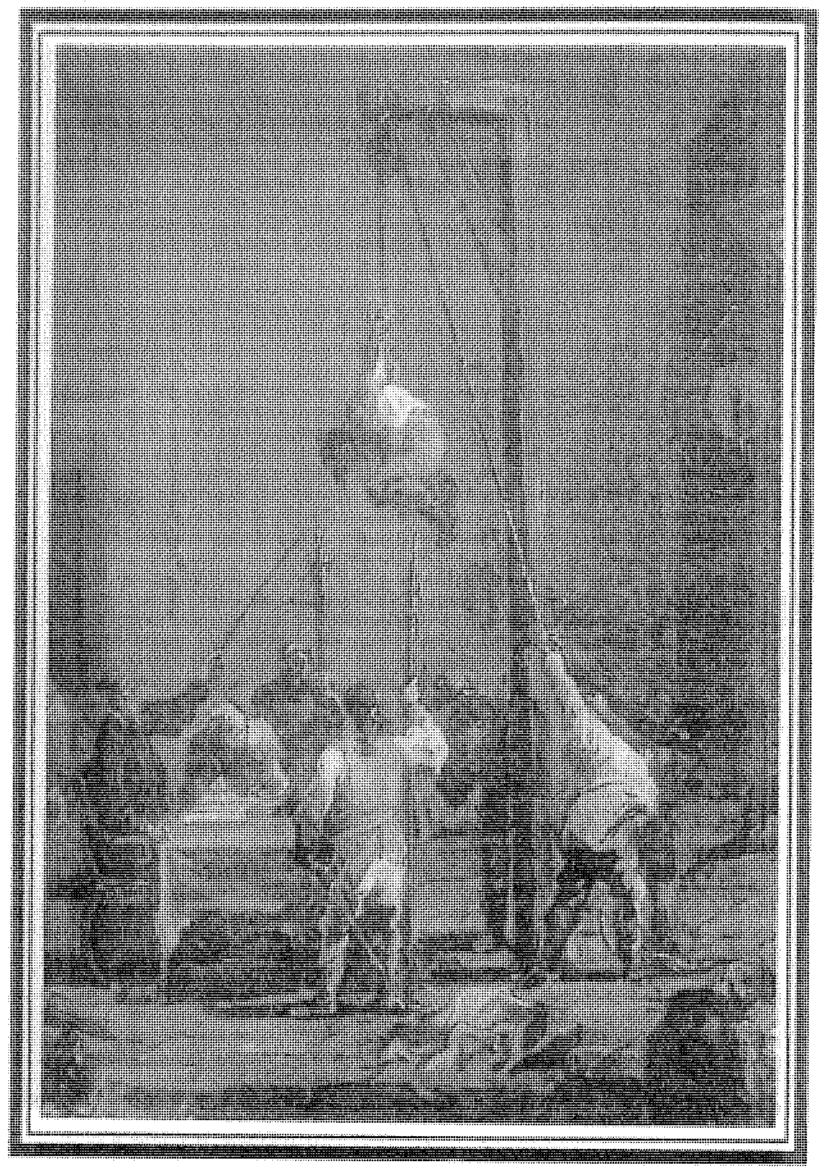


غلاف مجلة تايم الأمريكية «يونيو ٢٠٠٢»
والسؤال الرئيسى يقول: هل على المسيحيين تنصير المسلمين؟
بينما التساؤل الثانى يقول: أسراب من المبشرين قد إنطلقت فى حملة جديدة لتوصيل الإنجيل إلى بلدان إسلامية ترى هل سيحصلون على رد فعل معاد أكثر مما ينشروا العقيدة؟!

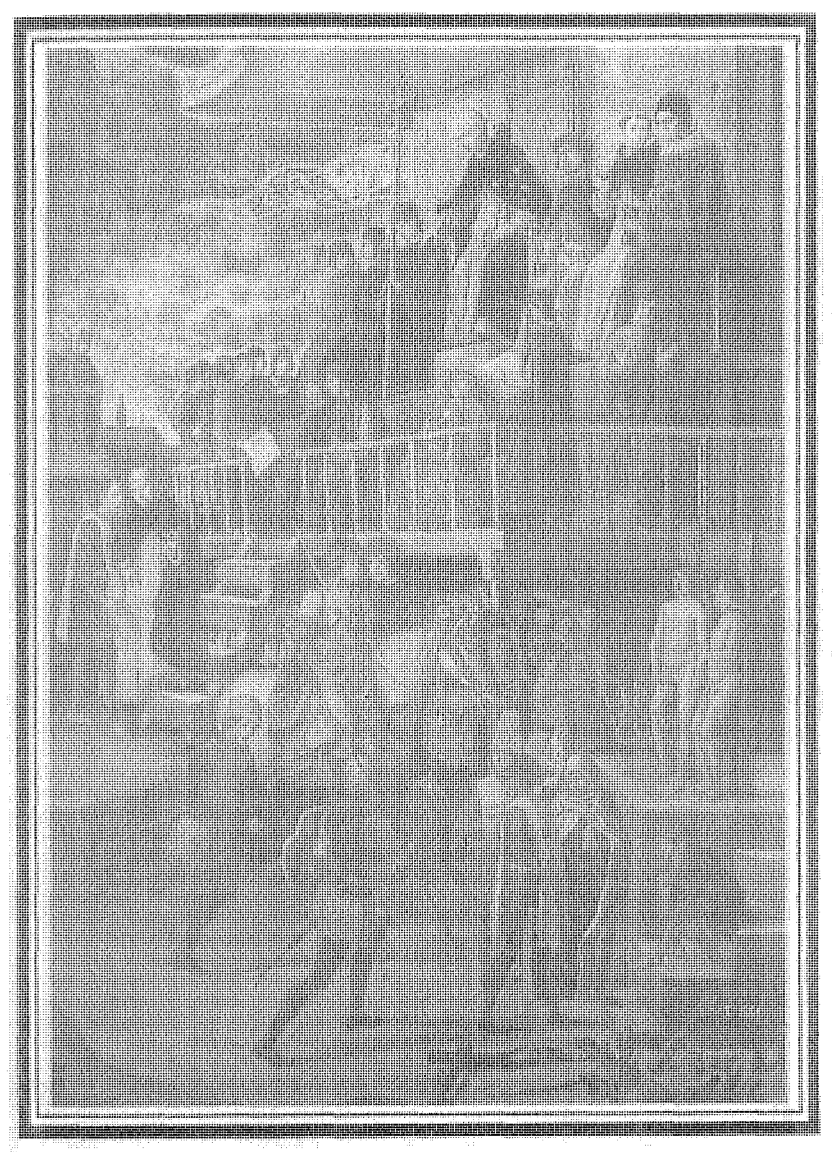




إعلان عن سرعة السيارة بيجو ٢٠٦ ظهر فى إحدى المجلات البولندية.. وكأن السرعة قد أدت إلى اقتلاع الرب يسوع المسيح الذى يحاول التمسك بصليبه! وياله من استخفاف...



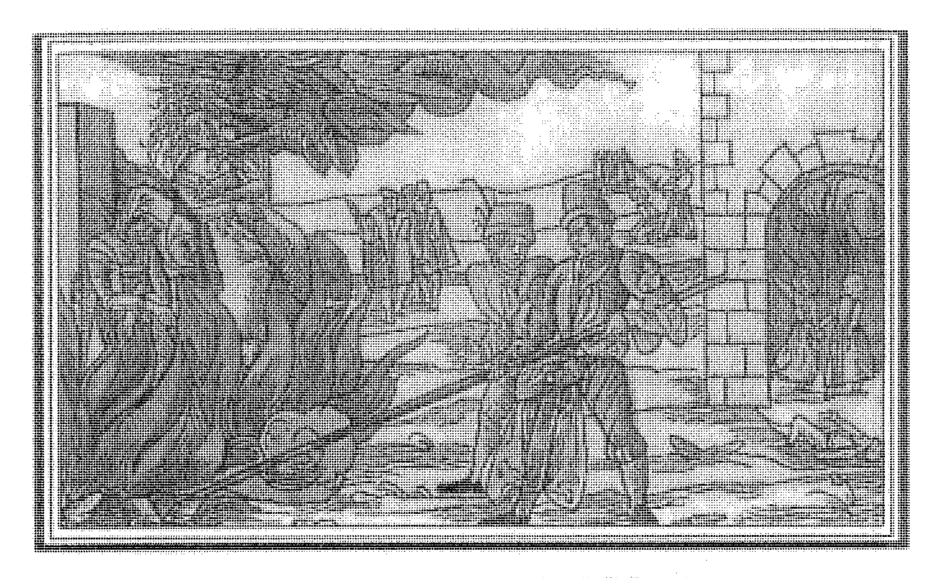
«التعذيب بالحبل» تفصيل من لوحة «المحكمة» للفنان الإيطالى الساندرو مانيا سكو توضح كيف كان رجال محاكم التفتيش يعلقون الذين يعذبونهم ويحققون معهم بعد أن اباح البابا التعذيب للحصول على الاعترافات...



لوحة لإحدى محاكم التفتيش ويرى فى القسم العلوى الاساقفه المحققون وفى الجزء السفلى اثنان من الضحايا وحولهم الجنود بالرماح لوخزهم للحصول على الاعترافات



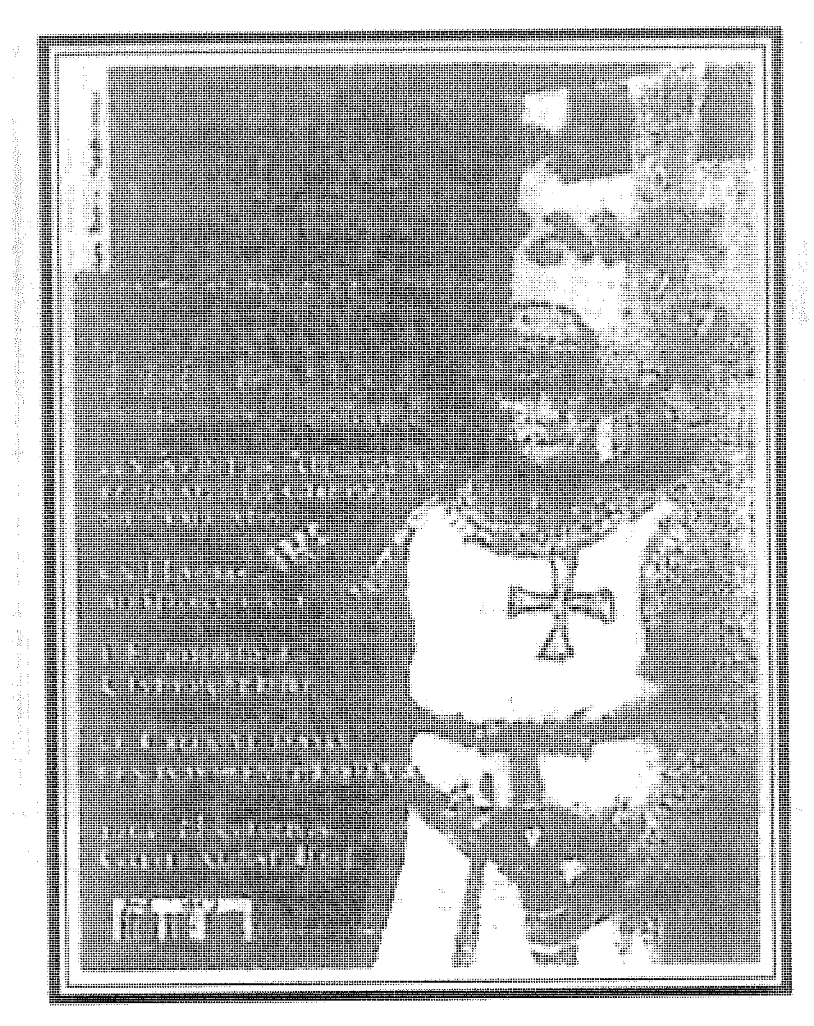
لوحة لإحدى لجان محاكم التفتيش اثناء حرقها لكتب العلماء



رسم لمحرقة يتم فيها حرق ثلاث سيدات أحياء



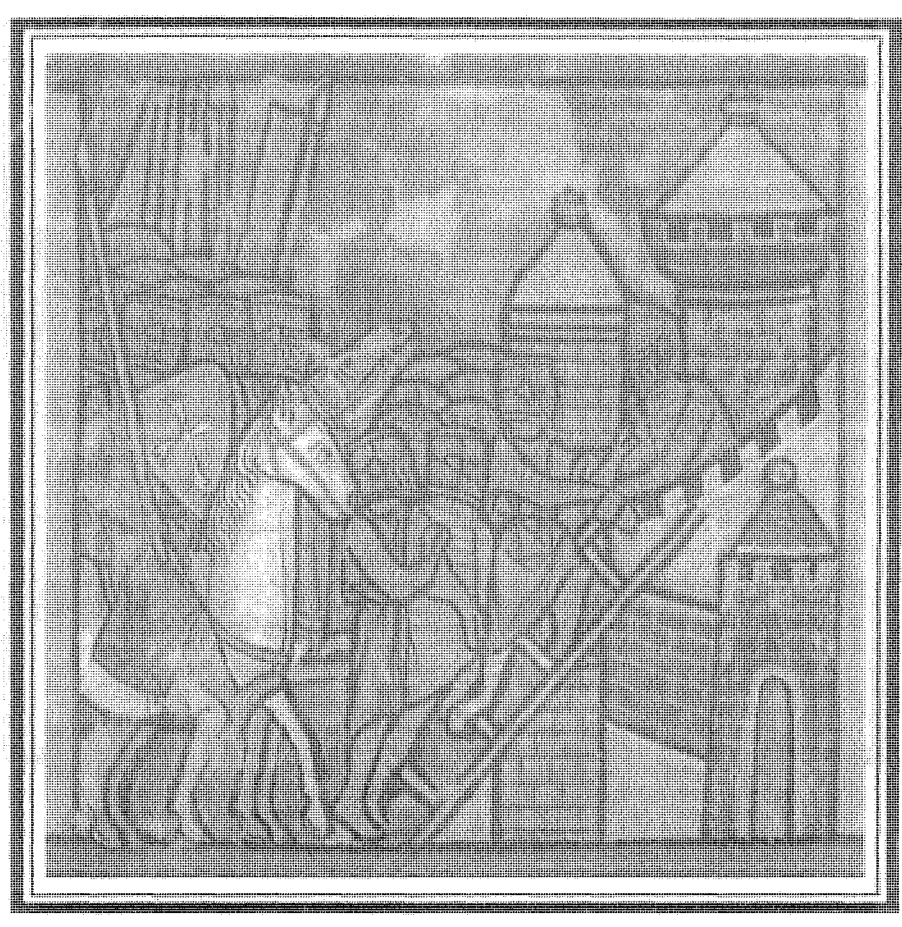
القس بطرس الناسك الفرنسي يقود الصليبيين الى الحرب من كتاب «اختصار التاريخ» القرن ١٤



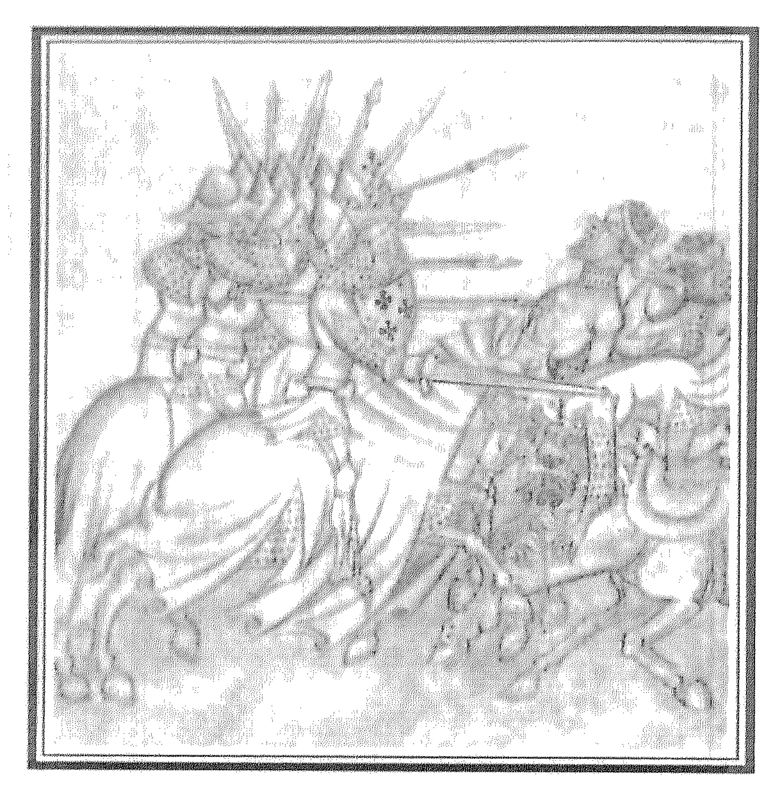
غلاف مجلة «العصور الوسطى» العدد السابع إبريل/ مايو ٢٠٠٢



الملك القديس لويس يحضر جلسة حرق بعض الاشخاص الذين اعتبرتهم المحكمة من الهراطقة، وفى الخلفية آلة اعدام جماعية يعلقون عليها جثث الذين تم اعدامهم.



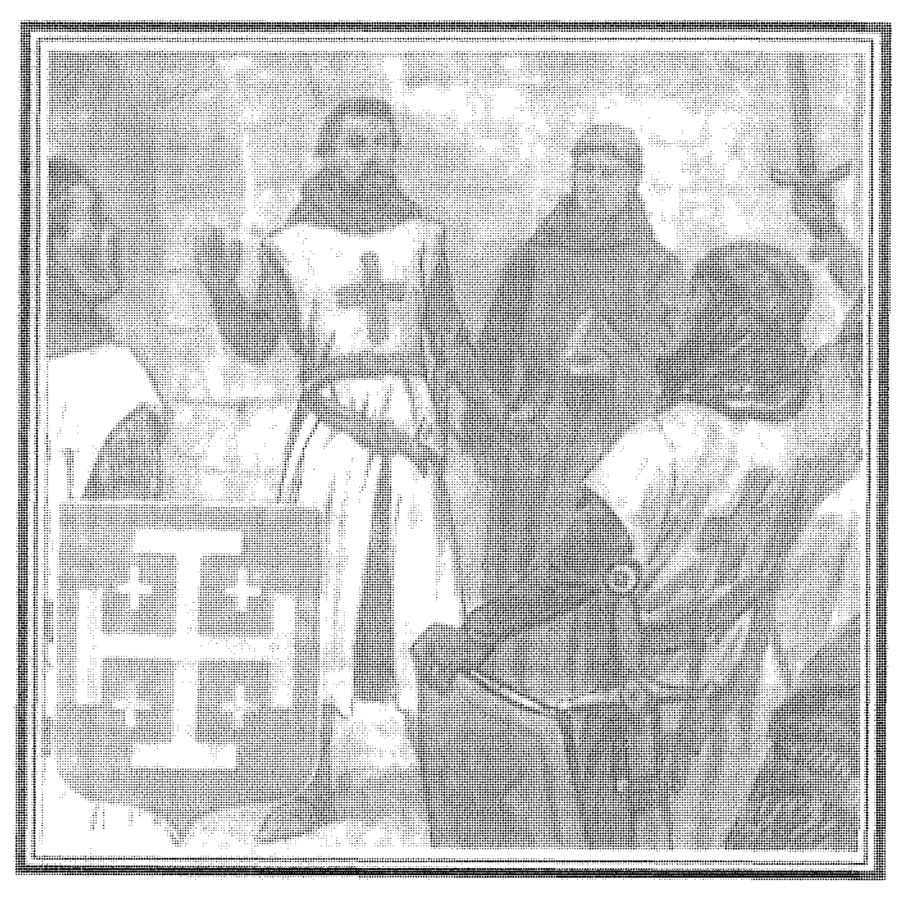
لوحة لإحدى المعارك الصليبية والجنود يحاولون الاستيلاء على احد الابنية ونلاحظ الصليب على الدرع الذى يمسكه احد جنود الرب



لوحة لمعركة يبدو فيها الصليبيون وهم يصوبون رماحهم ويقتلون المسلمين وقد ظهرت الصلبان على درع الجندى الامامى



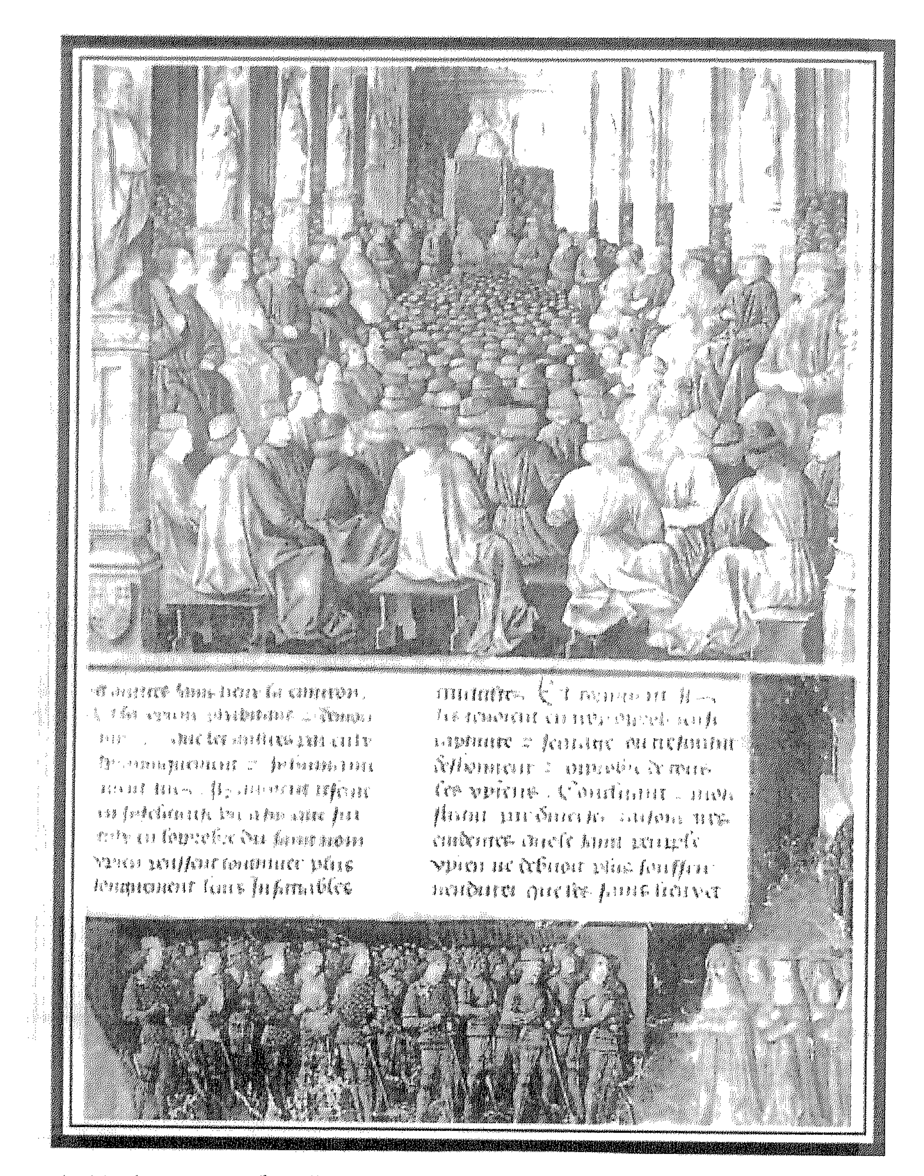
رسم توضيحي لأحد الجنود الصليبيين وتبدو
الصلبان على الراية وعلى ثيابه



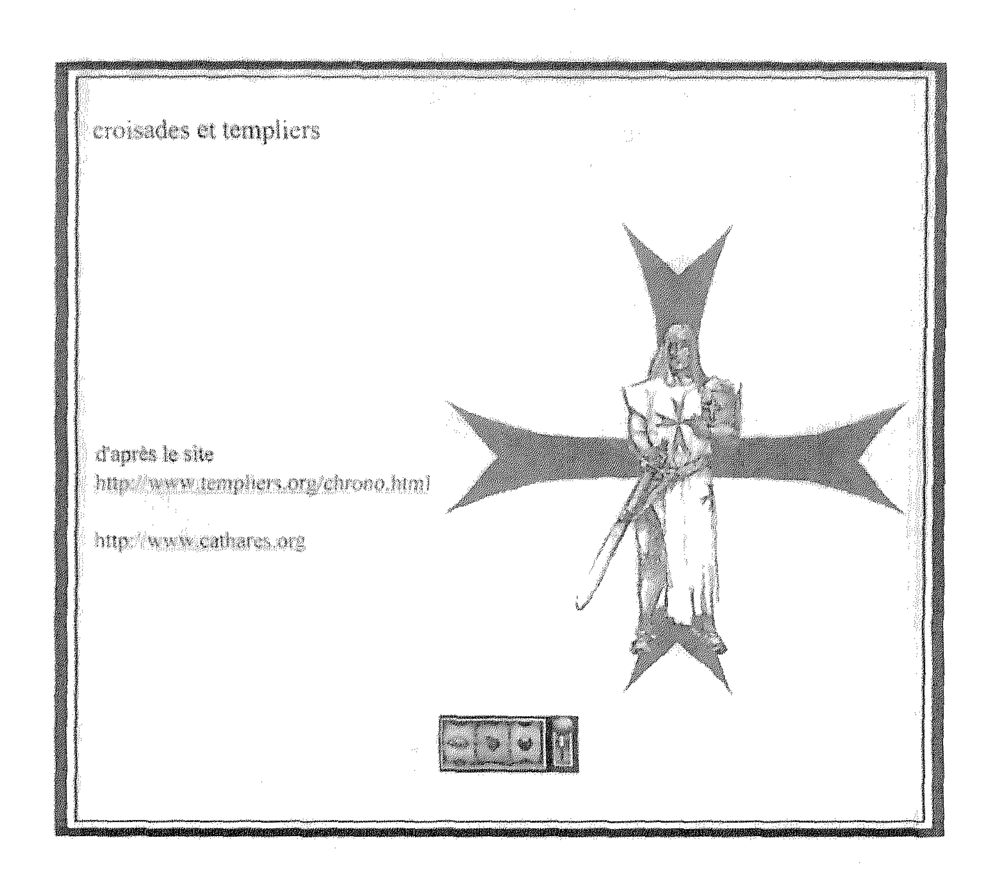
رسم بالألوان المائية يمثل أحد قادة الحرب الصليبية الاولى ويبدو فيها الصليب واضحا على صدره وعلي ظهر الذى يحدثه



جودفروا دى بريرن قائد الحملة الصليبية الاولى (رسم جدارى فى قصر لامانتا بشمال ايطاليا)



البابا أوربان الثانى وهو يدعو للحرب الصليبية فى كليرمون عام ١٠٩٥
(من كتاب «ممرات عبر البحار» القرن الخامس عشر المكتبة الوطنية
باريس)


croisades et templiers
d'après le site
http://www.templiers.org/chrono.html
http://www.cathares.org

أهم المراجع

ALBERIGO, Giuseppe: Les Conciles OEcumeniques, 3 vol. ed. du Cerf, Paris 1994

BOMBASSEI, Giorgio: L'Empire Occidental remodele le Moyen Orient, Paris 2002

CASANOVA, AnToine: Vatican II et l'evolution de L'eglise, ed. sociales, Paris 1969

CASIOLI, Luigi: La Fable de Christ, ed. Quatrini Viterbo, Roma, 2001

COLONNA-CESARI, Constance: Le Pape, combien de divisions? ed. Dagorno, 1994

DELUMEAU, Jean: Histoire du Christianisme, ed. Universalis/ Albin Michel, 2000

ELLUL, Jacques: La Subversion du Christianisme, ed. La Table Ronde, Paris, 2001

LACOSTE, JeanYves: Dictionnaire Theologique, ed. P. U. F. Paris, 1998

LEBRUN, Francois: Les Grandes Dates du Christianisme, ed. Larousse, Paris, 1989

LEVILLAIN, Philippe: Dictionnaire Historique de la Papaute, ed. Fayard, Paris, 1994

MINNERATH, Poland: Histoire des Conciles, ed. P. U. F. Paris, 1996

POUPARD, Paul: Le Concile Vatican II, ed. P. U. F. Paris, 1997

THOMA, Joseph: Vatican II, ed. P. U. F. Paris, 1989

Un Nouvel Age (Ecumenique (collectif) ed. Le Centurion, Paris, 1966

Vatican II, Les Relations de L'Eglise avec les religions non chretiennes, ed. du Cerf, Paris, 1966

الفهرس

د. زينب عبدالعزيز

❖ أستاذ الحضارة ورئيس قسم اللغة الفرنسية فى جامعتى الأزهر (بنين) والمنوفية سابقا.

❖ أول مصرية مسلمة فى التاريخ تترجم معانى القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية فى أول ترجمة نقية ومنصفة للكتاب العزيز - وقد صدرت عن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية فى ليبيا سنة ٢٠٠٢.

❖ ساهمت بالمقالات والأبحاث وفى الجرائد والمجلات المصرية والعربية منذ ١٩٦٥.

❖ ساهمت فى مجلة «ايماج» بالفرنسية التى كانت تصدر عن دار الهلال بالمقالات الفنية والأدبية وبأبحاث عن ألفية القاهرة عامى ١٩٦٧ - ١٩٦٨.

من مؤلفاتها الخاصة بالاسلام:

❖ «محاصرة وابادة.. موقف الغرب من الإسلام» المؤسسة الجامعية - بيروت ١٩٩٣ ودار القدس للنشر والاعلان ٢٠٠١ - دار الكتاب العربى دمشق - القاهرة ٢٠٠٣.

❖ «ترجمات القرآن إلى أين؟ وجهان لجاك بيرك» دار الهدى - القاهرة ١٩٩٤ طبعتان ودار النهار للطبع والنشر ٢٠٠١ - دار الكتاب العربى دمشق - القاهرة ٢٠٠٣.

❖ «الفاتيكان والإسلام» دارالقدس ١٩٩٥ و٢٠٠١ دار الكتاب العربى دمشق - القاهرة ٢٠٠٣.

❖ «مقالات من رنيه جينون ـ الشيخ عبدالواحد يحى» دار الأنصار ١٩٩٦.

❖ «حملة المنافقين الفرنسيس» دار النهار ١٩٩٨

❖ «تيسير متن أبى شجاع» دار النهارد ٢٠٠٠ ـ دار الكتاب العربى دمشق ـ القاهرة ٢٠٠٢.

❖ «حائط البراق» دار الحرمين ٢٠٠١ ـ دار الكتاب العربى دمشق ـ القاهرة ٢٠٠٢.

❖ «تنصير العالم» دار الوفاء ١٩٩٥ المنصورة ـ دار الكتاب العربى دمشق ـ القاهرة ٢٠٠٢.

من مؤلفاتها فى الحضارة وتاريخ الفن:

❖ «يوميات فنان» دار المعارف ١٩٧١

❖ «فولتير رومانسيا» (بالفرنسية) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠.

❖ «لعبة الفن الحديث» (بالفرنسية) إيبيس ١٩٨٤.

❖ «لعبة الفن الحديث بين الصهيونية ـ الماسونية وأمريكا» دار الزهراء ١٩٩٠ والأنجلو ٢٠٠٢.

❖ «النزعة الإنسانية عند فان جوخ» الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣.

فى مجال الترجمة:

❖ «الإسلام وحضارته» (كتاب أندريه ميكيل) المكتبة العصرية ـ بيروت ١٩٨١.

❖ «الإسلام الراديكالى» (كتاب إتيين برونو) دارالزيابلى ـ مالطة.

❖ «التعسف فى استخدام الحق» (رسالة دكتوراه فى القانون الاسلامى بالفرنسية لمحمود فتحى) ـ المؤسسة الجامعية ـ بيروت.

❖ «الريح» (رواية كلود سيمون ـ جائزة نوبل) دار الهلال ١٩٨٦.

❖ «هيجل والمسيحية» (للأب جاسقون فيسار) دار الزنابيلى ـ مالطة.